مكتبة

فيرجيني غريمالدي

# حان الوقت لإضاءة النجوم من جديد

مكتبة ٧٢٥

المركز الثقافي العربي

الرواية المنيرة التي أضاءت قلوب مليوني قارئ

هدية
للشروق
مكتبة | 725
سُر مَن قرأ

فيرجيني غريمالدي

# حان الوقت لإضاءة النجوم من جديد

الكتاب

**حان الوقت لإضاءة النجوم من جديد**

تأليف

**فيرجيني غريمالدي**

ترجمة

**مصطفى الورياغلي**

الطبعة

الأولى، 2021

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9953-68-978-4

جميع الحقوق محفوظة

© المركز الثقافي العربي

الناشر

**المركز الثقافي العربي**

**الدار البيضاء - المغرب**

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 0522 303339 - 0522 307651

فاكس: 305726 522 212+

Email: markaz.casablanca@gmail.com

**بيروت - لبنان**

ص.ب: 113 - 5158 الحمراء

شارع جاندارك - بناية المقدسي

هاتف: 750507 01 - 352826 01

فاكس: 343701 1 961+

Email: cca_casa_bey@yahoo.com

العنوان الأصلي للرواية:

Virginie Grimaldi

**Il est grand temps**
**de rallumer les étoiles**

© Librairie Arthème Fayard,
2018
All rights reserved

مكتبة

t.me/t_pdf

٢٠٢١ ٨ ٢

فيرجيني غريمالدي

# حان الوقت لإضاءة النجوم من جديد

رواية

ترجمة: مصطفى الورياغلي

مكتبة | 725
سُر مَن قرأ

المركز الثقافي العربي

# آنا

- آنا، هل ستأتي لرؤيتي عند نهاية وقت العمل! يجب أن أقول لكِ أمراً.

أعقدُ الوزرةَ حول وسطي وأقومُ بجولةِ مراقبةٍ أخيرةٍ في الصالة قبل وصول الزبائن الأوائل. أعلمُ ما سيخبرني به توني، لأني سمعتُ محادثةً أمس. آن الأوانُ فعلاً.

منذ ثلاثة شهور، ارتقى «أوبيرج بلانش» إلى قمّة ترتيب أفضل المطاعم في تولوز. كان لدينا زبائننا الكثر من قبل، لكن الطلب علينا الآن صار يفوق طاقتنا. لا أكاد أنظِّفُ مائدةً حتى يحتلّها زبون جديد. أعملُ وحدي في خدمة الزبائن، ولا يقبل توني بمساعدتي إلّا عندما يكون فارغ اليدَين.

يوم الاثنين الماضي، بينما كنتُ أحمل طبق «كريم بروليه» إلى المائدة 6، انسدّتْ أذنايَ، وغام بصري، ووهنتْ ساقاي. انتهت التحليةُ على رأس الزبون، وانتهيتُ أنا في مكتب صاحب المطعم.

أخذ يصرخُ، ذاك يعني أنه قلقٌ، وأنا اعتدتُ الأمر. ذات يوم، أسرَّ لي أنه يعاني من حالة انعكاس: قلبهُ جهة اليمين والكبد جهة الشِّمال. ومن ثَمَّ فالحديث مقلوب بدوره.

- ما الذي فعلتِهِ آنا؟

- فعلتُ أني أُغمي عليَّ.

- لكن لمَ فعلتِ ذلك؟

- لتنشيط الصالة، أيُّ سؤال هذا! كان الجو هادئاً هذا المساء، أليس كذلك؟

أزاح غضبَهُ بتنهّدٍ طويلٍ، ثم انتقل إلى مرحلة التعاطف.

- طيب. وكيف حالكِ الآن؟

- أفضل. سأعود إلى العمل.

- لا تفعلي. سأتولّى الأمرَ هذا المساء. لكن غداً تكونين هنا. حسناً؟

- هل تغيّبتُ مرة واحدة من قبل؟

ابتسمَ. فانتهزتُ الفرصة.

- أنا متعبة، يا توني. أقتربُ من الأربعين عاماً، لم أعد أقوى على مجاراة الإيقاع. سيكون أمراً جيّداً حقّاً أن تستخدم شخصاً آخر.

- أعرف، أعرف، سبق لكِ أن قلتِ لي ذلك. سأرى ما أستطيع فعله.

أخذَ هاتفَهُ وطلب إيستيل، خليلتَهُ، ليُسِرَّ لها أنه يرغب بلقائها في تلك اللحظة بالضبط. استنتجتُ من ذلك أنَّ حديثنا قد انتهى.

يؤكد جاري بول أنه ينبغي عليّ أن أغيِّرَ عملي. خَلَفَ أباه في دكان التبغ، ويعتقد أن الوظائف توزِّعُها اللقالقُ، التي غيّرت اختصاصها عندما استولى الملفوف والورود على سوق توزيع المواليد.

الحقيقة أني لا أملكُ كفاءاتٍ أخرى. مع أني تابعتُ دراستي،

وحصلتُ على دبلوم تقني متخصّص في المحاسبة والإدارة. علمتُ بحملي في آخر يوم من أيام الامتحانات، وبما أنَّ ماتياس كان يحصل على دخل مريح، فقد قررنا أن أهتمَّ أنا بكلوي. ثلاث سنوات بعد ذلك، عند التحاقها بالحضانة، تقدّمتُ إلى عشرات عروض العمل في المحاسبة والإدارة. لم أحصل سوى على مقابلة وحيدة، أدركتُ خلالها أني أراكِمُ النقائص: لم تكن لديَّ أيُّ تجربة، وكنتُ قد منحتُ نفسي مهلة ثلاثة أعوام لأحضن رضيعاً، وبلغتْ بي الوقاحةُ أن أجبتُ بـ«لا» عن سؤال «أيوجد شخص يمكن أن يهتم بطفلك في حالة الطوارئ؟». لم أكن قادرة على منافسة المترشِّحين العديدين المجرّبين والمتخمين بالديبلومات والشهادات، والذين لم تَعِشْ أولويّتُهم داخل أرحامهم.

قبلتُ إذاً عرضَ توني، أحد أصدقاء ماتياس الذي يملك مطعماً. في أثناء الأعوام السبعة الأولى، لم أعمل سوى في فترات ما بعد الزوال، وكان ذلك يسمح لي أن أمضيَ بعض الوقت مع ابنتيَّ، إلى أن لم يعد أمامي من خيار سوى إضافة المساء إلى أوقات العمل.

ما أن أنزلتُ الستار حتى يناديني توني من مكتبه.

- تعلمين أني أحبكِ كثيراً، آنا.

حالة انعكاس. الأمر لا يبشِّرُ بخير.

- أنتِ تعملين هنا منذ كم، عشر سنوات؟

- أربع عشرة.

- أربع عشرة، الزمن يمرُّ. لا أزال أتذكر يوم مقابلتكِ، كنتِ شديدة...

يَدلكُ صدغيه بأنامله ويتنهّدُ.

- انتقِلْ إلى الغرض فوراً، توني.

- فقدتْ إيستيل عملَها، وأودُّ أن أُشَغِّلَها.

- آه! طمأنتَني، خلتُ أنكَ ستُلقي عليَّ خبراً سيّئاً! أعترفُ أنني لا أدري إن كانت هذه فكرة القرن بالنسبة إلى زوجتك، لكن في نهاية الأمر، تلك مشكلتك. متى ستبدأ العمل؟

يهزُّ رأسه.

- أودُّ أن أشغِّلها **بدلاً منكِ**، آنا.

يستغرق الخبرُ ثواني عديدة ليجدَ طريقه إلى ذهني.

- كيف ذلك، بدلاً مني؟ لكن لا يمكنك أن تفعل هذا بي!

- أعلمُ، ليس لديّ أيُّ سببٍ لفصلكِ، وإن كان دائماً يوجد سبب يمكن أن نعثر عليه إن بحثنا جيّداً. لكنني لن أفعل معكِ ذلك، فأنتِ لا تستحقين هذا. لديَّ اقتراحٌ أطرحُهُ عليكِ: ننفصلُ بطريقة وِدِّيةٍ، نعقد اتفاقاً، وأمنحُكِ غلافاً مالياً صغيراً عربون شكرٍ لك.

أجهل كم من الوقت أبقى هنا، دون ردِّ فعل. ما يكفي لأن أفكِّر في كلِّ الفواتير التي أعجزُ عن تسديدها وأنا أعمل. ما يكفي لأتخيَّلَ الثلاجةَ أكثر فراغاً ممّا هي عليه الآن. ما يكفي لأُدركَ أنَّ مكالمات المُحضرين ستتضاعف. ما يكفي لأن أتصوَّرَ ملامح ابنتيَّ عندما سأخبرهما أن والدتَهما صارت عاطلة عن العمل.

- إذاً، ما رأيكِ؟

أزحزحُ كرسيّي إلى الخلف وأنهضُ.

- فلتذهبْ إلى الجحيم، يا توني.

# أخبار كلوي

قبل كل شيء، أحرصُ على أن أشكركم على كلٍّ تعليقاتكم. منذ سنةٍ، عندما افتتحتُ هذه المدوَّنة، لم أكن أتخيَّلُ أنكم ستكونون بكل هذا العدد لتقرأوا أفكار مراهِقَةٍ في السابعة عشرة ضيِّقة بواقعها. شكراً. 3 <

كلوي

---

عدّلتُ من وضع قبّعتي وألقيتُ نظرةً أخيرةً على المرآة. كنتُ على أهبة الاستعداد لمواجهة يومي محتميةً خلف بودرة الوجه وأحمر الشفاه.

نزلتُ الطوابق الثلاثة وأنا أُدلي الخوذةَ فوق أذنيَّ. في الأسفل، كان البابُ لا يزال مكسَّراً والريح تخترق السلالم. لو كان في إمكانها أن تقضي على رائحة البول فقط!

كانت ليلي قد سبقت إلى موقف الحافلة. أشارت إليَّ بيدها، فتجاهلتُها وأكملتُ مسيري. هذا الصباح أيضاً، لم أركب معها.

ما الفائدة من الذهاب إلى الثانوية؟ مستقبلي مرسومٌ بدقة. بعد

ثلاثة شهور، سأحرزُ شهادة البكالوريا بميزة وسأسجِّلُ نفسي في كلية الآداب. لن أدوسَ فضاءها برجلَيّ أبداً.

الدراسة، في أسوأ الأحوال تكون مدفوعة الثمن، وفي أفضلها تكون من دون فائدة.

صباح أمس، توصّلتْ أمي مرة أخرى برسالة مضمونة. خبَّأَتْها في سراويلها، مع الرسائل الأخرى، لكنني لستُ بلهاء. تقوم، بالإضافة إلى عملها في المطعم، بكَيِّ الملابس من أجل الجيران. لا أستطيعُ أن أستمرَّ في العيش على حسابها. السنة المقبلة، سأخرجُ إلى العمل.

عبرتُ مدينة الضاحية وأنا أشاهدها تستيقظُ. في الصباح، تتضوَّعُ رائحةُ الأمل. قد يكون هذا هو اليوم الذي سيتغيّرُ فيه كلُّ شيء. لقاءٌ. فكرةٌ. حلٌّ. رحيلٌ.

كلَّ صباح، أكتُبُ في ذهني أحلامي بقلم الرصاص. وكلَّ مرة، أمحوها.

كنتُ أُحَيّي بإشارة من يدي مَنْ أُصادِفُهم. نسكن هنا منذ خمسة أعوام فأعرفُ الجميع. ليلى التي تأخذُ آسيا وإلياس إلى المدرسة. مدام لوبيز التي تشربُ قهوتَها على نافذتها. أحمد الذي يتوجّه إلى سيارته. مارسيل الذي يصطحبُ كلبَيه الشِّيواوا في نزهة. نينا التي تجري لكي تلحق بالحافلة. جوردان الذي لا يتمكّنُ من تحريك دراجته النارية الصغيرة. لودميلا التي تُدخِّنُ سيجارةً أمام مدخل البناية D.

صاحت بي لودميلا:

- أخبريني، ألست أنتِ الفتاة التي فازت بمسابقة الكتابة في السنة الماضية؟

تظاهرتُ بأني لم أسمع كلامها وأغلقتُ البابَ.

مكتبة
t.me/t_pdf

# ليلي

3 مارس

عزيزي مارسيل،

يوم السبت، بمناسبة عيد ميلادي الثاني عشر، أهدتني عرّابتي دفتر مذكرات شخصية: أنتَ. إنها لطيفة، ولا بدَّ أنها تفعل ذلك لتعويض أسنانها الشبيهة بأسنان الفأر، لكن هنا، استغلّت الأمر بشكلٍ خطير. ثم إني لم أفهم أبداً فائدةَ مذكِّرة شخصية ولديَّ الكثير من الواجبات. لكنها بالإضافة إلى ذلك اختارتْكَ بغلاف ورديٍّ بقلوبٍ صغيرة. لم يكن ينقص سوى التِّرتِر.

لم أكن قد فكرتُ في لمسِكَ، تركتُكَ في المطبخ آملةً أن ترميك أمي أو كلوي في القمامة رفقة منشورات الإشهار، غير أنَّ حادثاً طرأ لي قبل قليل ولا بدَّ من أن أحكيه لأحدٍ ما ولا أستطيع أن أحكيه لأيِّ أحد. عندئذ لوَّنْتُ غلافكَ بمُلوِّن أحمر، وأضفتُ قفلاً (احتراسان اثنان أفضل) ووجدتُ لكَ مخبأً رائعاً، غير أني لن أقول أين. (كلوي، إن كنتِ تقرئين هذا، توقَّفي حالاً وإلّا فإني سأخبر ماما بأنكِ تسرقين منها حمالات الصدر).

بالمناسبة، أنتَ اسمُكَ مارسيل، أرجو أن ينال رضاكَ. ذلك لأنك كلّكَ أحمر، مثل مارسيل موسون، أصلع الطابق الأول.

لا أدري إن كنتُ سأكتبُ إليكَ كثيراً، إن يكن الأمر مثل «الماء الثمين»[1] فسأنسى مساءين من ثلاثة، لكني سأحاول.

ها أنا أحكي إذاً.

هذا الصباح، شعرتُ بمغص في بطني وأنا في الحافلة. لم أتمكّن حتى من إتمام حبوبي في الإفطار، كان الأمر غريباً، لكني كنت أظن أن السبب هو امتحان الإنجليزية، لم أكن أحفظ جميع الأفعال غير القياسية وكان ذلك يُقلقني. غير أني بعد الامتحان، كنتُ لا أزال أشعرُ بالألم. عندئذ قلتُ لنفسي إن ذلك بسبب وجبة مساء البارحة. كنا قد قمنا أنا وكلوي بتسخين الطعام الذي جلبَتْهُ أمي من المطعم، مذاقه كريهٌ بشكلٍ فظيع.

في حصة الرياضة، لعبنا كُرة السلّة. صحتُ بثيو مدة عشر دقائق أن يرسل لي الكُرة، لكنه لم يفعل إلّا في اللحظة التي كنتُ فيها منشغلة بشبك شعري. تلقّفتُ الكُرةَ بأنفي، الذي أخذ يسيل بالأحمر، عندئذ أخرجني الأستاذ.

كنتُ على جانب الملعب، رأسي مائل إلى الخلف، وورَقُ الحمّام في منخارَي (لم يكن القطن متوافراً)، عندما سمعتُ قهقهةً وراء ظهري. كان ولدان وبنتٌ من القسم الرابع يجلسون في مقاعد المدرّج. كانوا ينظرون إليَّ جميعاً. سألني ولدٌ أسمر قصير ذو رأس مثل حوض الغسيل إن كنتُ قد تلقَّيتُ كُرةً في مؤخرتي. أجبتُهُ أن

---

(1) Eau précieuse : مستحضر سائل لعلاج حبّ الشباب والرؤوس السوداء. (المترجم)

لا ، في أنفي فحسب. سخروا وهم ينظرون إلى ردفي، وفجأة فهمتُ. ذلك يُفسِّرُ مغص البطن، حدَّثتني أمي مراراً عن طبيعة الحيض. كأنه كان يجب أن يحصل لي ذلك في اليوم الذي أرتدي فيه سروالي الرياضي الأبيض.

سرتُ القَهْقَرى إلى أن وصلتُ إلى الباب وحاذيتُ السُّورَ إلى غاية حُجرة تغيير الملابس. كان الدمُ في كل مكان، لم أكن أعلمُ أنه بهذه الغزارة، كان تبّاني مسرح جريمة. نظّفتُ ما استطعتُ ووضعتُ بعض قطع ورق الحمّام لحمايتي، لكني سرعان ما رأيتُ أن ذلك لن يكفي، فضغطتُ اللفافة ووضعتُها كاملة في تبّاني.

مشيتُ مشية السرطان طوال النهار، وقد عقدتُ معطفي حول خصري، ويبدو ألّا أحد انتبه إلى الأمر. يجب أن أطلب من أمي أن تشتري مناديل.

قبلاتي مارسيل.

ليلي

ملاحظة: من يدري، قد لا يكون دم الحيض، ربما هو نزيف دماغيٌّ يسيل من الأسفل، بسبب الكُرة التي أصابتني في الرأس، وغداً سأكون ميتة.

# آنا

فطورنا في جميع الأيام متشابهٌ: أبدأ بحظر التلفاز، وأحاول أن أُحفِّزَ نقاشاتٍ تصطدمُ بالصمت وأنتهي إلى الاقتناع بأن تسليط عيوننا على الشاشة نفسها هو وسيلة مثل أخرى لننظر جميعاً إلى الوجهة نفسها.

ليلي، غارقةً في الرسوم المتحركة، تصبُّ الحليب في وعائها.

- ماما، أيمكنُكِ، في المرة القادمة، أن تشتري حبوباً حقيقية؟

- خفِّضي صوتَ التلفاز من فضلك. هذه ليست كذلك؟

تتخلّى عن الشاشة لحظةً وتنظر إليَّ بإمعان بعينيها الخضراوين.

- أنتِ تعرفين جيّداً، هذه ليست ماركة، كأنها بوليستيرين! ينبغي أن تأخذي تلك الموجودة في رفِّ الوسط، ما في الأسفل كريه.

لا أجدُ الوقت لأردَّ عليها، تُطِلُّ كلوي برأسها من فتحة الباب، تُلقي إلينا «باي باي!» وتختفي. ألحقُ بها في اللحظة التي تندفع فيها نازلةً السلّم.

- كلوي، ألا تأتي لتجالسينا دقائقَ معدودةً؟

تلتفتُ نحوي متنهِّدةً. وضعت بودرة على وجهها بشكل مخيف.

- لستُ جائعةً.

- أعرفُ، مثل كلِّ صباح. لكنك يمكن أن تأتي لقضاء بعض الوقت معنا، أليس كذلك؟ هذا هو الوقت الوحيد الذي يمكننا فيه أن نرى بعضُنا بعضاً.

- من المخطئ؟ تقول وهي تقصفني بنظرتها، قبل أن تنزل الدرجات بسرعة.

لا أزال واقفة عند العتبة عندما يرنُّ جرسُ الهاتف الداخلي. لا أردُّ، لا أنتظرُ أحداً، وتسع مراتٍ من عشر، يكون شخصاً يسعى ليبيعني مصاريع نوافذ أو مبشّراً دينياً.

دقيقتان بعد ذلك، يُطرَقُ البابُ. أقتربُ من العدسة على أطراف أصابع القدمين. في الجهة الأخرى، رجلٌ ذو مظهر لا يقلُّ إغراءً عن عملية تنظير القولون. أعرفُ مسبقاً تتمّة المشهد، لكن لم يعد لي خيار. أفتح.

- السيدة مولينو؟ طابَ يومُكِ، الأستاذ رونار، مُحضر العدالة، أيمكنني الدخول؟

السؤال مجرّد مجاز، فهو يوجد داخل شقّتي قبل علامة الاستفهام. يبحث في ملفٍّ ويستخرج منه ورقةً. أُغلِقُ بابَ الصالة كي لا تسمعنا ليلي.

- أنا سعيد لرؤيتكِ، أتصوَّرُ أنكِ لم تتوصّلي برسائلي العديدة؟

- بلى، توصلتُ بها. أنا آسفة، أنا . . .

- إذاً تعلمين سببَ وجودي هنا، قاطَعَني. أُسَلِّمُكِ يداً بيد الأمرَ بأداء مبلغ 5225 يورو لصالح مؤسسة سيفيتيس.

ألتقِطُ الوثيقةَ والقلم الذي يمدّني به، وأقرأ بسرعة، وأستند إلى الجدار وأضعُ توقيعي.

- أيمكنني أن أطرح عليكَ سؤالاً، أستاذ رونار؟ سألتُهُ وأنا أعيدُ إليه الورقة.

- تفضّلي.

- إن كنتُ لم أستطع أن أُسَدِّدَ شهوراً عديدةً، أفتظُنُّ حقّاً أني سأستطيعُ أن أُؤَدِّيَ مبلغ 5225 يورو دفعة واحدة؟

يهزّ كتفيه ويرسم على وجهه بداية ابتسامة متعاطفة.

- أنا آسف، كان الدائنُ صبوراً، لكنكِ لم توفي بالتزاماتكِ.

- أعدُكَ أني أجهَدُ جهدي! أمنحُ 110 يورو كلَّ شهر لأردَّ هذا الدَّين منذ سنوات، باستثناء ثلاث مرّات، لأنني لم أتمكّن. لم أستطع حقيقةً. ليس من حقّهم أن يطلبوا الأداء الكُلِّي بسبب ذلك!

- يستطيعون فعل ذلك. كانت مؤسسة سيفيتيس قد اقترحت عليكِ خطَّةً لتتداركي تأخّركِ على مراحل، لكنكِ لم تتّبعيها سوى مدة قصيرة. كان في إمكاني أن أقترح عليك اتّفاقاً، غير أنكِ لم تَرُدِّي على رسائلي. والآن قد فات أوانُ النقاش.

كنتُ أودُّ أن أحتجَّ، أن أتوسَّلَ. أن أُقسمَ إني لستُ سيِّئةَ النية، وإني أحاولُ أن أحترم مراحل تسديد الدَّين الملعونة، وكذلك ديون الدائنين الآخرين، وإنَّ كلَّ ما أحصُلُ عليه من أجر يبتلعُهُ تسديدُ الديون، وإني أحياناً أستطيع أن أحتفظ برأسي فوق الماء مدَّةَ شهور، لكن يحدث لا محالة أن تدهمني موجةٌ فيكتسحني الماءُ. كَردان السيارة الذي يتعطّل، أو قد تكون آلة الغسيل، أو رحلة مدرسية من أجل ليلي، أو حمالات صدر من قياس جديد من أجل كلوي. يحبُّ بعضُ الناس المفاجآت، أما أنا فأحلُمُ بأن تتوقف المفاجآت بالنسبة إليّ. أودُّ أن أقول له إنَّ ذلك المال لم أُنْفِقْهُ من أجل الاستمتاع بأسبوع تحت الشمس، ولا من أجل أن أقتنيَ لنفسي مجوهرات.

وإني ما كنتُ لأقترض المالَ بتلك الفوائد المجنونة، لو لم أجد نفسي مضطرَّةً كلَّ الاضطرار. أودُّ أن أقول له كلَّ ذلك، غير أن كلَّ ما تمكّنتُ من أن أفعله، هو أن أُطْلِقَ تأوُّهاً صغيراً وأُجهش بالبكاء.

يشعر المُحضر بالحرج، وأشعر بالحرج لأني أحرجتُهُ. وبينما أحاول أن أستردَّ رباطة جأشي، يسعل سعالاً خفيفاً، ويمدُّ يدَهُ إلى كتفي قبل أن يتذكَّرَ أني لستُ صديقته، ثم يتصفَّحُ وثائقه.

- أنا آسف، يستأنف كلامه أخيراً.

- وإذا لم أستطع أن أُسَدِّدَ المبلغَ، ما الذي سيحدثُ؟

يتنهَّدُ.

- سنضطرُّ للجوء إلى المحكمة لتحصيل الدَّين بكل الوسائل المتاحة لنا. وثِقي في تجربتي، فإن الأمر سيتحقق.

- حجز؟

- مثلاً.

- رائع، ها قد أمسكْنا بالحلِّ! سيارتي ستُكمِلُ عشرين عاماً قريباً، زجاج النوافذ والسرعة الثالثة لم تعد تعمل، يمكن الحصول من بيعها على 30 يورو، ولن يتبقَّ من الدّين سوى 5195. وإلّا، فيمكنني أن أُؤَجِّرَ شقتي، شقة في بناية من بنايات السكن الاجتماعي ذات المصعد المتهالك، يمكن أن نحصل منها على أجر لا بأس به، ما الذي...

ليس لديّ الوقت لأكمل جملتي، ينفتحُ بابُ الصالة وتظهر ليلي، وقد غطّى الحليبُ جوانبَ فمها. تعقد حاجبيها عندما تلاحظُ الدموع على خدَّي.

- ماذا بك؟

- لا شيء، أجبتُها وأنا أمسحُ وجهي بطرف يدي.

أشارت إلى المُحضر بذقنها. يبدو أنها سمعت كلَّ شيء.

- لِمَ تبكين؟ بسبب الأستاذ الغراب؟

- الأستاذ رونار، صحَّحَ المُحضر. كنتُ سأنصرفُ، أرجو لكما يوماً طيّباً.

يفتح البابَ، يرمقني بنظرة أخيرة، ثم ينحدر في السلّم. وقبل أن أُغلِقَ البابَ تماماً، تُمَرِّرُ ليلي رأسها من الفتحة وتصيح به:

- ريشُكَ لا بأس به، لكن تغريدَكَ نتنٌ برائحة الجبن[1]!

ثم ترتدي معطفها وتحمل حقيبةَ ظهرها وتختفي بدورها.

(1) الإشارة هنا وفي الأستاذ الغراب والأستاذ رونار (الثعلب بالفرنسية) إلى حكايات لافونتين التي يحفظها الأطفال الصغار في فرنسا. والمقصود هنا حكاية «الغراب والثعلب». (المترجم)

# أخبار كلوي

الخميس، هو أفضل يوم للتملُّص من الحصص. تُغادِرُ ليلي مَدرستَها الإعداديةَ في الخامسة مساء وأمّي لا تعود إلى البيت إلّا بعد الزوال - تذهب لزيارة جدتي. تكون الشقّةُ لي وحدي، لستُ لا شقيقة ولا بنت أحد. أستطيع أن أفعل ما أريد، وأن أستقبل في البيت من أشاء.

أُصاحِبُ كيفين منذ ستة أيام. أعتقد أني أحبُّهُ. إنه لطيف. يعمل في مَخبز أسفلَ المدينة، يبدو دائماً مسروراً برؤيتي عندما أمُرُّ لشراء الخبز وأنا عائدةٌ من الثانوية. ليس بالجميل جدّاً، لكنني الآن أحترسُ من الأولاد الجميلين.

ابتدأت قصّتُنا يوم الجمعة المنصرم. طلبتُ رغيف الباغيت المعتاد، وكنتُ أراهُ في الخلف منشغلاً بوضع حلوى الفيينواز في الفرن. ابتسم لي وأشار لي أن أنتظرهُ في الخارج. خرج دقائقَ بعد ذلك، ممسكاً سيجارةً بين شفتيه.

- مرحباً، اسمي كيفين.

- أنا، اسمي كلوي.

كان بعضُ الدقيق على خدِّهِ وعيناهُ زرقاوان.

- تسكنين قريباً من هنا؟

- أجل، البناية C.

- أحبُّ كثيراً رؤيتَكِ كلَّ مساء.

خفضتُ رأسي وأحسستُ باحمرار خدَّي. أشعُرُ دائماً بالحرج عندما يمدحني الآخرون، كأنني أتلقّى هديّةً باهظة الثمن.

أمسكَ ذقني ورفع وجهي نحوه برقَّةٍ.

- أخرجُ في الثامنة مساء، أيمكنكِ الحضور لانتظاري؟

في الثامنة، كنتُ قد استحممتُ، ومشطتُ شعري، ووضعتُ الماكياج، وجرّبتُ ثلاثة أشكال من الأزياء، وتركتُ ليلي أمام التلفاز بعد أن استحلفتُها ألّا تُخبر أمي بشيء، وكنتُ واقفةً أمام المَخبز.

في الحادية عشرة ليلاً، قبيل عودة أمي، تسلَّلتُ إلى فراشي وأنا أستعرضُ شريطَ المساء. الساندويتشات التي أعدَّها كيفين، والمقعد قريباً من البِركة، فخذُهُ الملتصِقُ بفخذي، وفمه على فمي، وصوتُهُ الذي يوشوشُ لي أنّي جميلة. قلتُ لا عندما اقترحَ عليَّ أن أصعد إلى سيارته، شعرتُ أني خيَّبتُ أمله. كان يُدخِّنُ بصمت، عاقداً حاجبيه، عندئذ التصقتُ به وداعبته. بعد ذلك كان رقيقاً طوال الأمسية.

هذا الصباح، عندما أخبرتُهُ أن الشقة تحت تصرّفي كلَّ فترة بعد الزوال، وافقَ فوراً على المجيء. أعطيتُهُ شفرةَ الهاتف الداخلي، فحضر في الثانية بعد الزوال. لا يكسوهُ الدقيق، لأن اليوم كان عطلته الأسبوعية. قدَّم لي كيساً صغيراً. حلويات الشوكيت.

جلسنا على الكنبة، وكان هاتفي يبُثُّ موسيقى رومانسية. وضعتُ رأسي على كتفه وأمسكتُ بيده. داعبَ راحةَ كفّي بإبهامه.

كان كيفين يبدو ودوداً. ليس مثل أولئك الذين عرفتُهم من قبل، الذين لم يكن يهمُّهُم سوى شيءٍ واحد، والذين كانوا يأخذون دون أن يمنحوا أيَّ شيء. تلك الحركةُ الصغيرة التي كانت تبدو تافهةً، ذلك الإصبع الذي كان يلامسُ كفّي، كان ذلك يدلُّ على أنه ربما يكون هذا هو المناسب. ربما إني أهمُّهُ **حقّاً**. ربما كان سيغمرني بالحب والحنان، وربما سنبني مشاريع، وسأكون عزيزة عليه. وأنا أيضاً، كنتُ سأبيِّنُ له أنه عزيز عليّ. لم يكن ليحصل على الكثير من فرص التعارف مع الفتيات وهو يعمل في مخبز. استدرتُ نحوه ومنحتُهُ شفتيَّ. نهضَ، وأرغمني على أن أفعل مثله، وضرب بيديه على فخذيه.

- إذاً، ألا تُريني غرفتَكِ؟

# ليلي

16 مارس

عزيزي مارسيل،

أرجو أن تكون بخير وألّا تغضب كثيراً من كوني خبّأتُكَ خلف المدفأة. كنتُ أظنُّ أنَّ أمي قد قطعَتْ عنها الكهرباء.

أما أنا، بما أنك تسألني، فإنَّ حالي وسطٌ. عند مطلع السنة لم يكن لديَّ أيّ مشكلة مع مانون وجولييت. الجميعُ يُحبُّهما، أولاً لأنهما توأمٌ (تشتري منتوجاً، تأخذ الثاني مجّاناً). ثم إن والدَهما هو ابن عمّ جارة حلّاق كِيف أدامز[1]، والجميع يحبُّ كِيف أدامز، باستثناء المثقفين الذين يتقنون اللاتينية واليونانية، لكن من ذا الذي يرغبُ أن يُحبَّهُ أولئك الذين يتقنون اللاتينية واليونانية؟

أنا، كنتُ لا أحبُّهما ولا أكرههما، لكنني توقّفتُ عندما انتبها إلى وجودي. كلُّ ذلك لأني تقدّمتُ لانتخابات ممثِّلة الفصل، فلا أحد نبّهَني إلى أنَّ مانون كانت تريد أن تكون المرشّحةَ الوحيدة. لم

(1) Kev Adams: ممثل فرنسي شاب. (المترجم)

أحصل سوى على صوت واحد، ولم يكن حتى صوتي (شكراً كليليا)، لذلك لم أفهم الأمر عندما بدأت التوأمُ تصبحان شرّيرتَين. طيّب، بما أنهما لم تخترعا ماء الحمّام، فإن الأمر يقتصر على عرقلة قدمي أو رميي ببعض كُرات الخبز على الرأس في مطعم المدرسة، لكنني كنتُ أُفضّلُ عندما كانتا لا ترياني.

في أثناء عطلة الميلاد، حدّثتُ شقيقتي عن الأمر، ليس لكي أشِيَ (أنا لستُ واشِيَة)، ولكن لأنها سمعتْ شقيقَ نَعيمَة يذكُرُ ذلك (هو، واشٍ بالفعل). جعلتُها تعدني وتُقسِمُ بحياة **جسد كبير مريض**[1] ألّا تقول شيئاً، وعدتْني بذلك، لكنها جاءت لتعترض التوأم عند باب المدرسة الإعدادية، مسكينٌ **جسد كبير مريض**. قالت لهما إنني هَشَّةٌ، وإنَّ الأمر يؤلمني، وإن عليهما أن تضعا نفسيهما في مكانها، ستفعلان الأمر نفسه لحماية شقيقتهما. . . كانتا مُحمرَّتين تماماً، وقد أغرقتا رأسيهما وتهزّانهما في وشاحيهما. وعدتْ جولييت ألّا تعود لمضايقتي، وقالت مانون إنها آسفة. في صباح اليوم الموالي، كان الفصلُ كلُّهُ يناديني بـ«الواشية» (أنا لستُ واشية). كانت تلك المرة الأولى والأخيرة التي أُسِرُّ فيها لشقيقتي بِسِرٍّ من أسراري.

عذراً مارسيل، كنتُ قد ذهبتُ لاستبدال القلم، لم يعد يعمل. المهم، سأُسْرِعُ لأن برنامج «تالاسا» سيبدأ.

منذ بضعة أسابيع، التوأم قد هدأتا، لا أعلم لماذا، لمْ أذهب

---

(1) Grand Corps Malade: اشتهر بهذا اللقب فابيان مارسو (Fabien Marsaud)، شاعر وملحّن ومغني ومُخرج فرنسي. ولد عام 1977. (المترجم)

لأسأل. إلى أن حَلَّ صباح اليوم، في أثناء حصة الكيمياء، كان يتوجب أن نتوزَّع اثنين اثنين لنُجريَ تجربةً، وجاء ماتيس ليكون معي بدلاً من كليليا. القصة أنَّ ماتيس هو صاحب مانون، لا أحد يستطيع أن يجهل ذلك، يقضيان جميع أوقات الاستراحة ملتصقَين، كأنهما من الأسماك المنظِّفة للزجاج. المهم، التفتُّ فرأيتُ مانون تنهال عليَّ ضرباً بنظرات عينَيها، ابتسمتُ لها ابتسامة صغيرة كأني أقول لها: «لا تقلقي، لن أقترب منه»، لكن بما أنها رفعت في وجهي إصبعَ يدها الأوسط فأفترضُ أنها ظنَّتْ أني أسخر منها.

في أثناء الاستراحة، كنا نستلقي على الأرض أنا وكليليا تحت البهو، عندما وصل التّوأم وسألتاني إن كانت لديَّ مشكلة. قلتُ لا، لأن لم يكن لديّ أي مشكلة، فأجابتني مانون بأنها هي لديها مشكلة، واسمها ليلي. أجبتُها أن الأمر مُضحكٌ جدّاً، لأنني أحمل الاسمَ ذاته مثل مشكلتها، عقدَتْ حاجبَيها، عندئذ حاولتُ أن أُوَضِّحَ لها ألّا حاجة لي في ماتيس، وأن لي أهدافاً أخرى أسعى إليها غير المصاحبة في القسم السادس، وخصوصاً أن ذلك الولد تخرج من فمه رائحة نتنة بشكلٍ فظيع، كأنه يأكل قطع جبن الروكفور في الفطور، وإذاً يمكنها أن تكون مطمئنة. أطلقتْ جولييت ضحكةً صغيرة، فأمرتها مانون أن تُغلق فمها، ثم جلست القرفصاء لتنحني نحوي، وأدْنَتْ وجهها من وجهي، قريباً جدّاً حتى أني أدركتُ أنَّ رائحة الروكفور تنتقل بوساطة اللعاب مثلها مثل مرض كريات الدم المُعدية، ووشوشتْ أني لستُ سوى عاهرة صغيرة، مثل شقيقتي.

لا أعرف ما الذي دهاني، ربما بسبب التقرير حول جِمال اللّاما الذي شاهدتُهُ في عطلة آخر الأسبوع، فقد قذفتُ في وجهها ببصقة

كبيرة. أمسكتني جولييت من شعري، وأمسكتْ مانون بشعر كليليا، وأمسكتُ بشعر مانون، وبقينا على تلك الحال، لا نتحرّك، إلى أن رنَّ الجرسُ، ثم انصرفنا إلى حصة الجغرافيا.

لا أدري ما الذي قصَدَتْهُ بما قالتْهُ بخصوص كلوي. أنا في موقع جدّ مناسب لأعرف أنّ شقيقتي بلهاء، لكنها ليست عاهرة.

قبلاتي مارسيل، وأمسية طيبة!

ليلي

ملاحظة: أنا لستُ واشيةً.

# آنا

- ماما، الضوء أخضر! تصيح ليلي.

أَمُرُّ أنا الأولى وأنا أُوَجِّهُ إليها ابتسامةً في مرآة الرؤية الخلفية، وأنغمسُ في أفكاري من جديد.

أنجزتُ الحسابَ. لكي أُصَفِّيَ جميعَ ديوني، أحتاج إلى 12689 يورو. أبكاني الأمرُ. منذ بضعة أشهر، منذ فهمتُ أنني لن أتخلَّصَ من ذلك أبداً، منذ صارت معدتي تُنتِجُ القروحَ ونومي الكوابيسَ، تحوَّلتُ إلى نعامة. ما الفائدة من مواجهة عدوٍّ عندما نكون واثقين من أنه سيهزمنا بالضربة القاضية؟

توقفتُ عن التفكير في ذلك اليوم الذي أخذتُ فيه قرضاً تتجاوز فوائدُهُ قيمةَ رأس المال، لأنني لم أكن قادرة على إعادة شراء الديون التي اقترضناها نحن الاثنين والتي كنتُ قد صرتُ عاجزةً عن تسديد دفعاتها الشهرية. توقفتُ عن مراجعة حسابي البنكي، والذي تزداد مصاريفُهُ بشكلٍ رهيب مع كل رفضٍ، ومع كلِّ سحبٍ على المكشوف. لم أعد أفتح المظاريف. وتجاهلتُ المكالمات المجهولة. عشتُ مدَّةَ شهور وقد خدَّرتُ قسماً من حياتي. الاستيقاظُ مؤلِمٌ. ثمنُهُ 12689 يورو.

- لقد وصلنا! تصرخُ ليلي.

أركُنُ السيارةَ قبالةَ بيت أبي، ومسّاحاتُ الزجاج تكافحُ بشجاعة ضدّ الطوفان. على الكرسيِّ الخلفيِّ، كلوي غارقةٌ في تأمّل هاتفها منذ غادرنا الشقةَ.

- كلوي، وصلنا.

- رائع.

- ابذلي مجهوداً، جدُّكِ مسرورٌ برؤيتك.

تهزُّ كتفيها وتفصلُ حزامَها. ذقنها يرتعشُ.

- ما بكِ حبيبتي؟

- لا شيء، تجيبني وهي تبذل جهداً واضحاً لتحبس دموعَها.

أداعبُ خدَّها:

- أأنتِ متأكّدة؟

- توقّفي، ماما، أقول لكِ إني بخير.

تخرج من السيارة، وتصفقُ البابَ، وتلحقُ بشقيقتها عند باب البيت وهي تحمي شعرها بحقيبتها.

يُقَبِّلُنا أبي وزوجتُهُ جانيت أربع قبلاتٍ لكلٍّ واحدة منّا، في حالة لم نفهم القبلات الثلاث الأولى. يبتسمان ابتسامة واسعة تُظهِرُ أضراسَ العقل.

- كنا نستعجل وصولكم، لدينا شيء نعرضُهُ عليكم! يُعلن أبي بحماس.

بجانبه، تُصفِّقُ جانيت. المرة الأخيرة التي رأيتُهُما فيها على مثل هذه الحال، كانا قد قام كلٌّ واحد منهما بوشم لقب صاحبه على صدره. بابوت وبوبون.

يفتحُ والدي البابَ النافذةَ ويقودنا إلى الحديقة.

- اتبعنني!

- جدّي، المطر يهطل، تحتجُّ كلوي.

- مجرد قطرات، تجيبها جانيت وهي تدفعنا نحو الخارج.

عند ركن البيت، أشار لنا أبي أن نتوقّف.

- أنتم مستعدون؟

- أجل! تصيح ليلي.

- انتظر! تتدخّلُ جانيت. ألا نتركهم يُخَمّنون؟

وافقَ، بحماس كبير. بابوت وبوبون يحبّان اللعب.

- هل اشتريتما كلباً؟ تقترح كلوي، وهي على حافة الانهيار العصبي.

- نَمِر؟ تضيفُ ليلي، باحتراس.

- سيارة جديدة؟

- تقتربين آنا! تجيب جانيت. أضخم من سيارة!

- سفينة فضائية؟ تضيفُ ليلي.

- سيارة تخييم؟

تغمزُ عينا أبي. يسمح لنا أن نتقدَّم، ثم يفتح ذراعيه:

- تدااااااام!

خلفه تربُضُ مركبةٌ ضخمة بيضاء. يُحيطُ بذراعِهِ كتفَي جانيت، التي تُصدر صوتاً كالمواء.

- قرّرنا أن نستمتع بتقاعدنا، نعزم السفر إلى إيطاليا الصيف المقبل. ليست جديدةً، لكنها لا تتجاوز العشر سنوات، لم يكن في إمكاننا أن نَترك الفرصة تُفلتُ منّا. هيّا، ادخلوا لمعاينتها!

يفتح البابَ ويدفعنا للصعود إلى منزل عطلتهما المتحرك، لكن ليس قبل أن يطلب منا أن نخلع أحذيتَنا.

الداخلُ صغيرٌ، لكنه وظيفيٌّ. توجد حجرةٌ بسرير مزدوج، وترتيبات في كل مكان، وركن صالون تتحوّلُ أريكتُهُ إلى سرير، ومطبخ صغير، بل توجد كذلك حجرة حمّام حيث يمكنني من دون شكّ أن أولِجَ رَبْلَةً.

في الخارج، يترصّدُ بابوت وبوبون ردودَ أفعالنا، وجبهتاهما تسيلان بالمطر. أشير إلى البنتَين بحركة من رأسي، فتُدركان في الحال الرسالةَ، قبل أن أعبِّر عن شدّة إعجابي:

- إنها رائعة بالفعل، ستكونان فيها جد سعيدَين!

- وهذه الستائر جميلة جدّاً! تضيفُ كلوي وهي تُداعبُ الثوبَ ذا الورود الصفراء الكبيرة.

تُجيلُ ليلي ببصرها في سيارة التخييم باحثة عن مصدر إلهام، ثم يضيء وجهُها:

- إنها عمليّة، إنها جد صغيرة بحيث يمكنكما أن تُحضِّرا الطعامَ وأنتما تقضيان حاجتكما في الحمام!

بعد غداء فخم، وبينما كنا بصدد الانتقال إلى الصالون لتناول القهوة، ذهبت كلوي لتختلي في المكتبة. طوالَ فترة الوجبة، كان مزاجها متأرجحاً مثل لعبة اليويو، وكان هاتفها مَنْ يمسك بالحبل. كلّما تفحّصَتْهُ إلا وامتلأت عيناها إمّا بالدموع وإمّا بالنجوم. المراهَقَةُ حالةٌ جوّيةٌ غير مستقرة.

عندما ألتحقُ بها، أجدها تجلسُ على وسادتَين، وبين يديها رواية **مرتفعات وذرينغ**.

- كيف حالك؟

- جيّد، تجيب دون أن ترفع عينَيها عن كتابها.

أجلسُ بالقرب منها.

- تعرفين أنك يمكنك أن تتحدّثي إليّ؟

تَهُزُّ كتفيها.

- تعلمين ذلك، كلوي؟

- أعلمُ، ماما، لكن...

- لكن ماذا؟

- لا شيء.

- لكن ماذا، حبيبتي؟

- لا شيء، أنا بخير، ماما. أيمكنكِ أن تعانقيني فقط؟

بالتأكيد يمكنني أن أعانقكِ، يا صغيرتي. أفتح ذراعيَّ فتتكوّمُ داخلهما، ورأسها في عنقي، وشعرها يُدغدغ أنفي. لقد اختلستْ عطري مرة أخرى.

دائماً أحبّت كلوي أن ألاطفها. عندما كانت صغيرة، لم تكن يراودُها النومُ إلّا وهي ملتصقة بي. كنتُ، كلَّ مساء عندما أذهب للنوم، أجدها قد سبقتني إلى فراشنا. وكان ذلك يُجَنِّنُ أباها. أما أنا فكنتُ أتذمّرُ في الظاهر لكنني كنت أتلذّذُ بلحظات الحنان تلك، التي كنتُ أعرفُ أنها زائلة. لا تزال إلى حدّ اليوم تلتحق بي أحياناً في سريري في الليل متعلِّلةً بكابوسٍ أو بمغص في البطن. لم أعد أتذمَّرُ، أزيحُ غطائي وأُفسِحُ لها المكان الدافئ، دون أن أعترف لها بأنها ليست في حاجة إلى أن تخترع عذراً.

تتراجع بلطفٍ وتنظِّمُ شعرها قبل أن تستغرق في قراءتها من جديد. وأنهضُ بهدوء.

- تعرفين أنني هنا إن كنتِ في حاجةٍ إلى الحديث.

أخرجُ من المكتبة وأسحبُ الباب خلفي. يكاد البابُ ينغلق تماماً عندما يصلني صوتُ كلوي.

- عندما لا تعملين.

# آنا

أصلُ، كلَّ صباح، إلى المطعم وأنا أرجو أن يكون توني قد اقتنع بأن اقتراحه ليس مقبولاً. وأغادِرُهُ، كلَّ مساء، وأنا أرجو أن يُصاب بمرض النسيان في أثناء الليل.

لا ينسى. لا يستسلم.

- إذاً، غيّرتِ رأيَكِ؟

منتصِباً خلف المشرب، ينظر إليَّ وأنا أُمَرِّرُ الممسحةَ بين الموائد.

- ليس بعد، توني.

- لماذا لا تريدين؟

- كرّرتُ عليكَ الأمرَ مئة مرة: في السابعة والثلاثين، سيكون من المستحيل العثور على عمل.

- لكنك تقولين ذلك بنفسك: العمل هنا كثير جدّاً! ثم، من الواضح أنكِ بدأت تتعبين بعض الشيء في الآونة الأخيرة، تفقدين قواك بسرعة، ولا تتوقفين عن الشكوى.

تتوقفُ الممسحةُ في الحال. ألتفتُ نحوه:

- لا تهزأ بي! لا تبحث عن سببٍ لطردي، لن تجد، الجميع

يمكنهم أن يشهدوا بمهنيتي. أقومُ وحدي بعمل شخصَين اثنَين، فإن كنتُ أتعبُ فذلك لأنك لا تريد أن تُوَظِّفَ عاملاً آخر!

يصبُّ لنفسه كأساً ويشربُها دفعةً واحدةً.

- لن أفعل بكِ ذلك، أنا إنسانٌ عادل. وإلّا ما كنتُ لأقترح عليك اتفاقاً. أحبُّ إيستيل كثيراً، تعلمين، لا أحبُّها من أجل التسلية.

- لا أريد أن أعرف، أجيبُهُ وأنا أحاول ألّا أتصوَّر الأمر.

يستأنفُ بصوت صار رقيقاً من جديد، وقد وضع يديه مطبَقَتين على المنضدة:

- إنها فتاة طيبة، وأودُّ حقّاً أن تعمل معي. إنها موافقة، بشرط أن أستخدم أختَها كذلك.

- أختها؟ تريد أن تقول إنهما ستكونان اثنتين في العمل؟

- هذا هو المشروع.

دون كلمة، أستأنفُ تنظيفَ الأرضية محاولةً تجاهل الممسحة التي تتوسَّلُ إليَّ أن أقذفها إلى الجهة الأخرى من المشرب.

- آنا، أترفضين بسبب زوجتي؟

- عذراً؟

- أهو تضامن نسائيٌّ؟ أم إنَّكِ غيور؟

أُسقِطُ مقبضَ الممسحة وأدنو من رئيسي، غاضبة.

- تعتقد أنَّ الكُلَّ يدور حولكَ، توني؟ أتعلمُ، يمكنكَ أن تعاشر إيستيل، وأختَها، وجدَّها، والهامستر الذي تملكه إن كنتَ ترغبُ في ذلك، فأنا لا يهمني الأمر في شيء. ربما الأمرُ يتجاوز قدرتَكَ على الفهم، لكنني هنا أفكِّرُ في نفسي، وفي ابنتيَّ، وفي مستقبلي، وفي

حسابي البنكي. فأنا لا أقول لا من أجلكَ، بل من أجلي أنا فحسب. إذاً، من فضلك، توقَّفْ عن هذا الحديث. أنا لن أقبل.

يصبُّ لنفسه كأساً ثانية ويرتشفُها بصمت. ألتقطُ الممسحةَ لإتمام تنظيف الأرضية. ويأخذ غضبي في التلاشي على إيقاع الحركات، يطاردُهُ التعبُ. لم أعد سوى هيكل فارغ عندما ألتفُّ حول المشرب لأستردَّ حقيبة يدي. رئيسي لم يتحرّك.

- ليلة طيبة، توني. إلى الغد!

- آنا، يقول بإصرار. ألا يوجد حقّاً ما يمكن أن يجعلك تُغيِّرين رأيكِ؟

أشعرُ بأشواكي تنتفضُ، تستعدُّ لنفث سمومها. وعوض ذلك، ألتفتُ نحوه وأسمع صوتي ينطلقُ من فمي:

- قد يوجد أمرٌ ما...

# أخبار كلوي

لم يعد كيفين يحبني. لم يقل لي ذلك صراحةً، ادَّعى أني فوق مستواه، وأنه لا يستحقُّني. مررتُ أمام المخبز اليوم أكثر من عشر مرّاتٍ، كنتُ آمُلُ أن أراهُ وأن أناقشه الأمر. بعد كل الذي عشناه معاً، كنتُ أنتظر أكثر من مجرد رسالة نصية قصيرة. رأيتُهُ، لكن عن بُعد فقط، عندما كان يقضي استراحتَهُ. من الواضح أنَّ كلارا لم تكن فوق مستواه.

جلستُ في مدخل عمارتنا أنتظرُ ساعية البريد، وأخذتُ أفكِّرُ.

لستُ أفهم. استعرضتُ اللّائحة، صاحبتُ سبعة أولاد في حياتي. الأربعة الأوائل هجروني لأنني لم أوافق على النوم معهم. والثلاثة الباقون هجروني مباشرةً بعد أن نمتُ معهم. كنتُ أعتقد أن ذلك ما كانوا ينتظرون. لماذا عندما أمنحُهُم ما يرغبون فيه، لا يعودون يريدونه؟

كلَّ مرة، أؤمِنُ بالأمر. يكونون رقيقين، وخدومين، ويتكلّمون بضمير الجمع وبصيغة المستقبل، كيف لي ألّا أقعَ في حبِّهم؟

تؤكِّدُ إيناس أنَّ عليَّ أن أنتظر، أن أجعلهم ينضجون على مهل، وأن أترك لهم الوقتَ ليعرفوني. وتدَّعي ماريون أنني ربما لا أُحسِنُ التصرّفَ، وأنَّ عليَّ أن أراجع بعض البرامج التوضيحية على

اليوتيوب لأحَسِّنَ أدائي. وأما شارلوت فتُلخِّصُ الأمر بأنهم جميعهم خنازير. أنا، لستُ أدري. قد يكون الرجال مثل سندريلا، يتحوّلون بعد الوصول إلى مبتغاهم.

ساعيةُ بريد الحيِّ، عادةً، هي سونيا، التي كنتُ أمارسُ معها السباحةَ المتزامنة في الابتدائي. توافق دائماً أن تُسلِّمَني الرسائلَ عوض أن تضعها في الصندوق. اليوم، لم تكن هي، بل شاب ذو شعر مجعّد. أسندَ درّاجته إلى الجدار وفحصَ عشرات الأسماء حائراً.

نهضتُ:

- إذا كان الأمرُ يمكن أن يساعدكَ، أعطني ما لديك باسم مولينو.

- لا حاجة، سأجده، شكراً!

- هيّا... أنتظرُ رسالةً طارئة ونسيتُ مفتاحي.

هَزَّ رأسه.

- لستُ واثقاً من أنَّ من حقي أن أفعل ذلك.

وجّهتُ إليه ابتسامتي الأكثر قدرة على الإقناع وأنا أؤكِّد له أن مولينو هو اسمي حقيقة. طلب مني بطاقة الهويّة، فأريتُهُ إيّاها وأنا أفسِّرُ له الأمرَ:

- حسنٌ، مولينو ليس اسمي تدقيقاً، والداي مطلّقان، ولكنه اسم والدتي.

نظر إلى الصورة، ثم إليَّ، ثم إلى الصورة، ثم إليَّ.

- أنتِ أجمل من الصورة.

ابتسمتُ، وهذه المرة لم تكن ابتسامة مفتعَلَة.

فتّشَ كيسه، وأخرج منه مغلّفين وسلَّمهما إليَّ. احتفظتُ بالذي يحمل خاتم الثانوية ووضعتُ الآخر في الصندوق.

كنتُ أبتعد نحو السلّم عندما نادى عليّ.

- مولينو! أتوافقين على أن نلتقي مرة أخرى؟

اسمه لوكا، عمره عشرون عاماً، حصل مؤخراً على وظيفة في البريد بفضل والدته التي تعمل في المكتب، ويعزف على الغيتار ضمن مجموعة موسيقية، وسأذهبُ إلى السينما معه مساء يوم الأربعاء.

لم أركب المصعد، قفزتُ في درجات السلّم جرياً ليجد قلبي سبباً حقيقياً يجعله ينبض بقوة. كانت أمي قد انصرفت إلى عملها منذ ساعة، وكان عطرها لا يزال يحوم في الشقة. أغلقتُ عليَّ بابَ حجرتي، وقلتُ طاب يومكَ لصورة أبي الموضوعة دوماً عند رأس سريري، تلك التي أبلغُ فيها من العمر عامين حيث يحملني بين ذراعيه، واستلقيتُ على سريري وأخذتُ أتخيَّلُ كيف ستسير الأمور يوم الأربعاء. أرجو أن نذهب لمشاهدة فيلم عاطفيّ.

# ليلي

21 مارس

عزيزي مارسيل،

أنا آسفة لكوني لم أكتب إليك منذ أيام عديدة، لكنني كنتُ مصابة بالزكام، ولا أحكي لك عن حالي. في بعض اللحظات، كنتُ محمومة لدرجة أني لم أعد أجرؤ على الجلوس على الكراسي البلاستيكية. لا تقلق، أنا الآن بخير، وإن كان صوتي لا يزال يشبه قليلاً صوتَ غارو[1] عندما أستيقظ.

اليوم، كان يوم إضراب في مدرستي الإعدادية، كان المدرِّسون قد ذهبوا للمشاركة في استعراض الموضة في الشارع، وبما أن كلوي كانت في الثانوية، فإن أمي كانت تريدني أن أذهب عند جدّي، غير أن قضاء النهار رفقة أناس في الستين عاماً، شكراً جزيلاً، لستُ

(1) بيير غاران (Pierre Garand) المشهور بـGarou. مغنٍّ من كندا، كيبيك، اشتهر بأدائه دور كاسيمودو في الكوميديا الموسيقية نوتردام باريس (Notre-Dame de Paris). (المترجم)

تاجر آثار. ومن ثمَّ فقد ذهبتُ عند كليليا، كان والدُها موافقاً على رعايتنا، ولكنه في الحقيقة رعى التلفاز.

أحبُّ كثيراً الذهاب عند كليليا، أولاً لأن لديها كلباً لطيفاً جدّاً اسمهُ روكي، لكن خصوصاً لأن لديها فأرَين. الفئران لذيذة جدّاً، يحسب الجميعُ أنها وسخة بينما هي شديدة النظافة، ثم إنها بالغة الذكاء. شاهدتُ في برنامج كيف أنها لا تحتاج إلى مكافأة لتهبَّ إلى نجدة فئران أخرى في وضع خطر، ربما سأحبُّ الناسَ أكثر لو أنهم مثلها.

الفأران اللذان تملكهما كليليا اسمهما راتور وراتيش. كانت تعتقد أنهما أنثيان، لكن بما أنَّ راتور وضعت سبعة رُضَّع، فإما أن راتيش ذكرٌ، وإما أنَّ في الإمكان حصول الحمل عن طريق أكل الجَزَر (أرجو ألّا يكون الأمرُ كذلك). كنتُ أوَدُّ أن آخذَ أحدَها، لكنني اضطررتُ بكلِّ أسى إلى أن أرفُضَ. ذات يوم، عندما كنتُ صغيرة، شاهدنا فأراً في السلَّم. صاحتْ أمي بأعلى صوتها إلى درجة أنَّ طبلتَي أذنَيّ انتحرتا لدقائق معدودة، ثم نزلت الدرجاتِ كأنها تنتعلُ حذاء التزحلق على الجليد. لذلك، أذهبُ عند كليليا كلما أُتيح لي الأمر، نأخذُ راتيش وراتور على كتفينا ونذهب للنزهة، يأتيان ليشربا من لساننا وهما يضعان مخالبهما الصغيرة على شفاهنا، أمرٌ غايةٌ في اللطف.

بعد ذلك، عدتُ إلى البيت لأُنجِزَ عرضي حول أضواء الشفق القطبيّ، كانت كلوي لا تزال حابسةً نفسَها في غرفتها تُنصتُ للموسيقى، لم تردَّ عندما طرقتُ عليها البابَ ولم تخرج لتناول طبق غراتان المعكرونة الذي كانت أمي قد أعدَّتْهُ لنا قبل أن تخرج.

الآن، سأذهبُ للنوم، لأنني لا أعلم حالكَ، أما أنا فإني أكاد

أهلك من التعب. سأُنظِّفُ أسناني غداً، أرجو ألّا تُحِسَّ أمّي بذلك عندما ستأتي لتقبيلي عند عودتها.

قبلاتي مارسيل، وليلة سعيدة!

ليلي

ملاحظة: أشعر بالبرد في رجليَّ لذلك مرّرتُ مُجفِّفَ الشعر فوق غطائي، لكن ما أن ذهبتُ لأعيده إلى مكانه حتى كانتا قد بردتا من جديد.

## آنا

أنا عاطلة عن العمل. منذ استيقظتُ، أكرِّرُ على نفسي هذه الجملة دون توقف، كأنني أودُّ أن أقتنع بها. قريباً سينتصفُ النهار، عدتُ للنوم بعد انصراف كلوي وليلي إلى المدرسة. لم أتكاسل في فراشي منذ مدة طويلة، ولم أستمتع بالوقت. الأمر ممتعٌ حقّاً، لكن ما ينبغي لي أن أستمرئه. بدءاً من زوال هذا اليوم، سأشرع في البحث عن عمل جديد. وعندما سأعثُرُ على عمل، وعندئذ فحسب، سأُخبر البنتَين. لا جدوى من إقلاقهما، يكفي قلقي أنا.

لم يقبل توني اقتراحي في الوهلة الأولى. سخر منه في البداية، إلى أن أدركَ أني جادَّةٌ فيما أقول. إما أن يوافق، وإما أن أبقى. لم يُكلِّمني مدة يومَين، ثم سلَّمني أمس مظروفاً.

- قلتِ لي إنّكِ تُفضِّلين المبلغَ نقداً؟

كان فيه أوراق نقدية من جميع الفئات، كأنَّ بين يديَّ بنك لعبة المنوبولي. تبعتُهُ إلى مكتبه، ووقّعنا فسخَ العقد بالاتفاق، وسلّمني جميع وثائق نهاية العقد.

- كان اليوم آخر يومٍ لكِ في العمل، أضاف. أُعفيكِ من الإشعار بالاستقالة.

- لستُ متأكِّدةً من أنَّ في إمكاننا أن نفعل مثل. . .

- آنا، لن تضايقيني مع كل هذا المبلغ الذي أمنحكِ إياه؟

خفضتُ رأسي، وانعقدت حنجرتي. كانت تلك آخر مرة أحضر فيها في ذلك المكان. لم أجد حتى الوقت لتوديع الزبائن الأوفياء، أندريه وجوزيان اللذين كانا يأتيان كلَّ أربعاء منذ عشرة أعوام، ويجلسان في المائدة القريبة من النافذة، وبرتران وجمال وديلان، الذين كانوا يطلبون قائمة الطعام السريع كلَّ منتصف النهار ويتركون دائماً بعض القطع النقدية بالإضافة إلى قسائم المطعم، ومارلين التي كانت تأتي لترتشف القهوةَ كلَّ مساء، لتؤجّل وحدتها لدقائق معدودة.

- حسناً، إذاً شكراً توني. أتعرف؟ كان الأمر شاقّاً، لكني كنتُ أحبُّ العملَ هنا.

بدا لي أن عينَيه تلمعان. استدار نحو المدخل.

- أعرفُ، أدَّيتِ عملاً جيّداً. هيّا، الأمر لا يتعلَّقُ بعملك، يجب أن أغلق، زوجتي ستنتظرني!

في الخارج، كان الجو بارداً. شرع توني يُسدِلُ الباب، ثم وضع قبلة مترددة على خدي.

- أرجو أن تجدي عملاً أفضل.

لم أستطع أن أجيبه، التحقتُ بسيارتي وأنا آمُرُ دموعي ألّا تبرحَ مآقيها.

داخل السيارة، عددتُ الأوراق النقدية.

ليس ما يكفي لشراء قصر، لكن المبلغ يكفي لتسديد جميع ديوني، وإن شددتُ الحزامَ، يمكنني أن أتخلَّص من خشيتي المُحضرين مدَّةَ شهرَين أو ثلاثة. وبقليل من الحظ، قد أجد عملاً

أعلى أجرة، يسمح لي بالحصول على موارد أعلى من مصاريفنا. في النهاية، ربما كانت نهاية ذلك العقد أمراً جيّداً، قلتُ في نفسي وأنا أنطلق بالسيارة.

ومنذئذ، أقامَ القلقُ في داخلي. وماذا إذا قضيتُ شهوراً لا أجدُ عملاً؟ وإذا لم أجده أبداً؟ وإذا انتهى بنا الأمرُ في الشارع؟

أنهضُ قبل أن تقضيَ الأفكارُ السلبيةُ على إرادتي. أخلعُ سدّادتَي الأذن، اللتين وضعتُهما هذا الصباح، عندما حسب الجارُ في الطابق الأعلى نفسَهُ ماريا كاري التي قد تكون ازدردت غارو، وغادرتُ حجرتي.

أعيدُ إغلاق الباب النافذة وأنا أتنهّدُ. دائماً تتركُها ليلي مشرعةً، صيفاً وشتاء، كأن وظيفة «إعادة رفع مقبض النافذة» قد مُحِيَتْ تماماً من دماغها. لا تزال أواني أمس المتّسخة موضوعة على الطاولة الخفيضة. إن أنا أعدتُها إلى مكانها ستستمرُّ البنتان في الاعتقاد أن ذلك دوري أنا. وإن أنا أهملتُها، فبعد شهر واحد ستُصبح الحجرة مهجورة. أدفعُ بابَ المرحاض وأنا أعِدُ نفسي بأن أجد وسيلةً لأجعلهما تشاركان في أعباء البيت، عندما برزت أمام عينيَّ مؤخّرةٌ، مؤخّرةٌ شديدةُ البياض، ومجهولة. رجلٌ منشغِلٌ بالتبول في مرحاضي.

– هاااااااااااااااااااااااااا! أقولُ.

– هااااااااااااااااااااااااااا! تجيبُ المؤخّرةُ.

أعيد إغلاق الباب وأنا أمسكُ بالمقبض لأمنعه من الخروج، وأنا أواصِلُ الصراخ. أفكّرُ في كيفية الاستنجاد بالشرطة بواسطة هاتفي الموجود في الحجرة عندما نزلَت كلوي وهي تجري، منفوشة الشعر.

- كلوي، لا تقتربي، يوجدُ شخصٌ في مرحاضنا!

احمرَّ وجهُها. أفهمُ الأمر.

- كلوي؟ ماذا تفعلين هنا، ألستِ في الثانوية؟

لا جواب. وهل أنا حقاً في حاجة إلى جواب؟

أفتحُ بابَ المرحاض، فيتسلَّلُ الرجلُ نحو حجرة كلوي دون أن يلوي على شيء، ودقيقتان بعد ذلك يغادر الشقة. أظلُّ لوحدي لحظةً، أحاول أن أُهدِّئ ارتعاشاتي وأن أستوعبَ الخبرَ الأليم: ابنتي لم يعد عمرُها خمس سنوات، ثم ألحقُ بها.

- ألا تعتزمين أن تُفسِّري لي الأمرَ؟

تُحملِقُ في السقف، مستلقيةً على فراشها الفوضويِّ. والدموع تغمر خدَّيها.

- كلوي، أجيبيني. أهو صاحبُكِ؟ منذ مدة طويلة؟ ألم يكن لديكِ دروس؟

أدنو منها وأجلسُ بجانبها. فترتمي بين ذراعيَّ، وجسمُها ينتفضُ من البكاء. أُبعِدُها عنّي بحزم.

- كلوي، يجب أن تتحدثي إليّ. منذ متى تعاشرين ذلك الولد؟ ماذا تفعلين في البيت؟

تمسحُ دموعَها، وتجلس مستنِدةً إلى الجدار، وتجمع ساقَيها إلى جذعها، وتغرسُ عينَيها في عينيَّ:

- وأنتِ، ماذا تفعلين في البيت؟

# أخبارُ كلوي

لم يعد لوكا يردُّ على رسائلي. أكَّدتُ له أنني لم أكن على علمٍ بوجود أمي في البيت ذلك اليوم، وأنَّ الأمر لن يتكرر، لكنه يظل صامتاً كالميّت.

انتظرتُ في الشرفة أن يمرَّ لتوزيع البريد، لكنه أُرسِلَ إلى حيٍّ آخر لأن سونيا استأنفَت عملها. كنتُ أودُّ أن أذهبَ لرؤيته، لكنني معاقَبَةٌ. لا تسمح لي أمي سوى بالذهاب إلى الثانوية وإلى الشرفة، إنه الجحيم. ثم إنها الآن دائماً في البيت. أكاد أكون مضطرَّةً للاستئذان للذهاب إلى المرحاض. أودُّ لو أستطيعُ تسريعَ وتيرة الزمن لأجد نفسي وقد انصرمت ثلاثة أشهر وثلاثة أسابيع ويومٌ واحدٌ لأصبح راشدةً.

إنها المرة الأولى في حياتي التي أُحبَسُ فيها. الأمر شديدُ القسوة، غير أنَّ الأدهى منه: أن أمي لم تعد تثق فيّ. لقد خيّبتُ أملها.

طرحتْ عليَّ الكثير من الأسئلة، كانت تريد أن تعرف كلَّ شيء. ولم أكن أجيبُ، فعمدَتْ حينئذ إلى تفتيش أغراضي. وعندما يبحث المرءُ، يجدُ.

عندما عثرت على ظرف حبوب منع الحمل، صار لون وجهها أحمر، وغادرَت حجرتي.

ذهبتُ لألحق بها في وقت متأخّر، في المساء. كانت تشاهد التلفاز رفقة ليلي. كانت عيناها محمرّتين. قلتُ لها إني آسفة. فتحتْ ذراعيها، فانحشرتُ بينهما. داعبتْ رأسي، وكنتُ أسمعُ قلبَها ينبضُ بقوة.

- كلِّميني، حبيبتي، همستْ في أذني. أخبريني عمّا بكِ. كيف يمكنني أن أساعدكِ؟

لم أُجبها. أعرف ما بي. ولا أعرفُ كيف يمكنها أن تساعدني. أجهشتُ بالبكاء فحسب، عالياً، وطويلاً.

في وقت متأخر، جاءت أمي لتُقبّلني في فراشي. قالت لي إنها لا تستطيع أن تظلَّ هكذا دون أن تفعل شيئاً، وإنها لا تستطيع أن تتركني أُخرِّبُ نفسي بتلك الطريقة. وأضافت أنها مضطرّةٌ، وإن كانت تعلم أنه ليس حلّاً، إلى أن تعاقبني، لتحميني.

- لا يمكنكِ أن تمنعيني من الخروج، أجبتُها.

- بلى، كلوي. أنا أمُّكِ، وأنتِ قاصرٌ، أستطيع فعلاً أن أمنعكِ من الخروج.

تلوّى بطني من الحنق.

- تريدين أن أنتحر، هذا ما تريدين؟

لمحتُ الخوف يعبرُ نظرتَها، لكنها وضعتْ على جبيني قُبلةً وغادرتْ حجرتي. نمتُ وأنا أبكي، مُحتضِنَةً صورة أبي.

# ليلي

25 مارس

عزيزي مارسيل،

قالوا، قبل قليل، في الأخبار، إنَّ اليوم هو يوم التسويف. إذاً سأكتبُ لك غداً.

قبلاتي.
ليلي

# آنا

ناظرُ ثانوية كلوي اسمهُ مارتان مارتان. أتساءلُ، وأنا أنتظرُ أمام مكتبه، عمّا دار في ذهن والدَيه عندما اختارا اسمَهُ الشخصيّ. لا تحضرني سوى إمكانيتَين: إما أنهما لم يكونا يحبّان ابنهما، وإما أنهما كانا تمتامَين.

- السيدة مولينو، يمكنكِ الدخول!

يُشرِعُ الرجلُ الخمسينيُّ البابَ أمامي. أُصافِحُهُ وأجلسُ على الكرسيِّ حيث يُشير.

- أنا سعيد بلقائكِ أخيراً، يُعلِنُ وهو يجلس بدوره.

- أخيراً؟

- أجل، من مدّة وأنا أرغبُ في رؤيتكِ. الأمر يتعلّق بكلوي، أليس كذلك؟

يغمرني إحساسٌ كريهٌ، وهو ما يسبق عادةً الأخبارَ السيّئة. أُطلِعُ الناظرَ على أسباب قلقي، فيُنصِتُ إليَّ بإمعان، وقد شبكَ يديه تحت ذقنه. كانت نتائجُ كلوي الأخيرة ممتازة، والأساتذة يمدحون سواء عملَها أو سلوكها. كثيراً ما اعتبرتُ نفسي محظوظةً لكوني أُمّاً لفتاةٍ سهلة التربية. كانت تتكيَّفُ مع العالم الذي يحيط بها بطريقة الحرباء، بيُسرٍ وفضولٍ. ومنذ وقت قصير، تبدو الحرباءُ وكأنها

تجمّدت في اللون نفسه، وهو لونٌ تغلبُ عليه القتامةُ. وأشعرُ بالعجز. ربما يكون الناظرُ أو أستاذٌ قد لاحظَ شيئاً ما؟

يهُزُّ مارتان مارتان رأسهُ مراراً ويُصلِحُ وضعَ نظارته.

- ألم تتوصّلي برسائلي؟ يسألني.

- رسائلكَ؟

- حسناً. كنتُ أستغربُ عزوفكِ عن الجواب، لكن كلوي كانت تؤكد لي أنكِ تعملين كثيراً. بعثتُ إليكِ برسائل عديدة. لقد راكمتْ ابنتُكِ الغيابات في الأسابيع الأخيرة، ففقدَت كلَّ اهتمام بدراستها. استدعيتُها عدة مرّاتٍ لأحاول أن أَفهمَها، فتُؤكِّد لي أنَّ كلَّ شيء على ما يُرام. هل طرأ حادثٌ يمكن أن يُفسِّرَ هذا التحوُّلَ في السلوك؟

تصطدمُ كلماتُهُ بدماغي.

- أأنتَ واثقٌ من أنك تتحدثُ عن ابنتي؟ كلوي لوروي؟

إنه واثقٌ. يُعدِّدُ، مدَّة ثلاثين دقيقة، الغياباتِ، والوقاحات، ويعرضُ عليَّ كلماتِ اعتذار أقرأها وأطّلِعُ على توقيعي الموجود أسفلَها، يُحدِّثني عن ابنتي، ابنتي اللطيفة، ابنتي كلوي الوديعة، وأشعُرُ كأنه يصفُ لي فتاةً غريبةً. فتاة غريبة على وشك أن تُضَيِّعَ حياتها.

لا بدَّ أن الاندهاش مقروءٌ على وجهي، لأن مارتان مارتان يمدُّ لي منديلاً. آخُذُ العلبةَ.

عندما يرافقني إلى الباب وهو يتمنى لي الشجاعة، تكون العلبةُ قد صارت فارغةً مثلها مثل خزّان دموعي.

أقود السيارةَ لعدَّة دقائق بلا هدف. لم يكن من المفترض أن

ينصرم هذا النهار على هذا الوجه. كنتُ قد خطَّطتُ لعشاء فاخر رفقة ابنتيَّ للاحتفال بنهاية مشاكلنا: الأستاذ رونار ضرب لي موعداً في الأسبوع القادم لتسوية ديوني. ينبغي أن أكون خفيفة، ألّا أزِنَ الأطنان. كيف أمكنني ألّا أرى أيَّ شيء؟ كنتُ أعتقدُ أنَّ كلوي لا تُخفي أمراً عني. لا بدَّ أنها تشعر بنفسها وحيدةً. ولا بدَّ أنَّ حالتَها شديدة السوء. دون تفكير، أركُنُ السيارةَ، نصفها على الرصيف، وآخُذُ هاتفي.

يرُدُّ بعد ثلاث رنّاتٍ.

- مرحبا، أنا آنا.

- مرحبا آنا، ما أطيب أن أسمع صوتَكِ. هل أنتِ بخير؟

يبعث صوتُه الرقيقُ آلافَ الذكريات. أتنحنحُ.

- ليس تماماً. كلوي لديها بعض المشاكل، أعتقد أنَّ عليَّ أن أُحدِّثكَ في الأمر.

- أحسنتِ فعلاً. حدِّثيني.

أحكي له ما حدث. الدموع، وفترات الصمت، والغيابات، والأكاذيب، والأولاد، والثانوية. لا أُغفِلُ شيئاً أبداً.

- إنها صرخاتُ استنجاد، إنها ليست بخير. لا بدَّ أنها تشعر أنها وحيدة، بيننا نحن الاثنين، بيني أنا التي أعمل كثيراً وبينك أنتَ الذي تعيش في مارسيليا.

- لا ينبغي لكِ أن تشعري بالذنب، آنا، أنتِ تقومين بكلِّ ما في وسعكِ. وأنا كذلك. أتصلُ بهما على سكايب على الأقل مرةً في الأسبوع وآخذهما معي كلَّما أتيحت لي الفرصة.

- لم ترياكَ منذ أكثر من عامٍ.

يصمتُ ثوانيَ عديدة، ثم يستأنِفُ:

- أعلمُ، أعلمُ، وهذا يؤلمني كثيراً. أمّي جِدّ متعَبةٍ هذه الأيام، لا أستطيعُ أن أستقبلهما في بيتها. أتمنى لو كنتُ قادراً على توفير مصاريف سفري. . . أشتاقُ إليهما كثيراً، تعلمين.

ينكسرُ صوتُهُ. يأخذ نفساً طويلاً متقطّعاً.

- أحياناً، أندمُ على ذهابي بعيداً. ربّما كان عليَّ أن أفكِّر في الأمر قبل أن أُقبِلَ عليه، لكنها كانت مسألة بقاء. لم يكن في إمكاني أن أبقى قريباً وأنا أعلمُ أنّكِ لم تعودي تريدينني.

- حسناً، سأترُكُكَ، ماتياس.

تسارعَ نبضُ قلبي، وتعرّقتْ يدايَ، أعرفُ جيّداً هذه الأعراض.

- آنا، يكفي أن تقولي كلمةً واحدةً لأهجر كلَّ شيء هنا.

- لا أطلبُ منكَ سوى أن تحاول رؤية ابنتيك. لا ينبغي لهما أن تدفعا ثمن كلّ هذا.

- ولا نحن كذلك.

- أتركُكَ، طابَ يومُكَ ماتياس.

لا يزال صوتُهُ ينطلقُ من الهاتف عندما أُقفِلُهُ. تأخذُ أذناي في الطنين، ويستولي الارتعاشُ على فكّي. أغمضُ عينيَّ وآخذ نفَساً قصيراً، ثم أَشهقُ به طويلاً، مثلما علَّمني الطبيبُ النفسيُّ الذي كنتُ قد استشرتُهُ بعد حصول أزمة فزعي الأولى. زفيرٌ قصير. شهيقٌ طويل. زفيرٌ قصير. شهيقٌ طويل. تهدأُ الارتعاشاتُ. زفيرٌ قصيرٌ. شهيقٌ طويل. زفيرٌ قصير. شهيقٌ طويل. لقد مَرَّ الخطرُ.

أشعُرُ أني مستعدَّةٌ لاستئناف الطريق عندما يرنُّ الهاتفُ. رقمٌ مجهول. أفتح الهاتف.

- السيدة مولينو؟

- أجل.

- طاب يومُكِ سيدتي، مارتين لاروش، الحارسة العامة بالمدرسة الإعدادية إيميل زولا. ينبغي أن تحضري بأسرع وقت، لدينا مشكلة مع ليلي.

# ليلي

30 مارس

Dear Marcel,

How are you? (كانت لديَّ حصة اللغة الإنجليزية هذا الصباح). أنا بخير تقريباً، إلّا أن أمي قد صارت ثقيلة منذ صارت في البيت كلَّ الوقت. ربما كانت ثقيلة حتى قبل ذلك، لكن بما أننا كنّا نراها أقل، كان ذلك يبدو أقل، هذه نتيجة رياضية.

إنها لطيفة، صحيح، لكنها تريدني أن أُنظِّفَ المائدة في كلِّ حين، وأن أرتِّبَ فراشي، وأن أُشرِعَ نافذتي، وأن أُطلِقَ الماء في المرحاض، أعتقد أنها تحسبني سندريلا! والآن صار لديها اعتقاد راسخ أنني أعاني من التنمّر في الإعدادية، كلُّ ذلك من أجل تفصيل صغير.

سأحكي لكَ، وأنتَ ستُخبرني برأيكَ في ذلك.

ابتدأ كلُّ شيء في حصة الجغرافيا. كنّا، رفقة كليليا، نُقدِّمُ عرضنا حول الشفق القطبيِّ، وكان الأستاذ يبدو راضياً، هذا افتراضٌ فحسب، لأنَّ مظهرهُ عندما يكون راضياً لا يختلفُ عنه عندما يكون غاضباً. على كل حال، لم يَنَمْ وهذه علامة جيّدة.

كنَّا قد اشتغلنا جيّداً، وينبغي أن أقول إننا كنا محظوظتين لعثورنا على ذلك الموضوع، حتى ماما وكلوي وجدتا الأمرَ رائعاً، على عكس جولييت ومانون اللتين اضطرَّتا للقيام بأبحاث عن سهول التُّنْدرا الجرداء. كنَّا قد أعددنا عرضَ شرائح مصوَّرَة، كلُّ الفصل أحبَّ ذلك، وأعلنتْ مانون أنَّ من السهل جدّاً الحصول على علامة جيّدة مع كل هذا. رَدَّ عليها الأستاذ فانييه أنَّ تقويم العمل لن يستند إلا إلى قيمة العمل، وأنّه لن يتأثَّرَ بطبيعة الموضوع، لكن جولييت غمغمتْ قائلة كأنَّ الأمر صدفة أن تكون الواشية هي التي وقعت على أفضل موضوع (أنا لستُ واشيةً). لستُ أدري لماذا شعرتُ أنها تتقصّدني، وقلتُ أُفضِّلُ أن أكون واشيةً من أن أكون غيوراً. هنا، أجابتني مانون أني بوجهي الشبيه بخنزير الهند، لا أدعو حقيقة إلى الغيرة، فأجبتُها أني أُفضِّلُ أن يكون لي رأس خنزير الهند من أن يكون لي رأس جندول. أمرَنا الأستاذُ أن نتوقف، فأكملنا عرضَنا وذهبنا إلى حصة الرياضيات. وهناك حدث ذلك. لم أُحِسّ بوقوع الأمر، أحسستُ بمن يشدّني من شعري من الخلف فحسب.

عندما حضرتْ أمي لتأخذني من مكتب السيدة لاروش، كان لها المظهر نفسه الذي تكون عليه عندما تكون على وشك أن تعطس. ينبغي أن أقول إنَّ ضربة مانون كانت بليغةً، سأسألُها عن ماركة مقصِّها. تقول كليليا إن الأمر مثيرٌ، يصنع مثل ذؤابة خلف رأسي، أما أنا فالأمر كان سواء بالنسبة إليّ، فالشَّعر كان سينمو من جديد. غير أن أمي مقتنعة أنني ضحيةُ تنمُّر، وأنَّ الأمر جدُّ خطير، ولا يتعيّنُ التوقُّفُ عند ذلك الحدِّ، ومنذئذ لا تتوقف عن إغراقي بالقبلات.

ستُعرَضُ مانون على المجلس التأديبي، أرجو ألا تتعرَّضَ للطرد.

إذاً، ما رأيُكَ، مارسيل، في كل ذلك؟ سأغلقُكَ وأرمي بكَ في الهواء. إن سقطتَ مفتوحاً، فذاك يعني أنَّكَ متَّفِقٌ معي، وإن وقعتَ مُغلَقاً، فذاك يعني أنَّكَ متَّفِقٌ مع أمي.

حسنٌ، وقعتَ مغلَقاً. كنتُ أعلمُ أنَّكَ واشٍ.

بِلا قبلات.

ليلي

ملاحظة: أحبُّكَ على الرغم من ذلك.

# آنا

تنتظرني جدَّتي في حجرتها، كعهدها كلّ خميس. صبغَتْ خدَّيها بالورديِّ وتعطّرت بعطرها المُفضَّل. أعَدَّتْ قدحين وزجاجة ليمونادا فوق طبقٍ. أنحني وأُقبِّلُها.

- كيف حالكِ، بنيّتي؟ تسألني.

- بخير، جدتي، وأنتِ؟

تضغطُ عينيها وتتفحّصُني إلى أن أعترف. لا أستطيعُ أن أُخفيَ عنها أيَّ شيء، جدتي كاشِفة الأكاذيب.

أجلسُ عند قدم سريرها وأحكي لها الأسبوعَ الفوضويَّ الذي مَرَّ بي. أتخلَّصُ عند قدميها من تلك الأكياس الثقيلة التي لا أقدر على حملها.

- أشعُرُ أنهما في حاجة إليَّ، لكنني لا أعرفُ كيف أساعدهما. إن أطعتُ نفسي، سأترُكُ كلَّ شيء وسآخُذُهما بعيداً عن هنا!

تضعُ كأسَها من جديد، وتمسحُ فمَها بمنديل.

- وإذاً، افعلي ذلك.

- كيف ذلك؟

- أنصتي إليَّ، هذه المرّة. اتبعي حدسَكِ. لديك رغبةٌ في

الرحيل، ارحلي. قد لا يكون ذلك هو الحلُّ، لكن أَتَرَيْنَ حلاًّ آخر؟

- لكنني لا أستطيعُ، جدتي!

تطرُدُ احتجاجاتي بحركة من يدها.

- ما الذي يمنعُكِ؟ إن يكن المانعُ المال، ما عليكِ إلا أن تأخذي المالَ الذي منحكِ إياه صاحبُ العمل، وستكون أمامكِ الحياةُ كلُّها لتسديد ديونكِ. لا أملكُ الكثير، لكنني أنا أيضاً يمكنني أن أساعدكِ بعض الشيء.

أتفحَّصُ وجهَ جدّتي وأنا أتوقَّعُ أن تفتخر، ضاحكةً، من الخدعة التي قد أكون صدّقتُها.

- لا داعي لأن تنظري إليَّ هكذا، تُغمغِمُ، لستُ عرضةً لأزمة جنون!

أَهُزُّ رأسي ضاحكةً.

- جدتي، لا يمكنني أن أرحل. المسألة لا تتعلّقُ بالمال فقط، هناك أيضاً مدرسة البنتَين، وبحثي عن العمل. المهمُّ، الأمرُ مستحيل. وفي جميع الأحوال، لن أعرف حتى إلى أين سنذهب. . .

- أنا واثقةٌ من أنّكِ ستجدين. حدَّثْتِني عن الشفق القطبيِّ، أليس كذلك؟ تُضيفُ وهي تغمز بعينها.

- هيَّا، نهاية الحديث! أترغبين في أن نخرج في نزهة؟

- بكلِّ سرور! لم أعد أطيقُ هذه الجدران.

أنهضُ، وأمسِكُ بمقبضَيْ كرسيّها وأقودُها عبر ممرّات دار العجزة حيث تقطُنُ منذ عجزت عن استعمال رجليها. في الحديقة، استعاد اللونُ الأخضرُ حقوقه بعد شهور من البُنّي. مجموعاتٌ صغيرةٌ من المسنّين يستفيدون من عودة الشمس.

- تَمُرُّ الأمورُ بسرعة، تعلمين، همستْ لي جدتي.

- لماذا تقولين لي هذا؟

- لأنني أحبُّكِ، بنيّتي.

تنعقدُ حنجرتي. أنا أيضاً، أحبُّكِ، جدتي صغيرتي. أحبُّكِ لدرجة أني أتعذَّبُ كلما أتيتُ لزيارتكِ. أحبُّكِ لدرجة أنّي أمرضُ وأنا أشهدُ على زوالكِ التدريجي، وأن أعلمَ أنّكِ قريباً ستختفين تماماً. أحبُّكِ لدرجة أني أبكي بشدّة في الليل إلى أن تحترق عيناي، وأصرخ في صمت وأنا أفكّرُ فيكِ، في كلِّ تلك الأعوام حيث كنتِ واقفةً على قدميكِ، حيث كنتِ قويَّةً، أقوى من الحِداد، وأقوى من السرطان، وحيث كنتِ شابّةً، كلَّ تلك الأعوام حيث اعتنيتِ بي، وحيث كنتِ ملجئي، ودعامتي، وكلّ شيء بالنسبة إليّ.

أبلعُ حزني وأرتدي ابتسامةً.

- بنيّتي، أيمكنني أن أسألكِ عن أمر؟

- أُنصِتُ إليكِ، جدتي.

- إذا ما ذهبتِ لرؤية الشفق القطبيِّ، أيمكنُكِ أن تُسْدي لي خدمةً؟

# أخبار كلوي

أخبرتْني إيناس، البارحة، أنها التقت بأمي وهي تخرج من مكتب الناظر. كانت تبكي. هذا المساء، منعتُها من الدخول إلى المطبخ، وأعددتُ دجاجةً بالزيتون. أكلنا ثلاثتُنا، أنا وليلي وماما، دون تلفاز ولا هواتف. حدثتْ فتراتُ صمتٍ كثيرة، لكننا تحدَّثنا أيضاً. عن العمل الذي تودُّ أمي أن تجدهُ، وعن قَصَّةِ شعر ليلي الجديدة، وعن الشفق القطبيِّ، وعن سرقة الدراجات من القبو، وعن الصلصة التي تشبه الهريس. وفي أثناء التحلية، ارتأيتُ أنَّ الوقتَ مناسبٌ لأعلن لهما الخبر.

- سأتوقَّفُ عن الدراسة بالثانوية.

توقفت ليلي عن النفخ في اللبن لتبريده. ووضعتْ أمي ملعقتَها.

- كيف ذلك، ستتوقّفين عن الذهاب إلى الثانوية؟ سألتني وهي تتلفَّظُ كلمة كلمة. ألا ترغبين في الذهاب إلى الكليّةِ؟

- لا، أُفضِّلُ أن أتوقَّفَ الآن. يبحثون عن عمّال في مطعم مدرسة الحضانة، ويمكن لأُمِّ إيناس أن تتدخَّلَ لصالحي.

- وماذا عن شهادة البكالوريا؟

رفعتُ كتفيَّ، لكنَّ عينيَّ استمرّتا في النظر إلى المائدة.

- لا فائدة منها. وفي جميع الأحوال ينبغي أن أعمل، أن أجني المال.

لم تنبس أمي ببنت شفة. غادرَت المطبخ دون أن تُتِمَّ تناول جبنها الأبيض. كنتُ أعرفُ أنها ستشعر بالخيبة، لكنها ستفهم، يوماً ما. إنما أفعل هذا من أجلها. حلمي أنا أن أرحل للعيش في أستراليا، مثل بابا عندما كان شابّاً. قضيتُ ساعاتٍ أبحث في الوثائق، بل إني شرعتُ في تكوين الملفّ قصد الحصول على تأشيرة عطلة العمل والطيران إلى هناك ما أن أبلغ سنَّ الرشد. يمكنني أن أجد عملاً نادلةً في مطعم، فهم يعشقون الفرنسيات، وسيكون أمراً رائعاً أن أحصل على المال وأنا أتعلّمُ الإنجليزية. بل قد أستطيعُ أن أترسَّمَ في عملي وأشتري بطاقتَيْ الطائرة لأسرتي لتأتيان لرؤيتي.

لكنني لا أستطيعُ أن أتركَ أمي.

ينبغي أن يساعدها أحد على تسديد فواتيرها. تحاولُ أن تُخفِيَ ذلك عنّا، لكنني أرى جيّداً أنها غير قادرة على دفعها. ولا أستطيعُ الآن، وقد أصبحَت عاطلة عن العمل، أن أنتظر أكثر. من الأفضل أن تُضحِّيَ واحدةٌ منّا بنفسها، من أن نغرق ثلاثتُنا.

عادت أمي إلى المطبخ بعد برهة قصيرة، لم نكن قد تحرّكنا من مكاننا. اتّخذت لها مكاناً تحت الضوء، وقد شبكت ذراعيها. لم أكن قد لاحظتُ من قبل عمق الهالة الغامقة حول عينيها. انتظرَتْ أن نرفع بصرَنا إليها وقالت، بلهجة تريد أن تقول «الأم هي أنا»:

- اذهبا لجمع حقيبتيكما، سنرحل.

# آنا

لم يستسغ الأستاذ رونار أن أُرجِئ موعد لقائنا. تذرّعتُ بمشكلة عائلية، وهو الأمر الذي لم يكن زائفاً تماماً، ووعدتُهُ أن أتّصِلَ به في أقرب فرصة.

ولم تكن الحارسةُ العامةُ في إعدادية ليلي أصعب مَنْ كان عليَّ أن أُقنِعهم. اتّفقتْ معي أنني لا أستطيع أن أتركَ ابنتي في تلك الوضعية، ومنحتني جميع الوثائق الضرورية.

أما ناظر ثانوية كلوي فقد استفسرني طويلاً. فارتجلتُ. ظلَّ مارتان مارتان متشكِّكاً، لكنه أقَرَّ أنه لا يملكُ أيَّ وسيلة لمنعي من تحقيق ذلك المشروع.

جدتّي هنّأتني. منذ مدة طويلة لم أشاهد تلك اللّمعةَ في نظرتها، خصوصاً إبّان اللحظة التي وصفَتْ لي فيها بدقّة الخدمةَ التي ترجو أن أسديها لها.

أبي وجانيت، اللذان كنتُ أحسب إقناعَهما أيسر، تطلَّب الأمر مني ساعة من النقاش. وفي الأخير، كانت الحجّةُ التي أقنعتهما هي الحجّة ذاتها التي حملتني على اتخاذ القرار.

«أبي، للمرة الأولى في حياتي، لديَّ الاختيار. أستطيع، بالمال، أن أُسدِّدَ ديوني. أو أستطيع أن أعمل على مساعدة ابنتَيّ».

# ليلي

3 أبريل

عزيزي مارسيل،

أعتقدُ أن الأمر قد حصل، لقد فقدَت أمي صوابَها. أكتبُ لكَ من الكرسيِّ الخلفِيِّ في سيارة تخييم جدّي، من مكان ما في ألمانيا.

تقودُ السيارةَ منذ هذا الصباح، لم نتوقّف سوى من أجل تناول ساندويتش في باحة استراحة بالطريق السيّار. كان هناك رجال شرطة بالبدلة، كدتُ أرتمي عليهم طالبةً النجدةَ، لكنني لا أدري كيف يقال النجدة بالألمانية، عندئذ أكلتُ ساندويتشي بالفرنسية.

مساء أمس، قالت لنا أن نجمع حقيبتَينا، فظننتُ أنها تريد أن نذهب لزيارة والدنا، فشعرتُ بالاشمئزاز، ليس لديَّ ما أحكيه للمارسيلي، بالإضافة إلى أني مُجبَرة على الحديث إليه على سكايب. لكن عندما أكّدتْ علينا أن نأخذ أغراضاً دافئة، استرحتُ للأمر. ألححتُ لأعرف إلى أين سنمضي (أوافقُ أن أكون لطيفةً، لكنني لا أريد أن أكون مسخَرَةَ المهزلة)، فأجابتْ أننا سنذهبُ لمشاهدة الشفق القطبيِّ في اسكندنافيا. أقول لكَ إنها فقدتْ عقلَها.

أنا متأكِّدةٌ أنَّ كلَّ ذلك بسبب عَرْضي. لحسن الحظّ أنَّ موضوعَهُ لم يكن حول الثقوب السوداء.

هذا الصباح، ذهبنا لتوديع أمِّ جدَّتي. سلَّمتْ لأمي علبةً، يبدو أنَّ بداخلها جرّة بها زوجُها. كانت قد وعدَتْهُ أن ترميَهُ في أعالي النرويج، في القمّة التي لا أتذكّرُ اسمَها، لأنهما كانا قد سافرا إلى هناك معاً، لكنها لم تجد أبداً الشجاعةَ للقيام بذلك، والآن لا يمكنها ذلك بسبب رجلَيها. إذاً، طلبتْ من أمي أن تفعل ذلك من أجلها. لم أعرف جدّي، لكن لا بدَّ أنه كان صغيراً جدّاً لتَسَعَهُ العلبةُ.

ثم بعد ذلك، ذهبنا عند جدِّ والدتي، شرحَ لنا كيف تعمل سيارة التخييم، لم أفهم كلَّ الأمور، باستثناء مسألة المرحاض. يوجد ما يُشبه صندوقاً يتعيَّنُ تفريغُهُ عندما يمتلئ. أستطيع أن أقول لكَ إني أُفضِّلُ قضاء حاجتي عبر النافذة والسيارة منطلِقةٌ بسرعة في الطريق السيّار على أن أُفرِغَ ذاك الشيء.

وبما أنني لستُ واثقةً من العودة حيَّةً، سأغتنمُ الفرصةَ لكتابة وصيّتي، وستُسَلِّمُها أنتَ لمتعهِّدي الجنائز عند الحاجة.

أنا الموقِّعة أدناه ليلي، في كامل قوايَ الجسدية والعقلية،

أتركُ مجموعة حجارتي المعدنية لكليليا، أعرف أنها ستعتني بها جيّداً.

وأتركُ سواري البرازيلي البنفسجيَّ لراتيش وسواري البرازيلي الأخضر لراتور.

وأتركُ معجمي لمانون وعطري لجولييت.

وأتركُ كُتُب العم دهب لأمي إن ما زالت على قيد الحياة.

وأتركُ أسناني الحليبية لشقيقتي، إن ما زالت على قيد الحياة.

وأرغبُ في ألّا يحضر والدي في جنازتي. أريدُ أن توضعَ فوق قبري الصورةُ التي تجمعني ببراوني، كلبتي عندما كنتُ صغيرة. لا أريدُ أيَّ صورة جديدة، لأنني حتى إن كنتُ لا أهتمُّ بأن تكون لي قَصّة لُعَبِ بلايموبيل، فإنني على الرغم من ذلك أُخيفُ أقلّ بشعري الطويل.

هذا كلّ شيء، مارسيل، أرجو ألّا تكون هذه آخر مرة أكتبُ فيها إليك، فإن كنتُ قد سعدتُ مرةً بمعرفتك، فذلك لأنك كنتَ دفتر مذكّراتٍ لطيفاً. أوه، غير معقول! أمي وضعت قرصَ سيلين ديون!

قبلاتي مارسيل.

الوداع، ربما. القلب مع الأصابع.

ليلي

ملاحظة: ينبغي حقيقةً أن أتعلَّمَ كيف أقولُ النجدة بجميع اللغات.

مكتبة
t.me/t_pdf

# أخبار كلوي

كنتُ أعتقد أننا سنذهب في جولة صغيرة فحسب، سنسافرُ مدَّةَ يومين أو ثلاثة وسنستأنِفُ حياتنا من حيث تركناها. لكن عندما أعلنتْ أمي أننا راحلون إلى اسكندنافيا، أدركتُ أنها قد نسيت صوابَها في البيت.

تأكَّدتُ من الأمر عند عبورنا الحدود الألمانية، عندما توصّلتُ برسالة نصية قصيرة تُخبِرُني أني ليس لديَّ اعتماد هاتفيّ دوليّ. طمأنتني أمي: هي كان لديها ذلك الاعتماد. كنتُ بصدد تثبيت فيسبوك، وتويتر، وسنابشات، والتطبيق الذي يسمح بتدبير مدوَّنتي في هاتفها عندما كسرَتْ جميعَ أحلامي.

- عشر دقائق في اليوم، ليس أكثر.

- هذا يعني؟

- يعني أنَّ غاية هذه الرحلة هي أن نقضي الوقت معاً، أن نكتشف مناظر طبيعية جديدة، ثقافات أخرى، وليس لكي نظلَّ دافناتٍ رؤوسَنا في شاشة.

كنّا نسيرُ خلف الشاحنة نفسها منذ ساعة من الزمن. على يميننا أشجار، وعلى يسارنا أشجار، فلا يمكن أن أقول إننا كنَّا نستمتع باكتشاف مناظر طبيعية جديدة.

أشارتْ ليلي بسبّابتها إلى صدغها. إذا كانت حتى هي تعتقد أنَّ أمي قد أصابها الجنون، فالأمر خطير.

حاولتُ أن أفاوِضَ.

- ساعة واحدة؟

- عشر دقائق.

- ساعتان؟

- كلوي، توقّفي.

- لكن ماما، أتستطيعين أنتِ أن تعيشي من غير أوكسجين؟ فكذلك أنا، الأمران سيان!

قهقهتْ، وكذلك ليلي. وبعد صراع طويل، تمكّنتُ من أن أحصُلَ على نصف ساعة. قد يُسعِفُني ذلك في البقاء على قيد الحياة.

عند آخر المساء، وصلنا إلى كولونيا، حيث قرّرتْ أمي أن نقضي الليلة. نزلنا بمُخَيَّم على ضفّةِ نهر الرّاين وأصرَّتْ على أن نذهب لزيارة المدينة. وافقتُ بكل سرور: لا بدَّ أن توجد مقاهي إنترنت في مدينة كولونيا.

أعارتْنا صاحبةُ المخيَّم درّاجاتٍ هوائيةً ودلَّتْنا على الطريق، مؤكِّدةً لنا أنَّ المسافة قصيرة. سرنا بمحاذاة النهر ما يزيد على الساعة، مع احتساب الوقفات التي فرضتْها أمي، بدعوى الاستمتاع بالمنظر. كأننا لم نلاحظ أنها حمراء مثل قميصها وتتنفس مثل مكنسة كهربائية. كنّا أنا وليلي نتعمَّدُ تحريكَ الدوّاسة بسرعة، وكان الأمر يُضحِكُنا كثيراً.

ربطنا الدرّاجات ومشينا حيث تقودُنا الصدفةُ إلى أن نزل الليل.

أضاءت المدينةُ، كان الأمر جميلاً. وكان الوقتُ لا يزال مبكِّراً فاشترينا بعض البريتزيل[1] لنتبلَّغ به العشاء. كانت ليلي تُلِحُّ في طلب قنينة ماء، لكن عندما حصلتْ عليها، رفضتْ أن تفتحَها، متذَرِّعَةً بأنها ترغبُ في أن تحتفظ بها للذكرى. اندهشتْ أمي للأمر.

هزَّتْ ليلي كتفيها، كأن المنطق يُعوزُنا، وأجابتْ:

- ألا تفهمان؟ هذا ماء كولونيا!

على الأقل شقيقتي، لم تتغيّر.

أمام الكاتدرائية، التي كانت أمي ترغب في زيارتها قبل أن تكتشف عددَ الدرجات التي عليها أن تصعدها، كان يوجد جسرٌ ذو شكل غريب: جسر هوهنزولرن. كان كأنما وُضِعتْ ثلاثة أقواس فوقه. يعبرُهُ بعضُ الناس راجلين، ففعلنا مثلهم واكتشفنا أنه تُغطِّيه الأقفالُ التي يُعلِّقُها العشّاقُ.

اقترحتْ أمي أن نُضيفَ واحداً يحمل الحروف الأولى لأسمائنا، لنتركَ أثراً يدلُّ على مرورنا.

فتحتْ ليلي عينيها واسعتَين:

- تريدين أن تقتلي الأسماك، أليس كذلك؟ لقد رأيتِ جيّداً أنه يتعيَّنُ إلقاء مفتاح القفل في النهر، أتعتقدين حقّاً أنَّ الأسماكَ تهضمُ المعدنَ، هيه؟

أنا اتفقتُ مع ليلي. ما علينا إلّا أن نحتفظ بالمفتاح لحماية الأسماك - وليلي.

---

(1) حبات خبز صغيرة مملَّحة جافة، من تقاليد جنوب ألمانيا والألزاس والنمسا. (المترجم)

لم يكن البائعِ يقترحُ سوى أزواج من الأقفال.

استعرنا قلماً من زوج إنجليزي، وخططنا أحرفَ أسمائنا الأولى والتاريخَ على القفل الأول. وعلى الثاني كتبتُ «أنت + أنا». سيصدُقُ الأمر على أيٍّ واحد.

العودةُ على الدراجات كانت أصعب من الذهاب. لا أعلمُ من اخترع مقاعد الدراجات، لكنه كان سيّئَ المزاج. كنا نكاد نهلكُ من شدّة التعب عند وصولنا إلى سيارة التخييم. التهمنا معكرونة بسرعة وذهبنا للنوم، أنا وليلي في السرير الذي يتّسع لشخصَين، وأمي على الأريكة الطويلة. انتظرتُ برهة طويلة إلى أن سمعتُ تنفّسَ أمي يصبح منتظِماً. أخيراً، كانت تنام. تسللتُ بصمتٍ من فراشي، وأنا أجتهد في ألّا أثير أيَّ ضوضاء.

# آنا

طالَ بي الوقتُ قبل أن أنام. فراشُ المقعد ضئيلٌ وخشنٌ، وجسمي ليس بالضئيل ولا بالخشن. أحدنا كان عليه أن يعاني. انتشلني من النوم نَفَسٌ دافئ على خدّي. فتحتُ عينيَّ على وجهٍ شديد القرب من وجهي بحيث لا أستطيع أن أميِّزَهُ.

صرختُ. صرخَ الوجهُ. صرختْ ليلي.

قفزَ الوجهُ إلى الخلف، وفي الظلام تعرّفتُ وجهَ ابنتي.

- كلوي، ماذا تفعلين؟

- لا شيء، كنت أريدُ أن أعانقكِ، غمغمتْ، وهي تُخفي إحدى يديها خلف ظهرها.

- ماذا تحملين في يدكِ؟

- لا شيء.

ألقيتُ نظرةً تحت وسادتي، لا شيء تحتها.

- أعيدي إليَّ هاتفي.

- لكن، ماما...

- أعيدي إليَّ هاتفي حالاً، كلوي! وإن حاولتِ أن تأخذيه مني مرة أخرى، لن تحصلي عليه أبداً.

أعادتْ إليَّ موضوع السرقة على مضضٍ وعادت لتنام. كنتُ قد أغلقتُ عينَي عندما سمعتُ ليلي توشوش لها:

- أتحسبينها حقّاً غِرَّةً إلى هذا الحدّ.

مرَّت بقيَّةُ الليل دون حوادث.

في السابعة صباحاً، انتزَعَنا البردُ من الفراش. مساء البارحة، بعد الدرّاجة، كنَّا نقطُرُ عرقاً، فلم أُفكِّر في تشغيل جهاز التدفئة. وهذا الصباح، بين آلام الظَّهر وقشعريرة البرد، أبدى جسمي الكثيرَ من الحساسية.

أنصِبُ المائدةَ والكراسي في الشمس. لا تتركُ البنتان فراشهما إلّا بعد أن يكون الفطور جاهزاً. نتقاسمُهُ، بصمتٍ، أمام الرّاين. تستمتِعُ الشمسُ بانعكاسها في الماء وتُدفئُ أجسامَنا المتجمِّدة، ويهدِّئني طعمُ القهوة المعتاد. ولأول مرة منذ رحلنا، أُرَجِّحُ احتمالَ أن يكون قراري صائباً.

لو أنني فكّرتُ، لغيّرتُ رأيي، فأنا لستُ مغامِرةً. لا أحبُّ المفاجآت، حيث أحتاج دائماً إلى أن أستبق كلَّ أمرٍ، وأن أُنظِّمَ كلَّ شيء. المجهولُ يُفزعني، وانعدامُ التحكّم يشلُّني. حبستُ نفسي داخل فقاعةٍ مُطَمْئِنَةٍ، الأمكنة ذاتها، والأشخاص أنفسهم، والمسارات ذاتها. أرفُضُ بشكل منهجيٍّ كلَّ ما يوجد خارج تلك الدائرة. حفل زواج أحد أقربائي في منطقة نائية في فرنسا، أو أمسية في مطعمٍ لا أعرفُهُ، أو موعد في الجهة الأخرى من تولوز، ناهيك عن السفرِ إلى الخارج. أتعلَّلُ دائماً بأعذار مناسبة، لستُ خاليةً، أنا مُتعَبة، بنتاي لم ترياني منذ مدة طويلة، فرنسا بارعة الجمال فلا حاجة للسفر إلى مكان آخر. الجميعُ يُصدِّقُ: أنا امرأةٌ تحبُّ لزومَ

البيت، وانتعالَ الشّبشب، عجوزٌ قبل الأوان. كثيراً ما أتمكّنُ من إقناع نفسي بذلك، لكنني، في أعماقي، أعلَمُ.

كنتُ في الثامنة عشرة عندما أُصبتُ بأولى نوبات الفزع. كنتُ أقود السيارة، ليلاً، في الطريق الدائريّ، عائدةً من أمسيةٍ قضيتُها رفقة الأصدقاء. تباطأَت حركةُ السير إلى أن توقّفَتْ تماماً. أحسستُ في البداية بالنّمل في أصابعي. وبهَبّات حرارةٍ. كنتُ أختنِقُ. فتحتُ النافذةَ ورفعتُ الصوتَ. انعقدَ فَكّي، وأخذَ قلبي ينبُضُ بقوة، بقوة شديدة، وبسرعة كبيرة، لدرجة أني كنت أظُنُّ أنه سيكُفُّ عن النبض. كنتُ أجِدُ صعوبةً في التنفّس، ودُواراً في رأسي. ركنتُ السيارةَ في جانب الطريق المخصَّصِ لوقوف الطوارئ، لم أكن أفهمُ ما يحدث، اعتقدتُ أني سأموتُ في ذلك المكان، وحيدةً. مددتُ المقعد وأغمضتُ عينيَّ راجيةً ألّا يكون الأمرُ مؤلِماً. كلُّ شيء كان غائماً من حولي، كأنه غير واقعيّ حقيقةً. كان جسمي يرتعشُ، ولم أكن أسمع حتى السيارات التي تتجاوزني، لم أكن أسمع سوى قلبي. استمرَّ ذلك دقائق لا تنتهي. شيئاً فشيئاً أحسستُ بإيقاع قلبي يتباطأ، وتنفّسي يرتاح، وجسمي يسترخي. بدأتُ أرتعدُ. لم أنتظر، قُدتُ السيارةَ من جديد وعدتُ إلى البيت. كان أبي وجانيت نائمَين، فنمتُ دون أن أُصدِرَ أيَّ صوت.

في الليل، بدأَ الأمرُ من جديد. وكذلك في الأيام اللّاحقة.

أرسلني الطبيبُ لاستشارة طبيب نفسيٍّ، الذي شَخَّصَ أزمات فزعٍ مع رُهاب الخلاء. ووصف لي أدويةً، ابتلعتُها مدّةَ شهور عديدة، بالإضافة إلى علاج سلوكيٍّ ومعرفيٍّ. كان عليَّ أن أُجابِهَ مخاوفي، وأُواجِهَها لأتعوّدَ عليها وأفقد حساسيتي نحوها. صمدْتُ مدَّةَ ثلاث حِصَصٍ. وعندما أخبرتُ طبيبي النفسي أنني سأتخلّى عن

العلاج، اعترف أنَّ عملية إثارة أزمات الفزع يكون في أغلب الأحيان أليماً. وكان الأمرُ كذلك، حقيقةً. لكنها أقل إيلاماً من فكرة فقدان الأمل. أن يعلم المرءُ بوجود طريقة ناجعة هو أمرٌ مُطَمْئِنٌ، إذا ما صارت الأمواج عاتيةً. إن طبَّقتُها ولم تنفع، فلن تكون لديَّ عوّامة أتعلّق بها.

كنتُ أَحُدُّ من الأخطار، ببقائي داخل فقاعتي. واصلتُ الذهابَ إلى الأمكنة نفسها، ومعاشرة الأشخاص أنفسهم، وسلوك المسارات نفسها. إلى أن كان هذا القرار. لم أُفَكِّر. لم أفكّر في نفسي. بنتاي كانتا في حاجة إلى الهواء، عندئذ فقأتُ الفقاعةَ.

# ليلي

5 أبريل

عزيزي مارسيل،

أرجو أن تكون بخير، أنا بخير، غير أني أرغبُ في النوم، لكنني لا أستطيع، إنها نوبتي في الحراسة. الساعة الآن الرابعة صباحاً، أو ما يقارب ذلك، كنتُ أريد أن أكتب إليك بهدوء، لكن أمي وشقيقتي كانتا تصرخان لأن الضوء كان يمنعهما من النوم. فعلَّقتُ مصباحَ الجيب على جبهتي وربطتُه على رأسي بشريط لاصق واختبأتُ تحت اللحاف، بجانب كلوي. ينبغي ألّا أُحرِّكَ رأسي كثيراً فحسب، وإلّا فإني لا أرى ما أكتبُ، لكن لا بأس.

تصوّرْ أننا في هامبورغ، وأنها مدينة في ألمانيا. عثرتْ لنا والدتُنا على منطقة خاصة بسيّارات التخييم أمام الميناء وذهبنا للتجوّل في المدينة، لكن ليس على متن الدراجات. كانت نزهة لا بأس بها، شاهدنا بحيرة كبرى مع بجع، ومخازن على ضفة الماء، وبواخر عظيمة، ومنازل لم يسبق لي أن رأيتُ مثيلاً لها، وعثرتُ على حجر جميل للذكرى، لكن بدأ المطرُ يهطل فعدنا من حيث أتينا.

أرادت أمي أن تُفرِغ المرحاضَ، لكنها لم تتمكّن من ذلك، كنا أنا وكلوي نتابع عملَها عبر النافذة وقد أقفلنا أنفينا، وكنّا نسمعها تتلفّظُ بكلماتٍ بذيئة.

جاء صاحبُ سيارة التخييم المجاورة لمساعدتها، لم تكن تريد، أظنُّ أنها كانت تشعر بالخجل، أكيد أنها كانت كذلك. كان يُقهقِهُ بصوت عالٍ. لكنه استطاع مع ذلك أن يُقنِعَها، وبعد ذلك كان علينا أن نذهب إلى مرافقته في الشّراب لشُكرهِ لأنه قد أدّى لنا خدمة جليلة.

هم في الحقيقة مجموعة كاملة من الفرنسيين الذين يسافرون معاً، وهو المنظِّمُ، اسمُهُ جوليان. كان معه أيضاً ابنه في مثل سنّي تقريباً، نُوِي. حاولتُ أن أُكَلِّمَهُ، لكنه كان لا يَرُدُّ، كان يتأرجحُ، أخبرني والدُهُ أنه لا يتكلّمُ ويحتاج إلى بعض الوقت ليتعوَّدَ على أشخاص جُدُد. آه وكان هناك أيضاً كلب، جان-ليون، جميل جدّاً، لعبتُ معه.

ثم هكذا، ذهبنا للنوم. لا أعرف كم من الوقت بقيتُ نائمةً، لكنني استيقظتُ على صوت وشوشاتٍ. كانت في الخارج، كلُّ شيء يُسمَعُ عبر جدران سيارة التخييم، فلا فائدة منها. بعد ذلك، حدث مثل احتكاك وصوت ارتطام صغير بالباب، بدأتُ أشعر بالخوف، لكنني تذكرتُ برنامجاً حيث كان الأخصّائيُّ النفسانيُّ يقول إنَّ الخوف مثل حيوان ينبغي ترويضُهُ، عندئذ قلتُ له أن يعود للنوم فامتثلَ. حاولتُ أن أوقِظَ كلوي، لكنها عندما تنام، تكون كأنها قد فُصِلَت عن الكهرباء. أما أمي، فلا داعي للحديث عنها، أعتقد أنها تموتُ كلَّ ليلة وتُبعَثُ كلَّ صباح. لم يكن لي أن أعتمد إلّا على نفسي، فتخطَّيتُ شقيقتي لمغادرة السرير، وعندئذ رأيتُ البابَ ينفتحُ

وخيالاً يتقدَّمُ. قفزتُ إلى الأرض، والتقطْتُ أوّلَ شيء وقعت عليه يدي وهجمتُ على العدوِّ وأنا أصيحُ «بانزاي»، مثلما شاهدتُ ذلك في أحد الأفلام، وأنا أضربُ بالمقلاة. خرج الخيالُ هارباً وهو يركضُ، وانقذفتْ أمي وكلوي خارج سريرهما، كأنهما شريحتا خبز في محمصة خبز كهربائية، ودقائق بعد ذلك وصلَ جارُنا جوليان. شرح لنا كيف أن السرقات في سيارات التخييم تحدث كثيراً، ومن الأفضل أن نضع آلة إنذار لحمايتنا، ولذلك هُمْ يسافرون جماعةً. قررنا أن نتناوبَ على الحراسة هذه الليلة، وأن نُرَكِّبَ في الغد جهاز إنذار. هذه إذاً نوبتي وأنا متعَبة، فأكتبُ لك كي لا أنام (لكن لا تَقلقْ، لستُ أتَّخِذُكَ مجرّدَ أداةٍ لغلق الثقوب!).

هيّا، قبلاتي مارسيل، سأغتنمُ فرصة نوم الجميع لأنشغل بِسِرِّي (لا أستطيع أن أبوح لك به، أخشى كثيراً أن تقرأَكَ أمي). ليلتك سعيدة.

ليلي

ملاحظة: حاولتُ أن أنزعَ الشريط اللاصق من حول رأسي، تجذبُ شعري بقوة، الأمرُ رهيب. ومن ثَمَّ أتركها كما هي.

# أخبار كلوي

أنا شديدة الحساسية. أخبرتني بذلك ممرّضةُ الثانوية ذات يوم، لأنني كنتُ قد أُغميَ عليَّ بعد أن جرحتُ يدي. كانت بذلك كأنها وضعتْ يدَها على الحلقة المفقودة، كأنها أعادتْ إليَّ شيئاً كنتُ قد فقدتُهُ. كان ذلك هو. كنتُ شديدةَ الحساسية.

بعد ذلك، شُخِّصَتْ حالتي «إمكانية عالية»، وهي دائماً مرتبطة بشدّة الحساسية. قضيتُ ساعاتٍ في قراءة أوصافٍ وشهاداتٍ على الإنترنت، كنتُ أمثِّلُ جميعَ المعايير.

كلُّ ما أشعُرُ به يتضاعفُ. أغلي بالعواطف، وأَعُجُّ بالمشاعر.

أبكي كثيراً. من الحزن، ومن الفرح، ومن الحنق.

أُغفِلُ نفسي لصالح الآخرين.

أنا كثيرة التعاطف، وأستطيعُ أن أفهم الآخرين لدرجة أنَّ ذلك يجعلني شديدة التأثُّر. لذلك أعجزُ عن أن يكون لي رأيٌ حاسِمٌ.

لا أحِبُّ نفسي. لكن الأمر ليس خطيراً، ما دام الآخرون يحبّونني.

أُحاكِمُ نفسي باستمرار. بقسوة.

لا يرتاحُ دماغي أبداً، وخيالي آلةُ حربٍ. عندما أشاهد فيلماً،

وعندما أستعمِلُ شيئاً، أتساءلُ ما يفعلُهُ الممثِّلون في تلك اللحظة بالضبط، وما هي حياة ذاكَ الذي صنعه.

أنا دائماً في حالة احتراسٍ شديد. أنتفضُ عندما أُصادِفُ أمي في الممرِّ، وأصرخُ عندما تدخلُ ليلي إلى الحمّام دون أن تطرق الباب.

عندما أسمع حديثاً عن حوادث إجرامية، أضعُ نفسي في مكان الضحايا. وأعيشُ المَشاهِدَ كأنني كنتُ حاضرة فيها.

أنا صافية الذهن. أكثر من اللازم.

لكن هذا له أيضاً جوانب جيّدة.

أنا صديقة طيبة، تتفهّمُ، ولا تُحاكِمُ.

أُعيدُ النظر في ذاتي بسهولة.

أنا شديدة الاهتمام بالأشياء الصغيرة التي نَمُرُّ بها كثيراً دون أن نراها.

تتضاعفُ أفراحي. شعاع الشمس، ورائحة الليلك، وأنوارُ أعياد رأس السنة تغمرني بنفحات السعادة.

أَحَبَّتْ أمي دائماً أن تَسمعني أتحدَّثُ بحماس. يبدو أنني، صغيرةً، كنتُ أُضفي الحيويةَ والنشاطَ على التنقلات في السيارة. صرتُ أُضْمِرُ أكثر مما أُظهِرُ، غير أنَّ أنوار الألعاب النارية لا تزال حاضرة دائماً. وهكذا، عندما وصلنا، بعد أن سرنا بالسيارة كيلومتراتٍ عديدةً عبر الغابة، ومشينا مسافة قصيرة، ثم صعدنا أدراجاً، لم أستطع إلا أن أتخلّى عن تحفّظي وأن أصيح:

- واااااوو!

أمامنا، كان البحر يعرضُ آلافَ تلويناته الزرقاء، بينما تحت

أقدامنا، تغمسُ الجُرُوفُ البيضاءُ أصابعَ أرجلها في الماء. لم يسبق لي أن رأيتُ منظراً بذلك الجمال.

شرحتْ لنا أمي أننا كنَّا فوق جبال كلينت. لم أَرَ على وجهها مثل تلك الابتسامة منذ أمدٍ طويل.

لم نكن وحدنا، كان هناك بعض السيّاح، لكنني تغافلتُ عن الأصوات كي لا أحتفظ سوى بموسيقى الطيور وموسيقى الماء. كانت الريحُ باردةً، على الرغم من أن الشمس كانت تُحاربُها بإقدام. كان في إمكاني أن أظلَّ هناكَ لساعاتٍ، أستمتعُ بلمساتها على وجهي.

بعد ذلك بقليل، نزلنا إلى مستوى البحر، لنخطو على الحصى الرمادي. جمعتْ ليلي منه العشرات. ومن تحت، كانت الجُرُوفُ تبدو أكبر حجماً. كنتُ أُحِسُّ كأنني حبّة رملٍ ضائعة في اللّامتناهي.

رجعنا إلى سيارة التخييم بصمت، فحتى كلماتُنا كانت لفحَتْها الرياح. عادت أمي لقيادة السيارة، وتوالت الأشجارُ مدّةً طويلة، كنتُ أطفو داخل فقاعةِ سعادة. انتشلني منها صوتُ جرس. إشعار من مسنجر على هاتف أمي. بنظرةٍ، فقد سمحَتْ لي بالنظر. كان كيفين، عامل المخبز.

«مرحباً كلوي، كيف الحال؟ أرغب في الحديث إليكِ، هل أنتِ في البيت؟».

أتعرفون نفحات السعادة التي حدَّثتُكم عنها أعلاه؟ فها أنا قد تلقَّيتُ واحدةً منها. فكَّرتُ عشر دقائق في صياغة جوابي، ونقرتُ الرسالةَ وبعثتُ بها. كنتُ أعلمُ أنه ولدٌ طيّب.

# آنا

- ماما، هل تعرفين أبولينير؟

تتفحّصُني ليلي وهي تنتظر إجابتي.

المشكلة، أننا عندما نرتجل الأمورَ وفق فكرة طارئة، لا نستبقُ جميعَ المعطيات. وهكذا، لم أتنبّأ بمدى صعوبة أن أتكفَّلَ بتدريس ابنتَيّ.

كلَّ صباحٍ، مدّةَ ساعتين، ننتقلُ من درسٍ إلى تمرين. وكلَّ صباحٍ، مدَّةَ ساعتين، تحتجُّ كلوي بأنها على الرغم من كل شيء لن تتقدَّم لامتحان البكالوريا، وتلعبُ ليلي بأقلامها كأنها دُمى.

تبدو البنتان اليومَ أكثر ميلاً إلى التركيز، وقد يكون للمطر دور في الأمر. فَكلوي لم يغلبها النعاسُ سوى مرّتين أثناء قراءة **مُزيِّفو النقود** لأندريه جيد، ولم تَطرح ليلي لحدِّ الآن سوى أسئلة قليلة لربح الوقت.

- أعرفهُ بعض الشيء، درستُهُ في المدرسة، أجيبُ وأنا أجلس بجانبها.

- كان أعمى، أليس كذلك؟

- لماذا؟

تضع الكتاب تحت بصري وتشير إلى سطر معيَّن:

- يقول: «حان الوقت لإضاءة النجوم من جديد»، لكنها لا تزال منيرة. عليه أن يبحث عن طبيب عيون آخر!

تتنهَّدُ كلوي:

- لا يتحدَّثُ حقيقةً عن النجوم الموجودة في السماء.

تتفحّصُها ليلي بعينَيها المستديرتَين:

- آه؟ لأن هناك نجوماً في مكان آخر غير السماء، أليس كذلك؟ عجيبٌ أمرُكُمْ أنتم الكبار.

أَهُمُّ بمحاولة تفسير الأمر عندما يرنُّ جرسُ الهاتف فيُنقِذُني.

- ألو؟

- السيدة مولينو، طاب يومُكِ، معكِ السيدة بارِيير من بنك البريد. كان بيننا موعد منذ نصف ساعة، وقد انتظرتُكِ. . .

فعلتُ مثلما أفعلُ دائماً عندما أُضبَطُ في حالة تلبُّسٍ بالخطأ، أتحوَّلُ إلى فتاة صغيرة.

- أوه تبّاً! أنا آسفة، لقد نسيتُ الأمرَ تماماً!

- هذا ما توقعتُهُ. يجب حتماً أن نلتقي لمناقشة حسابكِ، لديَّ حيِّزٌ متاحٌ غداً في الساعة الحادية عشرة.

- لن أكون موجودة، ألا يمكن أن نتحدَّث عبر الهاتف؟

- الخميس في الثانية ظهراً؟

ترميني كلوي بنظرةٍ مستفهِمة. لا أستطيع أن أعترف لمستشارتي في البنك، والتي لا بدَّ أنها ترى اسمي مكتوباً أمامها على الشاشة باللون الأحمر وبأحرف كبيرة، بأنني قد تبرّعتُ على نفسي برحلة لطيفة. أصعدُ إلى سرير البنتَين، وأجذبُ الستارَ، وأخفض من صوتي.

- أنا جدّ متأسّفة، أنا لا . . .

- حسناً، أفهمُ، تُقاطعني. سيدة مولينو أنتِ سحبتِ أموالاً على المكشوف منذ أكثر من ثلاثين يوماً على التوالي، وأُجرتُكِ هذا الشهر لم تكن كاملةً. ينبغي أن تجدي حلّاً، أليس كذلك؟

أهزُّ رأسي، عمري خمس سنوات.

- تماماً، سأجد حلّاً. فقدتُ عملي، ولكنني سأحصل على المعاش في انتظار أن أجد عملاً آخر. أفعلُ كلَّ ما في وسعي، صدِّقيني.

- لم يعد لكِ عمل؟

في الخامسة من العمر يتكلّم المرء أكثر من اللازم.

- ليس حالياً، لكن...

- أنصتي، وفقاً لوضعيتِكِ، أجدُ نفسي مضطرَّةً أن أرفُضَ جميعَ السحوبات التي ستطرأُ على حسابكِ ما دمتِ لم تُسدِّدي ما عليك. أنتِ تعلمين أن...

لم أعد أُنصِتُ إليها. لا أدري ما الذي كنتُ آمُلُهُ عندما رحلتُ. كأنَّ ديوني كان يمكنها أن تمَّحِيَ فقط لأنني ابتعدتُ. كأن المشاكل يمكن أن تظلَّ ثابتةً حيث نتركُها. كان في إمكاني أن أُسَدِّدَ جميعَ فواتيري، وأن أنطلق من جديد من الصفر. فجأةً، وأنا جالسةٌ على هذا الفراش الرقيق، محبوسةً داخل سيارة تخييم تحت المطر، بعيداً عن فقاعتي، أشعرُ أنني ضائعة. ما الذي فعلتُ؟ يضطربُ نبضي، وتتسارعُ أنفاسي، أَعُدُّ الورودَ على الستار، لكن ذلك لا يكفي لتحويل انتباهي. ليس لديَّ سوى رغبةٍ واحدةٍ: أن أُحَرِّكَ السيارةَ، والسّيرُ بها إلى غاية البيت. أن أرجعَ. وأستعيد معالمي.

- طاب يومُكِ، سيدة مولينو.

- شكراً، طاب يومُكِ أنتِ أيضاً.

أُقفلُ الهاتفَ بيدٍ مرتعشة وأستلقي على السرير أحاولُ الاسترخاء. زفيرٌ قصيرٌ. شهيقٌ طويلٌ. زفيرٌ قصيرٌ. شهيقٌ طويلٌ. صوتٌ معدنيٌّ تحتَ السرير. زفيرٌ قصيرٌ. شهيقٌ طويلٌ. يهدأُ إيقاعُ قلبي. صوتٌ معدنيٌّ تحت السرير. زفيرٌ قصيرٌ. شهيقٌ طويلٌ. تتوالى الأصواتُ المعدنيةُ تحت السرير. لا ينقصنا سوى أن يحدث عطلٌ في السيارة.

أنهضُ، لا تزالُ رجلايَ رخوتَين. كلوي نامت، رأسُها على الكتاب. وليلي ترسُمُ. أُقرِّبُ أذني من السرير لأحدِّدَ مصدرَ الصوت المعدنيِّ. يَصدُرُ من جديد. أرفعُ الفراشَ، وتظهرُ لوحةٌ ذاتُ مقبضٍ ترتيباً لم أكن قد انتبهتُ إليه. أفتحُهُ، ثم يكون ثقبٌ أسود.

# ليلي

8 أبريل

عزيزي مارسيل،

إننا في ورطة، فقد اكتشفتْ أمي سِرّي. كان لديَّ مخبأٌ جيّدٌ، ولم تَبُحْ كلوي بالسّر، غير أنَّ كلَّ ذلك لم يكن كافياً. ثم إنَّ أمي أصابها خوفٌ شديدٌ إلى درجة أنها وقعَتْ واصطدمَ رأسُها بحافة السرير، والنتيجة أن لديها شفة مشقوقة نصفين كأنَّ النبيَّ موسى قد مَرَّ من هنا. فوجدنا أنفسنا في مستشفى كوبنهاغن، والآن هي تحمل ضمادةً ستعيد إلصاق شفتها مثل صمغ باتافيكس. كنتُ وددتُ لو أنهم ألصقوا شفتَها العليا بشفتها السفلى، لأني لا أُحدِّثُكَ عن الاستجواب الذي تعرّضتُ له.

كان عليَّ أن أشرح لها أنه فأرٌ منزليٌّ، لا صلة له بتلك الفئران التي نجدها في القمامات، وأنه نظيفٌ ولن يصيبها بمكروه. سألتني كيف أمكنني أن أُخفيَهُ كلَّ تلك المدة، فاعترفتُ لها أني كنتُ أُخرجُهُ كلما ولَّتني ظهرها، وأنه كان يقضي الليل معنا في الفراش، لكن هذا الأمر الأخير لم يُعجبها كثيراً. أرادتني أن أتخلَّصَ منه، فصرختُ أنَّ

عليها أن تَمُرَّ على جسدي لتفعل ذلك، وأنني أرفضُ تماماً أن أتخلّى عن ماتياس. صارت عيناها مستديرتَين مثل دائرتَين، وسألتني إن كانت قد فهمَتْ جيّداً، إن كان الفأرُ يحملُ حقّاً اسم أبي، وكانت مصدومة. غير أنَّ الأمر منطقيٌّ. ألا يُقالُ إنَّ الفئران تغادر السفينةَ؟

بعد ذلك بقليل، وافقَتْ على أن أحتفظَ بماتياس، بشرط ألّا أُظهِرَهُ للعموم وأن أحرصَ على ألّا تصادفه في طريقها. أخذتُ فأري، ومددتُهُ لها لكي تلاطفه، فصرختْ بي ألّا أدفعَها إلى تغيير رأيها.

نجونا في آخر لحظة، مارسيل، أليس كذلك؟ كنتُ أحبُّ كوني أمتلكُ سرّاً، لكنني مع ذلك، مسرورة بإخراجي قفصَ ماتياس من مخبئه وبقدرتي على تحريره مراتٍ أكثر.

ومن ثَمَّ ذهبنا للتجوُّل في كوبنهاغن، كانت جميلةً على الرغم من أنَّ المطر كان يهطل مثل حليب البقرة (لحسن الحظ، وقعت انفراجاتٌ كثيرة). عندما سأكبرُ، أودُّ أن يكون لديّ منزلٌ بالألوان مثل المنازل هنا. كانت كلوي ترغب بشدّة في الذهاب إلى حدائق تيفولي، وهي في الوسط بين حديقة ألعاب وحديقة عادية، ولم تكن أمي تريد، لأن الولوج إليها باهظ الثمن، لكنها وافقت في الأخير «أوه لا يهمّ» وذهبنا إلى هناك. داخل رأس أمي أيضاً، تتوالى الأمطارُ والانفراجاتُ.

من المؤسف جدّاً ألّا تكون قد رأيتَ ذلك، يا مارسيل، كان الأمرُ رائعاً جدّاً. صعدنا في العجلة الكبيرة، كان الأمر جميلاً جدّاً، لكن في الأعلى، صارت أمي بيضاء تماماً، كانت تقول إنها بخير، لكننا كنا نرى جيّداً أنها لم تكن بخير. والدليل أنها انتهت إلى التمدد في عمق حُجرة العجلة، وقد رفعتْ رجليها وهي تتنفّسُ كأنها تغوص

في أعماق البحر. وعندما أردنا الركوبَ في لعبة الأفعوانية، فضّلَت البقاءَ في الأرض لالتقاط الصور (كانت الصورُ غائمةً).

مشينا كثيراً، كانت كلوي تشعر بالألم في رجليها، لكن ينبغي أن أقول إنها خرجت بحذائها ذي الكعب العالي. بل إنها ملَّستْ شعرَها، ثم بعد ذلك أخذت تحتجُّ لأن المطر ينزل. يتعشّى الدنماركيون في وقت جدّ مبكّر، في السادسة مساء تمتلئ المطاعمُ، فأشعَرَنا ذلك بالجوع، فاشترينا حينئذ بعض سْمُورّبِبْرود (هي نوع من شرائح الخبز فوقها بعض الأشياء، أنا أخذتُ واحدةً بالجبن وواحدةً بالسَّمك)، ثم عدنا إلى سيارة التخييم. كان ماتياس مسروراً، فأنا متأكِّدة من أنه حرَّكَ ذيله. كان لا يزال هناك جماعةُ الفرنسيين الذين كانوا موجودين في المساء السالف، لكننا لم نأكل معهم.

كانت أمي قد تركت هاتفها على المائدة، وكان يومِضُ. قالت إنَّ أبي قد اتصل، فتظاهرتُ كأنني لم أكن أسمع، لكن كلوي أرادت أن تُعيد الاتصال به، وعندئذ ذهبتُ إلى الحمّام.

ينبغي أن أترككَ، يجب إطفاء النور.

قبلاتي الحارّة مارسيلي.

ليلي

ملاحظة: منخري الأيسر مسدود، لذلك أنامُ على جانبي الأيمن، فينفتح في التوّ. لكن بعد ذلك ينسدُّ الأيمنُ. سأنامُ جالسةً.

# أخبار كلوي

رسالة صغيرة إلى قرائي قبل أن أبدأ.
أنا سعيدة بقراءة جميع تعليقاتكم
وأن ألمسَ مدى حبّكم تتبّع مغامراتي!
على الرغم من أن بعض الكلمات يمكن أن تكون جارحةً،
فأنا متأثرةٌ لكون عدد كبير منكم يفهمني،
ولا يحاكمني. بالنسبة إلى الذين يطلبون صوري،
فذلك لن يحدث. وبعض الأشخاص عرفوني
بفضل الأسماء الشخصية، لكنني أفضِّلُ أن
تظلَّ هذه المدوَّنة مجهولة الهوية ما أمكن. شكراً لحضوركم 3 <

---

لم يكن بابا قد اتصل منذ ثلاثة أسابيع. سعدتُ بالتحدّث إليه، على الرغم من أن ذلك يكون دائماً غريباً بعض الشيء. في البداية، أشعر كأن مَن في الطرف الآخر من الخط شخص غريب، ثم شيئاً فشيئاً أعتادُ من جديد على صوته فأستطيع أن أتحدَّثَ إليه مدة ساعات. وكلما أقفلتُ الهاتفَ، أشعرُ بغصَّةٍ في الحنجرة. أشتاقُ إليه. أودُّ أن أراهُ أكثر، لكن الأمر معقَّدٌ. شقَّتُهُ بالغةُ الصِّغر، فيضطرُّ إلى استضافتنا عند جدّتي، غير أن ذلك يُتعِبُها كثيراً. أرجو أن يأتي

يومٌ يكسب فيه أبي من المال ما يسمح له باقتناء مسكن حيث يمكننا أن نذهب كلما رغبنا في ذلك.

رفضتْ ليلي التحدُّثَ إليه، كالمعتاد. لديها مشكلةٌ معه، قالت إنه تخلّى عنّا. مع أنها تعرف جيّداً أن ماما هي التي هجرَتْهُ. أما هو، فقد كان يُفضِّلُ البقاءَ معنا. وأنا أيضاً.

- أنتِ بخير، حبيبتي؟ سألني.

أُحِبُّ أن يناديني «حبيبتي». أودُّ أن أجيبه «بابا الصغير المحبوب»، لكنني لا أجرؤ.

حكيتُ له أطوارَ رحلتنا، مُغفِلَةً ذكرَ أسباب سفرنا، لستُ في حاجة إلى أن يعظني. كنتُ أخشى أن يغضب، لكنه على العكس، كان يبدو سعيداً، وطرح عليَّ أسئلةً كثيرة.

- فكرةٌ رائعةٌ من أمك! صاح بإعجاب. لا شيء أفضل من الأسفار ليوسِّعَ المرءُ فكرَهُ، هذا سيجعلكما تكبران.

صمتَ برهةً، ثم همسَ:

- كم كنتُ أودُّ أن أكون معكم.

انعقدتْ حنجرتي، لكنني لم أُظهر شيئاً من ذلك. كنتُ أرى أنَّ أمي تراقبني، فقد مرّتْ عشر دقائق وهي لا تزال تغسل القدحَ نفسَهُ.

أحاولُ ألّا أعتب على أمي. لا بدَّ أنها كانت لديها أسبابٌ دعتْها لكي تهجره، ربما لم تعد تحبه، ربما لم تعد سعيدة معه. لكنني رأيتُ أبي يبكي، وسمعتُهُ يُسِرُّ لي بمدى تعاسته. لن أنسى أبداً تلك المرة الأولى التي ذهبنا فيها لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في مرسيليا، منذ ستِّ سنوات خلتْ. لم نكن قد رأيناه منذ شهور، ولم نكن قد تمكّنا حتى من توديعه. كان ينتظرنا على رصيف المحطة،

ولم أعرفهُ في الحال. كانت عيناه قد انطفأتا. ضمَّني إليه بقوة إلى درجة أن قلبي تقلَّص وانكمش. كنتُ أحِسُّ بتشنّجات حزنه ملتصقة بي. كرهتُ أمي.

- سأتركُكِ حبيبتي، هلّا دفعتِ الهاتفَ إلى أختكِ لأكلِّمها؟

- إنها في الحمّام، لكنها ترسلُ إليكَ قبلةً كبيرة.

عندما أقفلتُ الهاتفَ، وقبل أن أعيدهُ إلى أمي، نظرتُ إن لم يكن به جوابٌ من كيفين. لم يكن به أيّ جواب.

# آنا

- ماما، يجب أن تتوقّفي، أريدُ أن أتقيّأ.

تنطقُ ليلي هذه الكلمات بصوتٍ مُطفأ. نحن فوق أوريسوندسبرون، الجسر الذي يربط بين الدنمارك والسويد، ولا مجال للتوقف إلّا في شريط وقوف الطوارئ. ليس كافياً، بالنظر إلى عرض سيارة التخييم.

- حاوِلي أن تمسكي نفسَكِ، سأركُنُ عند أسفل الجسر. إن لم تستطيعي، فاذهبي إلى الحمّام!

لا تجيبني، واضعةً يديها على فمها.

- إنه النفق، هو الذي يفعل بها ذلك، تؤكِّدُ كلوي.

توافق ليلي بحركة من رأسها. تستأنفُ شقيقتُها:

- وأنتِ تقودين السيارةَ بطريقة غريبة، لا تتوقفين عن إطلاق دوّاسةِ السرعة، فيُحدِثُ ذلك اصطداماتٍ تَرُجُّ المعدة.

مرةً أخرى تَهُزُّ ليلي رأسها.

يُغيظني كلامُهما، فأحتفظُ بقدمي على الدوّاسة إلى أن نعود للسير على الأرض الصلبة. وعندما يختفي سياجُ الأمان، أخفض السرعةَ، وأركُنُ السيارةَ على جانب الطريق. تفتحُ ليلي البابَ، وتقفزُ

إلى الأرض وتبتعد وهي تركض على العشب. أوقِفُ المحرِّكَ وأتبعُها.

بعد دقائق تقضيها ابنتي في استنشاق هواء السويد المنعش، تستردُّ صوتَها.

- ماما، في الفترة التي حصلتِ فيها على رخصة السياقة، ألم تكن الدوَّاساتُ موجودة؟

إنها في حالٍ أفضل.

نعود إلى سيارة التخييم للوصول إلى مرحلتنا اللاحقة. لا تزال كلوي في المكان نفسه، عيناها هائمتان. لا بدَّ أنها منشغلة بمكالمة أبيها مساء البارحة.

ما أن نسير خمسمئة متر حتى تبدأ سيارة التخييم في الاهتزاز. تلتفتُ نحوي ابنتاي بحركة واحدة.

- لم أُطلق الدوَّاسةَ!

بعد ذلك بثوانٍ، تسعلُ السيارةُ من جديد. تقهقه ليلي. أبدأُ أشُكُّ في قدرة قدمي على حسن القيادة، عندما تشرع سيارةُ التخييم في التباطؤ. وما أن أتمكَّنَ من ركنها في جانب الطريق حتى تتوقف فجأةً.

- ما الذي يحدث؟ تسأل ليلي.

- ما رأيكِ أنتِ؟ تردُّ عليها كلوي.

- أوه أنتِ، لم يُكلِّمكِ أحد!

- لا تتحدثي إليَّ بهذه الطريقة، أيتها المعتوهة.

- أنتِ هي المعتوهة.

- لا، بل أنتِ.

- لا، بل أنتِ!

- حسناً، كُفّا عن ذلك أيتها الفتاتان! أتدخّلُ وأنا أحاول تشغيلَ محرِّك السيارة للمرة الثالثة. لا أحد معتوه.

- أنتِ التي لستِ كما يجب، تضيفُ ليلي.

- بل أنتِ!

ألتفتُ نحو الجنّيتَين:

- إن لم تكفّا حالاً، أُنزِلكما وأستمرُّ من دونكما.

ترفع كلوي حاجبيها:

- وأنتِ تدفعين سيارة التخييم؟

تقهقهُ شقيقتُها. أتجاهلهما وأحاولُ من جديد تشغيلَ المحرّك.

يدور المحرّك، لكن السيارة لا تنطلق. نحن متوقفات في إحدى طرق السويد، ولا نملكُ أيَّ دليل على وجود مدينة قريبة، والسيارةُ عاطلة. أجتهدُ في السيطرة على تنفّسي لأحتفظ بأفكاري صافية.

- حاولي الاتصالَ بجدّي! تقترح ليلي. قد يعرف لماذا لم تعد السيارة تعمل.

فكرة جيّدة. آخذُ هاتفي وأتصلُ بأبي. رنّةٌ. رنّتان، ثلاثة. أربعة.

«مرحباً، أنتم في البريد الصوتي لبوبون وبابوت! اتركوا لنا رسالة، وسنتصل بكم... أو لا!».

يصمتُ الصوتان، ينبغي لي أن أتكلّم. أُقفلُ الهاتف. أستغرق دقائق أفكر في طريقة الخروج من هذه الورطة وأنا أستمرُّ في محاولات تشغيل السيارة. وتكون كلوي من تقترح الفكرةَ.

- أليس لديكِ رقم هاتف جوليان؟

- جوليان؟

- أجل، مُنَسِّقُ تلك المجموعة الذين التقينا بهم ثلاث مرات! لا بدَّ أنهم ليسوا بعيدين، رأيناهم البارحة. أليس لديكِ رقم جوّاله؟

- بلى، أعطاني إياه، لكن ليس ملائماً أن أتصل به لأطلب منه أن يأتي لمساعدتي.

- إذاً أنتِ تفضّلين أن نبقى هنا طوال حياتنا وأن ننتهي فريسةً للدِّببة السويدية؟ تصيح ليلي. أهذا ما تريدين؟

إن لم أكن شديدة القلق، لضحكتُ من كلامها. أبحثُ عن اسمه بين أسماء معارفي في الهاتف وأُجري الاتصال، فيجيب جوليان في الحال. يوجد في مالمو، على بعد أقل من ثلاثين دقيقة. سيُسَوّي مشكلةً تتعلق بمكان نزولهم ويلتحق بنا، هذا وعد!

ساعةٌ بعد ذلك، تركنُ سيارة تخييم خلف سيارتنا. ينزل منها رجلٌ ويتوجّه نحونا.

- ينبغي أن نُعلِمَهُ أن قميص الحَطّاب، فاتَهُ قطارُ الموضة، تقول كلوي.

- أنتِ التي فاتكِ قطار الموضة، تجيبها ليلي.

- أيتها الفتاتان، لا أريد أن أسمع صوتكما بعد الآن، أقولُ وأنا أفتحُ البابَ عندما يصل جوليان.

يمدُّ إليّ يده.

- لقد فعلتِ خيراً بالاتصال بي، فأنا الرجل الذي يهمس في أذن سيارات التخييم!

تنفلتُ تنهيدة كلوي من باب السيارة التي ظلت مشرعةً. يصعد جوليان ويجلسُ أمام المقود وهو يُحيِّيهما. ثوانٍ بعد ذلك، عثرَ على مصدر العطل.

لا أجرؤ على النظر إلى الفتاتين. لا أجرؤ على النظر إلى أيِّ شيء، في الحقيقة، باستثناء حذائي. مع أني قد سمعتُ صوتَ إشارةٍ عندما شغَّلتُ المحرِّكَ قبل قليل، لكنني لم أفكر في أيِّ لحظة أنَّها تُنبِّهني إلى مستوى البنزين. كنتُ واثقةً أنَّ الخزّان المليء سيدوم مدة أطول.

يعود جوليان من محطة الوقود محمَّلاً بصفيحة البنزين، ويشرع في سقي سيارة التخييم، التي تستعيد عافيتَها. وتصفِّقُ له الفتاتان عندما يهدر المحرِّكُ.

- شكراً جزيلاً، أقول له. لا أدري ماذا كنا سنفعل من دونك.

يُبعِدُ مدحي إياه بابتسامة مُحْرَجة.

- ألا تزالين لا تريدين مرافقتنا في الطريق؟ يسألني. السفر جماعةً يحمي من مثل هذه المشاكل الطارئة.

- هذا لطفٌ منك، لكن الغاية من رحلتنا هذه هي أن نكون معاً ثلاثتُنا. لا بدَّ أننا سنلتقي في فرصة أخرى!

- كما تشائين، يقول وهو يهزُّ كتفيه. أنا كذلك، في المرة الأولى، كنت حريصاً على أن أقومَ بهذه الرحلة رفقة ابني فحسب، لكنني لستُ نادماً على كوني بحثتُ عن رفاق الرحلة في شبكة الإنترنت. وحفاظاً على تلك الخصوصية التي تنشدينها تحديداً، لا نجتمعُ إلّا عند المساء، أتكفَّلُ بحجز الأماكن وما على الآخرين عندما يصلون سوى أن يستقروا في أماكنهم. أما في أثناء النهار فكلٌّ واحد ينصرف إلى شأنه. يمكن أن نتقاسم العشاء ونتشارك تجاربنا، ففي ذلك الكثير من الفائدة، ولكن الأمر غير مُلزِم. ثم إني سأكون أكثر اطمئناناً عليكنّ من أن أعلم أنكنّ لوحدكنّ.

- أنا أيضاً سأكون أقلَّ خوفاً! تتدخّلُ ليلي، التي أنصتت بانتباه إلى حديثنا. فما بين الأعطال، والسرقات، ومخاوفكِ، لستُ شديدة الاطمئنان.

- الحقيقة تخرج من أفواه الأطفال، يُعلّقُ جوليان مبتسماً.

أتساءلُ إن يكن قبولي فكرةً جيّدة، عندما يُطلِعُ حجَّتَهُ الكاسحة.

- ثم إننا نقيمُ، مرةً كلَّ أسبوع، سهرةً حول موضوع معيَّن. هذه المرة، سيكون كاريوكي في سيارة تخييمي، عندي جهاز رائع، أعشقُ ذلك، خصوصاً جوني هاليداي!

تُحملِقُ كلوي بعينيها.

- حسناً، ربما سنستمرُّ وحدَنا، تُغمغمُ ليلي.

أشكُرهُ مرة أخرى بحرارة على مساعدته لنا، وأغلقُ البابَ وأستأنفُ الطريقَ وأنا أحاول أن أتركَ أبواب السجن مقفَلَةً[1].

---

(1) إشارة إلى أغنية جوني هاليداي Les portes du pénitencier. (المترجم)

# ليلي

12 أبريل

عزيزي مارسيل،

أعتذر لأني لن أسألكَ عن حالك، لكن يجب أن أحكي لك ما يجري الآن في هذه اللحظة، ستفهم أنَّ هناك أولويات.

انتباه، أأنتَ جالسٌ جيّداً؟

أكيد؟

حسناً.

أمي تصرخُ الآن في ميكروفون أنها ترغبُ في تمزيق صوتها.

لديَّ رغبةٌ في الوشاية بها لشخص ما، لكنني أولاً لا أعرفُ لمن سأشتكي، ثم إنني لا أتحدّثُ الايكيا[1]. لذلك أتركُ طبلتَي أذني تموتان رويداً رويداً.

انتظِرْ، سأشرح لك كيف حدثَ الأمرُ.

ابتدأ كلُّ شيء في الليلة الماضية، كانت الساعة الثالثة، وكان قد أيقظني صوتُ مطرقةٍ هزّازة. في الواقع كان ذلك شخير أمي، عندئذ فعلتُ مثلما قرأتُ ذات يوم في العم دهب، صفَّرتُ، لكن

(1) ايكيا هي شركة سويدية. (المترجم)

الأمر لم ينجح، ربما لأني لا أُتقنُ التصفير. حاولتُ أن أُطلِقَ صيحاتٍ شديدةَ الحِدَّةِ، شبيهة بالصفير، لكنني توقّفتُ للتوِّ عندما أصابتني كلوي بضربة في ساقي.

كان على أمي أن توقف ذلك الضجيج، لم يعد الأمرُ محتمَلاً، ففكرتُ في طريقة أخرى كنتُ قد قرأتُها في **العم دهب**: غمسُ أصغر أصابعها في كأس ماء. هي ليست طريقة لتوقيف الشخير، ولكن يبدو أنها تصلح لدفع الشخص للتبوّل في الفراش. فإن أصابها البللُ، فإنها ستستيقظُ، وبذلك فإنها ستكُفُّ عن الشخير. هذا أمرٌ بديهي، ويتني هيوستن. نهضتُ، أفرغتُ بعض الماء في قدحٍ وأمسكتُ بيد أمي لآخذَ إصبعها الصغرى، لكنني لم أجد الوقتَ للعثور عليها، فقد انتفضتْ وأراقت الكأسَ على نفسها.

بعد ذلك، لم تعد نائمة، لكنها لم تكن بخير. كانت تتنفسُ بسرعة، وتتعرَّقُ، سألتُها ما بها، فتجيبُ أن كلَّ شيء على ما يُرام، لكنني لم أصدِّقها إلّا قليلاً، لأن أسنانها كانت تصطكُّ. اقترحتْ عليها كلوي أن تأتي إلى فراشنا، ورقدتْ بيننا، وأحاطتْها شقيقتي بذراعها ودعكتْ كتفَها، ومن ثمَّ فعلتُ أنا الأمر نفسه من الناحية الأخرى. لا أدري إن كانتا قد نامتا، ولكن لم يشخر أحدٌ بعد ذلك.

هذا الصباح، في أثناء الفطور، قلنا أنا وكلوي لأمي إننا نريد أن نتبع جماعةَ جوليان في المراحل الآتية. ذلك آمنٌ، وإن يكن علينا أن نتحمَّل أناساً كثيرين. ليس ذلك لأني لا أحبُّ الناسَ، ولكن يمكنني أن أستغني عنهم، مثل اللفت في صحن اللحم. سألتنا إن كنَّا واثقتين من الأمر، فهي تُفضِّلُ أن نستمرَّ ثلاثتُنا مع الحرص على ألّا نبتعد كثيراً عنهم، لكن الأمر مختلف. غير أنها انتهتْ إلى الاعتراف أنه سيكون أفضل، وأننا سنشعر بالأمان في حال السرقة، أو العطل، أو هجوم فأر أو كأس ماء.

هكذا، بعد زيارتنا اليوم لمدينة كالْمار (هذه مجرّد خدعة، حيث لا نعثر فيها على الكاليماري)، (كأنْ لا نجد شوكولاتة ليون في مدينة ليون)، التحقنا بالمسافرين الآخرين في مكان شبيه بموقفٍ للسيارات على ساحل البحر، يواجه جزيرةً سنزورها غداً.

لم أحفظ كلَّ الأسماء، لكن توجد أربع سيارات تخييم:

- جوليان، المنسِّق، وابنه نُوِي، الذي عمره ثلاثة عشر عاماً
- أبوان مع طفليهما، ولدٌ (صغير) وبنتٌ (كبيرة)
- زوجٌ رفقة كلبهما (جان-ليون)
- جَدَّان (دييغو ولا أعرف اسم الآخر)

لحسن الحظ، لسنا ملزمين أن نظلَّ طوال الوقت مجتمعين، لكننا هذا المساء أكلنا معهم «احتفالاً بوصولنا». وضعوا جميع الطاولات المطويّة في الخارج وألصقوها بعضها ببعض ليصنعوا منها طاولةً كبيرة. جلستُ بجانب نُوِي، على الأقل كنتُ متأكِّدة أنه لن يتكلَّمَ طوال الوقت. لا أعرف ماذا شرب الكبارُ، لكن الآن، في هذه اللحظة التي أكتبُ إليكَ فيها، دييغو (الجدّ) يُغنّي «أوقِدوا النارَ». ليس لي سوى رغبة واحدة: أن يمتثل أحدٌ لطلبه.

هيّا، سأتركُكَ، سأحاول أن أجد شيئاً أضعُهُ في أذنيَّ لأنام في صمت. أظنُّ أنني رأيتُ سدّادات قطنية في حقيبة أدوات الزينة الخاصة بأمي.

قبلاتي مارسيل

ليلي

ملاحظة: أحياناً أودُّ أن أكون مثلك (ليس مسطَّحةً) (بل بلا أذنين).

# أخبار كلوي

بينما كنَّا نسير بالسيارة في جزيرة أولاند، أخذتُ دقيقةً من الدقائق الثلاثين المتاحة لي يوميّاً، كي أتحقَّقَ من وجود جواب لكيفين على رسالتي. لا شيء دائماً. لم أجد سوى رسائل من إيناس التي تُزَوِّدُني بنميمة الثانوية، على الرغم من أنه قد قرأ رسالتي أربع دقائق فقط بعد أن أرسلتُها. أعدتُ قراءتها مرّاتٍ عديدة أحاول أن أكتشف ما قد يكون أغضبَهُ.

«مرحباً كيفين، أنا جدّ سعيدة بقراءتك! لقد رحلتُ، لا أدري متى سأعود بالضبط، لكن سيسرّني كثيراً أن نتراسل كلَّ يوم، مثل مراسلين صحافيين نوعاً ما! عمَّ كنتَ تريد أن تحدثني؟ قبلاتي الحارّة».

لستُ أفهم. ليس لديَّ انطباع أنني بالغتُ في الأمر، بل إنني حذفتُ رمز القلب قبل الإرسال. لا بدَّ أنه لم يجد الوقت للكتابة. وليس ذلك ما ينقُصُ هنا.

تمتدُّ الأيامُ ببطء، أشعُرُ أننا استنزفنا كلَّ مواضيع الحديث مع أمي وليلي. صار الصمتُ المسافرَ الرابعَ في سيارة التخييم. تبذل أمي جهوداً لخلق الحوار، لكنه لا يستمرُّ. ليلي لا تفهمُ أيَّ شيء، وأنا ليس لديَّ ما أقوله. الأمر غريب، كنت دائماً آمُلُ أن يأتي يومٌ

تعملُ فيه أمي أقل، مثلما كان الأمر قبل رحيل أبي، وأننا يمكن أن نقضيَ وقتاً أطول معاً، والآن وقد تحقَّقَ ذلك، لا أجدُ الأمرَ كما تخيَّلتُهُ. قد يحصلُ ذلك في المستقبل. ربما قد يكون علينا أن نتعلَّم أنفسَنا من جديد، مثلما يحدثُ عندما يكون على المرء أن يتعلّمَ لغةً أجنبيةً من جديد بعد أن لم يتكلّمها منذ مدة طويلة.

- ها قد وصلنا!

جذبَتْ أمي فرامل اليد. كنّا قد عبرنا جزءاً من الجزيرة في اتجاه أقصى جنوبها على طريق ضيّق مزفَّت، تحفُّهُ من اليسار أبقارٌ، وأغنامٌ، وطواحينُ هوائيةٌ، وأحجارٌ، وأكواخٌ حمراء موضوعة على العشب، ومن اليمين يحفُّها البحرُ، الذي تجعلُهُ أشعّةُ الشمس يكتسي لوناً قريباً من لون الفضّة.

نزلنا من المركبة، قبالتنا كان ينتصبُ فنارُ لانج يان. كان مهيباً وهو يقف وحيداً في مواجهة عناصر الطبيعة.

توجّهتْ أمي نحوهُ، وتبعناها. أشارتْ ليلي، التي كانت حصلتْ على الإذن بإخراج فأرها، إلى أعلى البرج.

- سنصعدُ؟

حرّكتْ أمي رأسَها بالنفي:

- لم أُخَطِّط لذلك.

- يا للأسف، أنا وماتياس كنا سنحبُّ ذلك كثيراً!

رفعتْ أمي رأسها نحو القمّة، لم تحتج إلى الكلام لأفهم أنها كانت تحسب عدد الدرجات. قالت اتفقنا.

عند مدخل الفنار، شرحت لنا امرأةٌ أننا نوجد داخل محميّة لعِلم الطيور، وأن عدداً من أنواع الطيور يمكن مشاهدتُه بواسطة المنظار، وأعارتْنا واحداً.

دفعتْنا أمي أمامها وشرعنا في الصعود. وصلنا خمس دقائق قبلها. أعتقد أنها لأول مرة في حياتها كانت تودُّ أن تكون في مكان فأر.

كان الأمر يستحقُّ ما بذلناه من جهد. كانت الريح الباردةُ المعطّرةُ باليُود تجلدُ وجهي، وحولي يتحلَّلُ الأزرقُ في الأخضر، كأننا في آخر الدنيا، وكان الجوُّ يفوحُ برائحة المغامرة. بقينا هناكَ برهةً، نطوف حول الصومعة كي لا نُهمل أيَّ زاوية رؤيةٍ، متلفِّعاتٍ في معاطفنا. كنا نتناوبُ على المنظار لنتأمَّلَ الطيور، كان هناك البجع، والنوارس، ومجموعة كبيرة من الأنواع الصغرى التي لا أعرف أسماءها. وكان الفنار متاحاً لنا وحدنا. هناك في الأعالي، لم أعد في حاجة إلى أن أكون راشدةً كي أشعر أني حرّة.

كنا نَهُمُّ بالنزول عندما صرختْ ليلي. وأشارتْ بسبّابتها باتجاه البحر.

- انظرا! الصخرة! إنها تتحرّك!

كانت مجموعة من الأحجار الرمادية تغمرها المياهُ، مماثلة لتلك التي كانت تُصادَفُ في كل مكان في الجزيرة. وضعت أمي يدَها، بشكل تلقائي، على جبهة ليلي لتتفقَّدَ حرارتَها، لكن شقيقتي لم تهدأ.

- أعطني المنظار، أقول لكِ إني رأيتُها تتحرّكُ!

أعطيتُها إيّاه، ضبطَتْهُ وشرعتْ تقفزُ.

- أوه، أوه، إنها فقمات!

لم أحاول أن أستردَّ منها المنظارَ لأتأكَّدَ من الأمر، كانت لتعضَّني لو فعلتُ. أخرجتُ آلةَ تصويري وضبطتُ العدسةَ على أقصى مدى. كانت شقيقتي مُحِقَّةً. كانت جماعة من الفقمات تستريح تحت

أشعة الشمس، مستلقيةً على الصخور المغمورة. كان المشهد ساحراً.

نزلنا الدرجات ونحن نركض لكي نكون أكثر قرباً منها، غير أنَّ الحارسةَ لم تنصحنا بالاقتراب. كان ذلك سيُفزِعُها. حينئذ اكتفينا بتأمّلها عن بُعد قبل أن نعود إلى سيارة التخييم على مهل، كأننا نُؤَخِّرُ لحظةَ الرجوع إلى الواقع.

كان الأمرُ غريباً، كأننا كنّا في حالة صدمة. لم تنطلق أمي بالسيارة في الحال. حتى ليلي كانت صامتة. لكن ذلك الصمتَ كان مختلفاً. كان يجمعنا.

كان جمالُ العالم قد وجَّهَ لنا ضربةً قاضية.

# آنا

بعد ثلاث أمسياتٍ قضيناها مع مجموعة أصحاب سيارات التخييم، سألتُ ليلي وكلوي إن كانتا ترغبان في أن نستمرَّ معهم أم أن نستأنفَ طريقَنا وحدنا. بإجماع صاخبٍ، صوَّتتا لصالح الاختيار الأول.

ولم يكن ذلك ما توقَّعتُهُ. هذه الرحلة، كنتُ أتصوَّرُها رحلتَنا نحن الثلاثة، رحلةً مغلَقَةً نوعاً ما، كان من المفترض أن تُعيد التواصلَ بيننا، فضاءً مُصَغَّراً حيث لن يكون لنا من اختيار سوى أن نعيش معاً. أن نتعارف بشكل أفضل، وأن نقضي وقتاً بيننا، وأن نتعلَّمَ من جديد كيف يثقُ بعضُنا في بعض. أنا واثقةٌ من أنَّ ذلك ما هما في حاجة إليه. لكن يبدو أنني بالغتُ في تقدير قُوايَ.

في البيت، كان ينقصني الوقتُ، لكني كنتُ أعرف كيف أجد الحلول. هنا، يحدث العكسُ.

كان الانشغالُ المتواصلُ يمنعني من أن أفكِّرَ. كلَّ يوم، كنتُ أسترسلُ من مهمة إلى أخرى، أشغال البيت، والتسوّق، والوثائق، والعمل، وتغيير لمبة، وإعداد الوجبات، وتشغيل غسّالة الأواني، وكتابة كلمة من أجل البنتين كي تُفرِغا غسّالةَ الأواني، وكتابة كلمة من أجل البنتين كي أقول لهما إنهما قد نسيتا إفراغ غسالة الأواني،

إفراغ غسّالة الأواني. . . كلّ مساء، كنتُ أتهالكُ فوق فراشي وأنام كأنني تلقّيتُ ضربة على الرأس.

هنا، أنا أُفكِّرُ. أُحلِّلُ. أُقَوِّمُ الوضعَ. وأحياناً، لا أفكِّرُ في أي شيء. دماغٌ في حال استرخاء، هدفٌ مفضَّلٌ لأزمة الفزع.

**- ماذا لو أطلقتُ أزمةَ فزعٍ؟ يقترح دماغي العاطفي.**

**- لا وجود لسبب يدعو لذلك، يجيب دماغي العاقل.**

**- وهذا هو السبب المثالي، تحديداً!**

**- لا شكراً.**

**- بلى! مضى وقتٌ طويلٌ لم أختبرك فيه، ستنتهي إلى الاعتقاد أنكَ في أمان. انتظِرْ، سأرسِلُ جيشاً من النّمل إلى أصابعك.**

**- لا، حقيقة، أستطيع أن أستغني عن ذلك.**

**- فات الأوان. سأرميكَ برفع إيقاع القلب!**

**- توقّف، وإلّا فإني. . .**

**- وإلّا ماذا؟ لستَ في مستواي، أنتَ تعلمُ ذلك جيّداً. هيّا، سأرسلُ بعض هبّات الحرارة وأُشَغِّلُ الارتعاشات. ألا تزال صامداً؟**

- . . .

**- أيها الدماغُ العاطفيُّ، ألا تجيب؟**

- . . .

- حسناً. قد اختفى. انتصرتُ من جديد.

في الواقع، لا أخشى أن يقع عطلٌ أو أن نتعرَّضَ للسرقة. ما أخشاه هو أن تحصل لي أزمةُ فزعٍ وألّا أتمكَّنَ من التحكُّمِ فيها. أخاف أن أفقد الوعيَ فتجد ابنتاي نفسيهما وحيدتين. إني مرعوبة من

أن أعانيَ من تلك الأعراض الرهيبة. أعراض الخوف. في الحقيقة، أنا خائفةٌ من أن أخاف. أخاف من نفسي.

كنتُ قد فكّرتُ في أن نتبع مسار المجموعة دون أن نلتصق بهم كلَّ الالتصاق. ألّا نبتعد عنهم كثيراً، ولكن ألّا نكون معهم. قضاء ليلةٍ معهم أحياناً، وأغلب الليالي منفصلات عنهم. لكن قد يكون الاختلاط بأشخاص آخرين هو الحلُّ للشعور بالأمان.

بعد أن قضينا ثلاث أمسياتٍ رفقتَهم، بدأتُ أكتشفُ أصحابَ سيارات التخييم الآخرين. يلتحق بعضُنا ببعض عند الليل، في الساعة التي نختارها. المكانُ يحجزه جوليان، فلا يكون علينا إلّا أن نستقرَّ فيه. نلتقي، ونتحدَّثُ ونحن نقوم بتفريغ المياه المستعمَلَة، أو نتقاسم مشروباً فاتحاً للشهية أو وجبةً إن رغبنا في ذلك.

يوجد جوليان، منسِّقُ المجموعة، الذي يسافر رفقة ابنه ذي الثلاثة عشر ربيعاً، نُوِي، ولدٌ رقيقُ الملامح، لا يتكلّم لكن يمكن أن يتأمّل خذروفه المضيءَ ساعاتٍ طويلةً. وعلى الرغم من أنه أفلح في إقناعي بالمشاركة في الكاريوكي، فإني عازمةٌ على أن أجدَ عذراً مُقنِعاً لأتحاشى الأمسية القادمة التي يتمثل موضوعُها في: الحركات الميمية والمحاكاة.

ويوجد مارين وغريغ، عروسان من بياريتز، وكلبهما جان-ليون. يحاولان، كلَّ يومٍ، أن يعثرا على بطاقة بريدية للمكان الذي يزورانه لإرسالها إلى المقيمين في دار العجزة حيث يعملان. أعتقد أني سأكون وإياهما على وئامٍ كبير.

ويوجد دييغو وإدغار، ثمانينيان من أوفيرن. كان من المفترض أن يقوما بالرحلة رفقة زوجتيهما، مادلين وروزا، لكنهما ماتتا، لا

يفصل بين موتيهما سوى أسبوعَين، في الشهر المنصرم. لا يتحدّثان إلّا قليلاً، وكلما تحدَّثا إنما يكون حديثُهما عن زوجتيهما.

ويوجد فرانسواز وفرانسوا وطفلاهما لويز ولوي، سبعة عشر عاماً وتسعة أعوام. السيدة محاميةٌ، والسيّد «رجل أعمال»، خرجا في هذه الرحلة لأن طفليهما قد اعتادا كثيراً على أسلوب حياتهما الباذخ. يأملان أن يضطلع ما يطلقان عليه اسم «صِدام الثقافات» بإعادتهما إلى واقع الحياة. ولمساعدتهما على ذلك، اختارا أن يسافرا على متن مركبة ليس بها من وسائل الراحة إلّا الضروريّ.

النور مضاءٌ في سيارة تخييم جوليان. أطرقُ البابَ، يفتحه، وقد عقد حول عنقه منديلاً ذا مربعات.

– دائماً نتناول شوكولاتة ساخنة قبل النوم أنا ونُوِي. كلُّ شيء على ما يُرام؟

– أجل، أجل، نحن بخير! جئتُ لأخبركَ أننا سنستمرُّ معكم في الرحلة، إن كنتَ لا تزال موافقاً على الأمر.

دون أن يترك لي مجالاً لردِّ الفعل، يقفزُ إلى الأرض ويضمّني بين ذراعَيه وهو يُربِّتُ على كتفي.

– أنا جدُّ مسرور حقيقةً! اتّخذتِ القرارَ الأفضل.

أعود إلى سيارة التخييم وأنا أحاول أن أقتنع أنني واثقة من الأمر مثله. لا تنتبهُ البنتان لدخولي.

– ما كنتُ لأظنَّ أنني سأقول هذا أبداً، تهمسُ ليلي، لكنني أشتاق حتى للمدرسة.

– لم أعد أتحمَّلُ العيش في هذا الشيء الصغير، تضيف كلوي.

حسناً، كان الأمر لطيفاً، شاهدنا مناظر جميلة، يمكننا أن نعود الآن!

- تعتقدين أن علينا أن نقول لها ذلك؟

- لا ، ستشعر بالخيبة.

- ماذا نفعلُ إذاً؟

تُفكِّرُ كلوي ثواني معدودة، ثم تستأنف:

- ما علينا إلّا أن نجعلها تندمُ على فكرتها ودفعها إلى الرغبة في الرجوع.

- أوه نعم! تصرخُ ليلي بانفعال. سنجعل الرحلة جحيماً لا يُحتَمَل!

أخرجُ برفقٍ، وأستغرقُ برهةً لأستوعبَ ما سمعتُهُ، ثم أفتحُ البابَ بصوت مسموع لألتحق بابنتَيّ الودودتَين.

مكتبة
t.me/t_pdf

# ليلي

18 أبريل

Hej Marcel!

Jag heter Lily, jag 12 år gammal.

(بما أن من الواضح أنك لا تتحدث السويدية، فذاك يعني «مرحباً مارسيل، اسمي ليلي وعمري 12 سنة»).

أرجو أن تكون بخير وألّا تشعر ببرد شديد. يجب أن أحكي لك أمراً، لكنني أخاف كثيراً أن تعثر أمي عليكَ وتنجح في استنطاقك، لذلك سأُدلي إليكَ بحديث مُلغِزٍ.

كلمتي الأولى مرادفةٌ لنحن.
والثانية فعل «ذهب» في الحاضر بضمير هو.
والثالثة هي ما تفعلُهُ الهرَّةُ عندما تشرب.
والرابعةُ نبتةٌ ذاتُ كرياتٍ حمراء، تلسعُ الأصابع.
والخامسة ثالث حروف الهجاء.
والسادسة أوَّلُ حروف الهجاء.

ليست لديَّ فكرة عن السابعة، إذاً سأخبرك عنها، هي «نهاية».
والكلُّ هو ما سنفعله أنا وكلوي بأمي[1].

إذاً، هل حزرت؟
أعلِمني بإشارة إن لديكَ فكرة.
أوووه. لا يمكن أن نقول إنك ذكيٌّ حقّاً.
حسناً، سأعطيكَ الجواب، لكن إن عثر عليكَ أحدٌ ما ذات يوم (ولم أكن أنا)، عليكَ أن تنقضَّ على وجهه وتنغلقَ دفعةً واحدة، ثم تنطلق بعد ذلك محلِّقاً، حسناً؟
إذاً الجوابُ هو: «سندفعها إلى الاستسلام».
سنفعل كلَّ شيء كي تُقرِّرَ أمي العودةَ إلى بيتنا.
تحدثنا عن الأمر أنا وكلوي، قضينا حقيقةً لحظاتٍ جميلةً هنا، لكن التخييم صالحٌ لمدة خمس دقائق فحسب. لو قيل لي هذا عندما وُلِدتُ، لعُدْتُ إلى الداخل من حيث أتيتُ. أريد أن أرجع إلى غرفتي، وفراشي، ومجلات العم دهب، وحجارتي ومعادني، أريدُ أن أخلوَ إلى نفسي وأن أرقص كما أشاء دون أن تسخر مني كلوي. هي أيضاً تودُّ أن تعود، وبما أننا نتفقُ على أمرٍ لأول مرة، فقد قلنا إنَّ علينا أن نستفيد منه.
وهكذا قمنا بأوّل محاولةٍ أصيلَ هذا اليوم، ولم نكن رحيمتين. كنا بصدد زيارة مدينة قرسوطية، فادستينا، على ضفة بحيرة فاتيرن.

---

(1) اللغز باللغة الفرنسية بلغة طفلة: On va lape houx c a bout، وتقصد (On va la pousser à bout). ومعناها (سندفعها إلى الاستسلام). (المترجم)

كان المنظر جميلاً حقيقةً، لكن الأشياء الجميلة تتشابه جميعاً: ما أن ترى واحدةً منها، حتى تكون قد رأيتَها جميعَها.

ذات لحظة، أرادتْ أمي أن نقوم بجولة حول القصر، فأشارت إليَّ كلوي أن الوقت قد حان، ثم قالت إنها تودُّ أن نتوقَّفَ لنرتاح بعض الوقت. كنّا عند أسفل أحد الأبراج، تمهَّلتُ إلى أن كانت أمي لا تنظر ناحيتي، فأخرجتُ ماتياس من تحت معطفي ووضعتُهُ عند قدميها، آملةً ألّا يهرب. لم ترهُ للوهلة الأولى. ينبغي أن أقول إنها لم تتوقف عن الكلام عن الخنادق المائية من هنا، والأسوار من هناك، لقد أخطأتْ هوايتَها، كان عليها أن تكون ويكيبيديا. لا بدَّ أنَّ فأري الصغير قد أدركَ ما يُنتظَرُ منه، فتعلَّقَ بسروال أمي الجينز وشرعَ يصعدُ على طول ساقها. كانت قد تعلَّمَتْ، مُكرَهَةً، أن تتحمَّلَ حضورَهُ بعيداً عنها مسافةَ بضعة أمتار، لكنها لم تلمسْهُ أبداً وتصرخُ كلما صادفَتْهُ. رأيتُ عينيها تتّسعان من الذعر، وانقبضَتْ، خصوصاً عندما تلوّى ذيلُهُ حول رَبْلَتِها. نظرتْ إليَّ كلوي نظرةَ استحسان، أما أنا فقد حبستُ أنفاسي، خشيتُ أن تَقذفَ بفأري ضربَةَ جزاء. أتعرفُ يا مارسيل، صدِّقْني إن أردتَ، فهي لم تكتفِ بعدم الصراخ، بل إنها ابتسمتْ لي وقالت إنَّ ماتياس جِدُّ حنون. أعتقد أنها كانت في حالة صدمة.

كنَّا متذمِّرتين، لكننا لن نستسلم، لن نتخلَّى عن الأمر. سننتقل إلى السرعة القصوى.

هيّا، سأترُكُكَ، فهذا المساء هو أمسية «الحركات الميمية والمحاكاة». قالت أمي لا يمكننا أن نكون الوحيدات اللواتي لا يشاركن. لحسن الحظ يوجد نُوِي. أمس، علَّمتُهُ كيف يمكن أن نصنع موسيقى بوساطة قَدَحٍ، وبدا أن الأمر أعجبه.

قبلاتي مارسيل.

ليلي

ملاحظة: لا أكُفُّ عن أكل الكانيلبولار، نوع من الكعك بالقرفة، سيُصبحُ بطني أضخم من العينَين.

# أخبار كلوي

هذا الصباح، كنتُ أوَّلَ من استيقظت. خرجتُ دون أن أُحدِثَ صوتاً، كنتُ في حاجة لاستنشاق الهواء والاختلاء بنفسي. وصلنا ستوكهولم البارحة، حيث ينبغي أن نقضي ثلاثة أيام. أمي لم تتراجع.

كانت لويز، ابنةُ البرجوازيين، منشغلةً بأداء وضعيات اليوغا. حيَّتْني بحرارة، ورددتُ عليها ببرود. أرى جيّداً أنها تريد التقرُّبَ مني، تأتي لتتحدَّثَ إليَّ كلما وجدتْ إلى ذلك سبيلاً، لكنني ليس لديَّ ما أقوله لها. عمرُنا هو الأمرُ الوحيد المشتَرَكُ بيننا. ترتدي فساتين من الصوف وسراويل لاصقة متماشية، تبتسمُ لكلِّ من تصادفه، وعلى الأرجح حتى لأولئك الذين لهم جذع وأغصان، تتحدث بصوت رقيق مثل بساط، وخصوصاً تعطس بصمت.

خطوتُ خطواتٍ لأبتعد عنها فوقعتُ على الجَدَّين، اللذين كانا يُفطران تحت الشمس. اقترح إدغار أن أنضمَّ إليهما، فقبلتُ. ذهب دييغو ليبحث لي عن كرسيٍّ وجلستُ. كانت القهوةُ كريهةً، مثلها مثل كل قهوة شربتُها إلى حدّ الآن. آمُلُ أن أتمكَّنَ من الاستمتاع بها يوماً ما، وبالسجائر كذلك. في انتظار ذلك اليوم، أضعُ قطعتَين من السكّر، وأبتلع.

الجدّان لا يحبان الكلام كثيراً، لكنني كنتُ أعرفُ الموضوع الذي عليَّ أن أتطرَّقَ إليه كي لا أبدو حريصةً على قهوتهما فقط.

- ماذا كان اسما زوجتيكما؟

تنهَّدَ دييغو، وهو ينظر إلى الفراغ:

- مادلين. كانت تحلم بزيارة ستوكهولم...

نهض إدغار وهو يتكئ على المائدة ومشى بصعوبة إلى أن وصل إلى داخل سيارة تخييمهما. وخرج منها من جديد لحظات بعد ذلك، وبيده إطار صورة.

- هذه مادلين، إلى اليسار، وزوجتي روزا إلى اليمين، قال لي وهو يُقدِّمُه لي. كانتا صديقتين حميمتين.

على الصورة امرأتان بشعر فِضِّي تضحكان عالياً، وقد شبكتا ذراعيهما، ويبدو أن ذلك كان على ضفة بحيرة.

- إنهما معنا في كلِّ ثانية. نقوم بهذه الرحلة من أجلهما. ثم سيمكننا الالتحاق بهما.

حرَّكَ دييغو رأسه مُصدِّقاً:

- كلَّ حياتي، عانيتُ من خوفٍ مَرَضِيٍّ من الموت. لم يختفِ ذلك الخوف، غير أن العيش دون زوجتي يُفزعني أكثر من الموت.

تمخَّطَ إدغار بصوت عالٍ. ابتلعتُ قهوتي دفعة واحدة ونهضتُ وأنا أشكر لهما ضيافتهما. فضَّلتُ دائماً الاختلاءَ بنفسي عند البكاء.

أغلب الفتيات من أترابي ينتقلن من علاقة حبٍّ قصيرة إلى أخرى من غير أن يتعلَّقن حقيقةً. لا وجود لالتزامٍ، ولا حتى لعواطف. أنا، لا أبحث عن الحبّ، بل أبحث عن رجل حياتي. أريد أن يَشغَلَ جميعَ أفكاري، أريد أن أشعر أني غير مكتملة عندما

يغيب عني، وأن يفهمني دون أن أحتاج إلى الكلام، أريد أن أعرف كلَّ شيء عنه وأن أجد ذلك مُطَمْئِناً، أريد أن تضطرب أحشائي عندما أنظر إليه، وأريد أن يجعلني صوتُهُ أرتعش، ألّا أكون سعيدة إلّا بحضوره إلى جانبي. أريد أن أُحِبَّ مثلما يحبُّ إدغار وديغو زوجتيهما. أريد أن أكون محبوبةً مثل ماما من بابا.

التقيتُ أمي وليلي في طريق عودتي إلى سيارة التخييم. كانتا ذاهبتين للاستفسار عن استئجار الدراجات الهوائية. كان الهاتف في الجيب المعلَّق، أخذتُهُ وجلستُ فوق السرير. كان كيفين لم يَرُدَّ بعد، لكنه كان متَّصِلاً على الإنترنت. رقنتُ الكلمات وأرسلتُ الرسالةَ قبل أن أندم.

«مرحباً كيفين، كنتُ أريد فقط أن أقول لكَ إني أفكِّرُ فيكَ. أشتاقُ إليكَ. قبلاتي، كلوي».

ظهر الجواب على الشاشة في الحين. شرع قلبي يلعبُ لعبة اليويو.

«سلام، تفكِّرين فيَّ إلى أيٍّ درجة؟».

«كثيراً».

«بَرْهِني على ذلك».

كنتُ أتساءلُ عمّا ينتظره مني عندما أضاف:

«اشتقت إليكِ، أرسلي صورة».

تمزَّقَ حبلُ لعبة اليويو. لم يكن ذلك تحديداً ما كنتُ أتوقَّعُهُ، لكن قد يكون الحبُّ عند كيفين يتجلّى في مكان غير القلب.

نظرتُ من حولي، يبدو ألّا أحد يمكنه أن يراني. وجَّهتُ عدسةَ الهاتف نحوي. كنتُ أتساءلُ إن يكن من الأفضل أن ألتقطَ الصورةَ

من الأسفل أم من الأعلى عندما انفتحَ البابُ. كانت أمي. أطلقتُ الهاتفَ.

- ماذا تفعلين؟ سألتني.

لم أُجِبْ، اعتبرتُ أنَّ المشهد كان صريحاً لا يحتاج إلى شرح. لكنها ألَحَّتْ في السؤال:

- تلتقطين صورة لنفسك عاريةً؟ كلوي، أجيبيني! لماذا تفعلين هذا؟

أحسستُ ببطني يتلوّى. مستلقية على سرير غير مريح، مستعدَّةً لمبادلة صورة لي مقابل فُتاتٍ من الحبِّ، ورأيتُني بئيسةً في عينَي أمي. شعرتُ بالخجل. وبالغضب من نفسي. عندئذ صببتُ حنقي عليها.

- دعيني وشأني! زمجرتُ في وجهها. دعيني وشأني، اخرجي من هنا! ألا ترين أنكِ تخنقينني، بأحكامكِ وأوامركِ؟

- كلوي، توقَّفي عن...

- توقَّفي عن ماذا، هيه؟ توقَّفي عن إرسال الصور؟ توقَّفي عن استرخاص جسدكِ؟ لكن أمي، هل سبق لكِ أن تساءلتِ عن السبب الذي يدفعني إلى كلِّ ذلك؟ هل سبق لكِ أن تساءلتِ إن لم تكوني أنتِ مسؤولةً بعض الشيء؟ ربما لو أنكِ لم تهجري أبي لما كنّا قد وصلنا إلى هذه الحالة...

لم تتزعزع. كنتُ أريد أن أتوقَّفَ، لكن الكلام كان يندلقُ. كان ينبغي أن أؤلِمَها. صوَّبتُ. وشحنتُ. وأطلقتُ النار.

- وربما لو كانت لكِ أمٌّ، كنتِ ستكونين أمّاً أفضل.

# آنا

لديَّ أُمٌّ. كان اسمها بريجيت. كثيراً ما أتحدَّثُ إليها. أطلبُ منها النصيحةَ، هي أوّلُ من أحكي لها ما يحدث لي، وأكتبُ لها قصيدةً كلَّ عامٍ من أجل عيدها.

ماتتْ يوم جمعة. كانت أشجارُ الميموزا مزهِرةً، وكنتُ قد اختلستُ بعض أغصانها من حديقة السيد بلانشار، جارنا. أعدتُ صعودَ الطريق إلى البيت مستنشقةً عطرَ الأزهار الصفراء، وكنتُ أستعجلُ الوصولَ ليضوعَ عطرُها في الصالة. كانت تلك ورودَها المفضَّلة.

كانت ممدَّدَةً على الأرض، في المطبخ، أمام الفرن. وكان الغْراتان على النار.

حاولتُ أن أُنهِضَها، حرَّكتُها، ربَّتُّ على خدّيها، صرختُ، بكيتُ. الأمُّ، دائماً تستفيق عندما يبكي طفلُها.

«ماما، انظري، جلبتُ الميموزا. ماما، من فضلكِ... استظهرتُ قصيدتي، والمدرِّسُ قال إنَّ استظهاري جيّد، وحصلتُ على صورة. انظري إلى صورتي، ماما! ثم إني رأيتُ طيور الكركي تحلِّقُ، هيّا، لنذهب إلى الخارج، ماما، أنا متيقِّنةٌ أننا سنرى منها طيوراً أخرى. ماما... أتوسَّلُ إليكِ، ماما...».

كنتُ أريد أن أذهب للبحث عن مساعدة، لكنني لم أكن أستطيع أن أتركها وحيدة.

وضعتُ يديَّ على صدرها وضغطتُ. رأيتُ ذلك يحدث في التلفاز، والرجل استفاق. ضغطتُ طويلاً إلى أن فقدتْ ذراعاي كلَّ قوة. ثمّ فهمتُ. ذهبتُ لأجلبَ الغطاءَ من فوق الكنبة، وتمدَّدتُ إلى جانبها، وقد غمرتُ وجهي في عنقها، وأسدلتُ الغطاءَ فوقنا، وشرعتُ أشدو بالأغنيات التي كانت تهمس بها إليَّ كلَّ مساء.

كنتُ لا أزال أغنّي عندما عادَ أبي من العمل. هو الذي حكى لي ذلك. كان الوقت ليلاً، والغْراتان قد احترق. لا أتذكَّرُ سوى ورود الميموزا، المبعثَرَةِ على أرضية المطبخ الباردة.

كان عمري ثمانية أعوام وكنتُ البنتَ الوحيدة. أبي كان عمره ثلاثين سنة وكان أباً وحيداً، وجدَّتي كان عمرها أربعة وخمسين عاماً ولم يعد لديها أطفال. جَدَلنا آلامَنا لنصنع منها ألماً واحداً، هائلاً، ماحقاً، لا يُقهَر. لا بدَّ أننا كنا نأملُ أن يكون الحِمْلُ أَخَفَّ بالنسبة إلى ثلاثتنا. وكان العكس. فحُزنُ مَنْ نُحِبُّ يُضاعِفُ حزنَنا.

كبرتُ وأنا أتوقُ إلى أن أُصبحَ أُمّاً.

منذ أول صرخة صدرت عنهما، لم يعد لي من غاية سوى غايةٍ واحدةٍ: أن أجعل ابنتَي سعيدتَين.

كثيراً ما لامني أبوهما لأني أوليهما مكانةً كبيرةً أكثر من اللازم في حياتي. وكان مُحِقّاً، بل إنه كان دون الحقيقة: إني أمنحهما كُلَّ المكانة. كلُّ فعلٍ من أفعالي إنما تُمليه رغبتي في أن أرى بسمةً

تضيءُ وجهيهما. ليس الأمرُ تضحيةً، بل يكاد يكون في الواقع أنانيةً: إسعادُهما يُسعِدُني.

أحببتُ كثيراً سنوات الطفولة الأولى حيث كنّا كلَّ شيء الواحدة بالنسبة إلى الأخرى. كلوي، صغيرتي الحنون، التي كانت لا تنام إلا بجانبي، وتُهدي إليَّ جميعَ رسوماتها، وتُقسم لي أنها لن تتركني أبداً. وليلي، صغيرتي المُضحِكة، التي كانت تختلسُ تنانيري لتصنع منها عباءات، وتطلب مني حكايات مخيفةً، وتتوسَّلُ إليَّ وهي تلثغُ في كلامها: «من فضلكِ ماما حبيبتي التي أحبها وأعشقها».

لديَّ خزانة كاملة من الأشياء التي لم أستطع أن أفارقها. مَنامَتهما الأولى، مصّاصتهما الأولى، جميع رسوماتهما، حتى تلك التي لا تشبه شيئاً، «الحجارة الشديدة النُّعومة» التي كانت ليلي تحملها إليَّ كلَّ مساء من المدرسة، جبس كلوي، أشياؤهما الأثيرة، أسنان الحليب، أحذيتهما الأولى، الجهاز النقال الذي كان يغني لهما أغنياتٍ إلى أن تستسلما للنوم، «رويداً، رويداً، رويداً يرحلُ النهار...»، وذكريات أخرى كثيرة. قليلاً ما أنغمسُ فيها، لأن الحنين يغمرني. حُذِّرتُ من انفلات الزمن، لكنني لم أتخيّل أن يحدث ذلك بكلِّ تلك السرعة.

أشعرُ كأننا جميعاً داخل حافلة تتقدَّمُ دون هوادة نحو وجهة مشتركة. يُصادِفُ بعضُنا بعضاً داخلها، ونفترقُ، وأحياناً نترافقُ. البعضُ ينزل قبل المحطة الأخيرة. لا نستطيع كبحَ الحافلة، ولا نستطيع إيقافَها للحظاتٍ، لا نستطيع إلّا أن نتدبَّر أمرَنا لنعيش فيها على أفضل حال ممكن.

عندما ركبتُ تلك الحافلةَ، منذ سبعة وثلاثين عاماً، كنتُ أتقاسم كرسيّي مع شخصَين: والداي. إلى أن نزلتْ منها أمي.

فواصلتُ وحدي، دون أن أبتعد كثيراً عن أبي وجدَّتي. جلس ماتياس إلى جانبي، فتعلَّقتُ به. ثم كلوي. وبعدها، ليلي.

ومنذئذ، اكتسبَتِ الرحلةُ معنى. على الرغم من الارتجاجات، والحوادث، أشعر أنني بخير داخل هذه الحافلة. أعلمُ لماذا أنا موجودة فيها. لكنني أُخمِّنُ التقاطعَ الطرقيَّ القادمَ. إنه يقتربُ، أكثر فأكثر سرعةً. كلوي ستُغيِّرُ كرسيَّها. ليلي كذلك، يوماً ما. سأبتهجُ من أجلهما، لكنني سأبكي على نفسي. سيفقد المشهدُ روعته، والجلسةُ راحتها. لن يعود للرحلة من أهمية. سأراقبُ حياتي وهي تمرُقُ عبر النافذة.

لا أدَّعي أنني أُمٌّ فضلى. ابنتاي ليستا بخير، واقترفتُ أخطاء. كلما اتخذتُ قراراً، وكلما قمتُ بردِّ فعلٍ، تساءلتُ إن كان القرارَ المناسبَ، وردَّ الفعل الملائمَ. كلُّ فعلٍ يتركُ آثارَهُ، مهما يكن صغيراً ودون أهمية في الظاهر. الوالدان مثل بهلوان يرقص على الحبل. نسيرُ فوق حبل ممدود بين الشدَّةِ والرخاوةِ، ونحن نحمل بين أيدينا طردٌ كثير الهشاشة.

ينبغي أن نكون في منتهى الانتباه، لكن دون أن ندفع طفلَنا إلى الاقتناع بأنه مركز العالم؛ وينبغي إرضاؤُهُ دون أن نُتْخِمَهُ، وأن نوازنَ تغذيتَهُ دون أن نَحْرِمَهُ؛ وأن نمنحه الثقة في نفسه، لكن عليه أن يظلَّ متواضعاً؛ ويجب أن نعلِّمَهُ أن يكون لطيفاً، لكن ألّا يسمح لأحدٍ أن يدوسَهُ؛ ينبغي أن نشرح له الأمور، لكن ألّا نبرِّرَها له؛ ينبغي له أن يجتهد ويرتاح؛ ويجب أن يتعلَّم حبَّ الحيوانات، لكن أن يحذرَها كذلك؛ ينبغي أن نلاعبه، وأن نتركه يشعر بالملل؛ يجب أن نعلِّمهُ الاعتمادَ على الذات ونكون حاضرين، يجب أن نكون متسامحين لكن غير مفرِّطين؛ وينبغي أن نكون صارمين لكن من غير قسوة؛

يجب أن نطلب رأيه، لكن ألّا نسمح له بأن يُقرِّرَ في جميع الأمور؛ ينبغي أن نقول له الحقيقة لكن دون المساس ببراءته؛ ينبغي أن نحبَّهُ دون أن نخنقه؛ يجب أن نحميه، لكن ألّا نَحْبِسَهُ؛ ينبغي أن نمسكَ بيده وأن نسمح له بالابتعاد في الآن عينه.

خلتُ أنَّ هذه الرحلة ستكون هي الحلّ. في السنوات الأخيرة، اضطُررتُ إلى العمل للقيام بنفقات البيت. اعتقدتُ أنّ غيابي هو أصل داء ابنتَي، واعتقدتُ أن وجودنا معاً سيكفي لرأب الصُّدُوع. غير أنهما لم تعودا في سنِّ الثالثة. ولم تعد مداعباتي كافية لعلاج أدوائهما.

قد تكون كلوي مُحِقَّةً. ربما لم يكن ينبغي لي أن أحرمهما من أبيهما. ربما أنني كنتُ سأقترف أخطاء أقلَّ لو كانت لي أُمٌّ في سِنِّهما واتَّخذتُ منها أنموذجاً.

أدخلُ إلى سيارة التخييم وأُقفلُ الباب ورائي. أدنو من كلوي دون تفكير، دون أن أدري إن كنتُ سأصرخُ في وجهها أم أني سأحاول أن أتناقش. ترفعُ وجهها نحوي، وقد شوَّهَهُ الغضبُ. إنَّ التي أمامي امرأةٌ، امرأةٌ تستفزُّني وتكرهني. لكن في أعماق عينيها، في تلك الزرقة القريبة من السواد التي ورثْتها عن أبيها، أرى فتاتي الصغيرةَ التي تستصرخني مستنجِدَةً.

# ليلي

21 أبريل

عزيزي مارسيل،

الأمور هنا لا تسير على ما يرام، لا يمكن أن تتصوّر!

في البداية، حدث الشِّجارُ. سمعتُ صياحاً، كان صوت كلوي، دخلتُ إلى سيارة التخييم، فوجدتُها بين ذراعي أمي، تُردِّدُ دون توقّف «سامحيني، سامحيني» وكانتا تبكيان كلتاهما. كأنها مسرحية موسيقية دون موسيقى. سألتُ إن كان أحدٌ ما قد قشَّر البصل، فلم تجيبا. صراحةً، مارسيل، لا أفهمُ ما وجه فائدة البكاء، خصوصاً إذا ما علمنا أنَّ الكوكبَ يفتقد الماءَ، هذا تبذير.

ثمَّ، وقعتِ المأساةُ. لا يزال جسمي يقشعرُّ من ذلك. كنّا في سكانسن، وهو متحفٌ حيٌّ، مثل مدينة متوقِّفةٍ في الزمن. كان هناك أشخاص بثياب العصر القديم، وزُرْنا دكّانَ خُردوات، ومطبعةً، ومدرسةً عتيقةً، بل إننا رأينا نافخَ زجاج، كنا نحسب أنفسنا في العصور القديمة. أعجبني ذلك، إلى أن لاحظتْ أمي أنني لا أَكُفُّ

عن حَكِّ رأسي. أرادتْ أن تنظر ما بي، فرفضتُ، لكنها لم تترك لي الخيار، يبدو أنني أكتري جسمي فقط وهي التي تملكُهُ.

عندما رأت القملَ، قفزتْ قفزةً إلى الخلف وهي تصيح إن الأمر يتعلق بغزوٍ، وإنَّ علينا أن نبحث عن صيدلية للقضاء على كلِّ ذلك. قلتُ إنَّ عليها أن تقضي عليَّ أنا أولاً، فلا مجال لأن أسمح لها بقتل قملي، فإن يكن قد اختار الاستقرار برأسي فإن الأمر ليس مجرّد صدفة، ويتوجبُ عليَّ أن أحميَهُ. حسبتُ أنَّ عينيها ستسقطان. كانت كلوي تضحكُ بشدّةٍ حدَّ البكاء، لا بدَّ أنها كانت تعتقد أنها خدعةٌ كنتُ أمثِّلُها أمام أمي لكي نعود إلى البيت، غير أنَّ الأمر هذه المرة كان حقيقة. قالت أمي إنها موافقة، واستأنفنا نهارَنا بطريقة عادية.

في المساء، داخل سيارة التخييم، انقضَّتا عليَّ. بينما كانت كلوي تُمسِكُني، رشَّتْ أمي شعري بمادة كريهة الرائحة. صارعتُ، وصرختُ أنني سأسجِّلُ شكايةً ضدّهما لعدم نجدتهما قملاً في حالة خطر، لكنهما لم تلتفتا إلى كلامي.

مات قملي الصغيرُ المسكينُ جميعُهُ في الهجوم. صنعتُ له تابوتاً في صندوق أعواد الثقاب ودفنتُهُ عند قدم شجرة التنوب وأنا أغني «سأغدو لأنام في جنة القمل، حيث الشَّعر شديد الطول يُنسينا الزمن. . . ». أرادت أمي وكلوي أن تشاركا في المراسيم، فرفضتُ حضورَ تينك المجرمتَين. وعلى العكس، قبلتُ بحضور لوي ولويز، وإن كنتُ أشعر أنَّ الصغير يسخر مني.

ومن جهة أخرى، فأمر هذين أيضاً لا يسير على ما يرام. والداهما، فرانسواز وفرانسوا، معتوهان تماماً. تصوَّر أنهما يُجبرانهما على الاغتسال بالماء البارد والنوم على فراش رقيق

ويعطيانهما عشر كورونات سويدية من أجل الأكل كلَّ يوم. شرحتْ لي لويز أنهم يعيشون في بيت كبير جدّاً بمسبحٍ، ونوافذ كهربائية، وحتى ثلاجة تصنع قطعَ الثلج، ويملكون شققاً في بلدان أخرى ويسافرون في الطائرة أكثر من مضيفة الطيران. وبما أنهما قد اعتادا على العيش في ذلك البذخ، فإنهما لا يعرفان قيمة المال، ولذلك يريد والداهما أن يُطلِعاهما على أمور مختلفة. لا أدري كثيراً كيف يمكن ألّا نعرفَ قيمة الأشياء، أنا يمكنني أن أقول لكَ، لو أنني كنتُ أملكُ ثلاجةً تصنعُ قطعَ الثلج، لكنتُ أتبرَّعُ عليها بتدليكٍ كلَّ يوم لأشكرها. لكن طبعاً هذا لن يحدث أبداً، فأنا لم أولد من فخذ كراسوس.

ولتتويج كلِّ ذلك، اتصل بنا أبي بالهاتف. وهذه المرة، كنتُ مجبرةً على التحدّث إليه. طرح عليَّ أسئلة كثيرةً حول سير الأمور هنا، فأجبتُهُ بنعم ولا ثم أعدتُ الهاتفَ إلى شقيقتي. يبدو أنه يعتقد أن بإمكانه أن يكون أباً بالاتصال عن بُعد.

هيّا، سأتركُكَ مارسيل، معنوياتي في حِداد هذا المساء، لستُ رفقةً طيبة.

أتركُكَ بالقلم، لكن ليس بالقلب. مع حبي الدائم.

ليلي

ملاحظة: أتمنى أن توجد جنة للقمل وأنها تقيم حفلات مع البراغيث وسرطانات البحر.

# أخبار كلوي

اقترحتْ عليَّ أمي القيامَ بجولة في مدينة ستوكهولم العتيقة، غاملاستان، وألّا نذهب سوى نحن الاثنتين.

بعد حادث القمل، كنتُ أعتقدُ حقيقةً أنها ستُقرِّرُ العودةَ إلى البيت، غير أنَّ حماسها لا يزال بكراً. بحثنا، أنا وليلي، عن وسائل جديدة لدفعها إلى العودة، لكننا نُدرِكُ، في العمق، أنَّ الرحلة ستستمرُّ إلى نهايتها، وأنها ستلتزم بذلك ولو من أجل الوفاء بالعهد الذي قطعَتْهُ على نفسها أمام جدَّتي. غير أني أجدُ في الأمر متعةً، فهذه اللعبة الصغيرة ضدّ أمي تعجبني كثيراً. ليس لأنها تُضحِكُني فحسب، ولكن خصوصاً، لأنها تُقرِّبُني من شقيقتي التي لم يحدث بيننا مثلُ ذلك الانسجام منذ أمدٍ طويل.

وافقتُ. لا أتذكَّرُ آخرَ مرة قضيتُ فيها وقتاً وحيدة مع أمي. عزمتُ على ألّا أكون بغيضة في سلوكي أو كلامي معها، تكفيراً عن كلماتي القاسية في أثناء شجارنا.

تجوَّلنا في الأزقّة المبلَّطة، ودخلنا إلى متاجر كلّها غاية في الجمال، وسلكنا أضيق زقاق في المدينة، مارتن تروتزيغس غراند، وأكلنا الحلويات. التقطتُ صوراً كثيرة، الواجهات الملوَّنة التي تُبايِنُ زرقةَ السماء، والصور المنعكسة في الماء، وماما واقفة فوق جسر

ريكسبرون، وماما أمام القصر الملكي، وماما أمام كاتدرائية ستوكهولم.

- ناوليني آلة التصوير، سآخذُ لك صورةً، قالت فجأةً.

كان عليها أن تُلِحَّ في الطلب. يُشعرني الوقوفُ في وضعٍ لتُلتَقَط لي صورةٌ بكثير من الحرج، خصوصاً عندما يكون الشخص الذي يأخذ الصورةَ يحتاج إلى ربع ساعة ليضبطَ الإطارَ، ولا تكون النتيجة في الأخير سوى صورةٍ غائمة. وهذا يُرضيني لأني لا أحبُّ صورتي. على الرغم من أني سمعتُ دائماً منذ كنتُ صغيرةً أني جذّابة في الصور، وأنَّ لي وجهاً جميلاً، وعينَين رائعتَين، وفماً شهيّاً، وملامح متناسقة، لكنني عندما أشاهد نفسي على شاشة أو في مرآة، تنقضُّ عليَّ نقائصي. ومن ثمَّ فإني أنخرطُ، كلَّ صباح، في رقصة باليه مُحكَمة. قليل من المرهم الأساس لصقل بشرتي، وبودرة دكناء لتعميق خدَّي، وخط الكُحْل، وثلاث طبقات من المَسْكَرة لتكثيف نظرتي، وأحمر لتلوين شفتَي، ورشّة عطر، وخصلات ملتوية بواسطة المكواة. أرتدي قناعَ حصانتي.

أحسسنا ببعض الجوع، فاشترينا سترومينغ مقليّاً مع بطاطس مهروسة وجلسنا على كرسيٍّ على ضفة الماء لتناوله. كنّا نكاد ننتهي من تناوله عندما أرادت أمي أن نشرع في محادثة.

- أأنتِ غاضبةٌ، كلوي؟

- لماذا تعتقدين ذلك؟ سألتها بدوري، كي لا أجيب.

كنتُ أحسُّ بنظرتها تتفحَّصُني، لكنني كنتُ أنظر نحو الشاطئ في الجهة الأخرى.

- انطباعٌ حاصلٌ لديَّ. هل أنا مخطئة؟

مسحتُ فمي بالمنديل الورقيِّ الصغير.

- لستُ أدري، هذا أمرٌ غريب. يرتبط في الواقع باللحظة. أحياناً أكون حزينةً، هكذا، دون سبب، وفي الدقيقة اللاحقة أفيضُ بالبهجة. أحياناً أغلي بالغضب، يكون الأمر مريعاً، فأقول أشياء شريرة، وهذا يزيد من غضبي، لكنني لا أتمكَّنُ من حبس تلك الكلمات. أعتقد أنني...

توقفتُ عن الكلام. كان تعبيري عن تلك الفكرة التي تستحوذ عليَّ منذ زمن يجعلها أكثر واقعية. لكن أمي ألحَّتْ:

- تعتقدين ماذا؟

- لا، لا شيء.

- كلوي، يمكنك أن تقولي لي. لستُ عدوَّتَكِ، أريد أن أفهمكِ فحسب.

فكّرتُ برهةً طويلة. يصعبُ عليَّ أن أكشف دواخلي. يجعلني كلُّ اعترافٍ كأنني أقشرُ طبقةً من طبقات حمايتي. وتلك المعلومة بالتحديد، كانت دقيقةً. إن كنتُ على صواب، فمن الأفضل أن أحتفظ بها في السرِّ. لكن إن كنتُ مخطئةً، فقد تستطيعُ أمي أن تُطَمْئِنني. التفتُّ نحوها وغرستُ عينَي في عينَيها.

- أتُقسمين أنكِ لن تحكمي عليَّ بسبب ما سأقول؟

- أعدُكِ بذلك.

- اتفقنا. أعتقدُ أنني مجنونة.

حاولتْ ألّا تُبديَ لي شيئاً، لكنني لمحتُ القلقَ يرتسمُ على ملامحها. أمسكتْ يدي.

- لا أعتقدُ أنَّكِ مجنونة. أنتِ مراهقةٌ فحسب، حبيبتي.

- لكن الفتيات في الفصل لَسْنَ مثلي! أنا الوحيدة التي أطرح على نفسي أسئلةً بلا حدٍّ، وأتقلَّبُ في آرائي كلَّ حين، ولا أتحكَّمُ

في عواطفي. أعرفُ أني شديدة الحساسية، لكن هذا يزيد على الحدّ! أشعر أني شديدة الاختلاف...

لم تُجب بشيء، داعبَتْ يدي فحسب.

لم نعد في وقت متأخِّر. لم تكن ليلي قد رجعتْ من زيارة متحف ڤاسَا رفقة مارين وغريغ. ابتعدتْ أمي عن سيارة التخييم، ورأيتُها من النافذة تتحدَّثُ في الهاتف.

مباشرة بعد العشاء، قدَّمت لي الهاتف.

- خذي. طلبتُ من جدِّكِ أن يصوِّر هذا بالماسح الضوئي.

تركتني وحدي. نظرتُ إلى الشاشة، كان يوجد بها نصٌّ مكتوب بخط اليد. ثم آخر. ثم آخر. ثم عشرات من النصوص الأخرى.

استغرقتُ ساعةً في قراءتها جميعها. كان الأمر يتعلق بقصائد بتوقيع أمي في معظمها. وفق تواريخها، كان عمرها إبّان كتابتها بين الرابعة عشرة والعشرين عاماً. إلى تاريخ ولادتي.

كانت، بكثير من الشِّعر والحزن، تتحدَّثُ عن الزمن الذي ينصرمُ، والغياب، والموت، والطفولة، والهجر، كانت تبحث عن معنىً للحياة، وتتحدَّثُ عن المآسي في العالم، وعن الحبّ، والوحدة، والخوف، وكانت تُهدي الكثير من قصائدها لأمِّها، وأبيها، وجدَّتها، ولنفسها عندما كانت صغيرة، وللأطفال الذين ستلدهم ذات يوم.

منذ اليوم الذي وُلدتُ فيه، لم يتوقف الجميعُ عن الانبهار بمدى شبهي بأبي. خصلات شعري الشقراء، وعيناي الزرقاوان الدَّكناوان، وساقايَ الرفيعتان. ولم يكن يبدو أن أمي تغضب من ذلك، كانت تبتسم، كأن الأمر لا يعنيها. وكان ذلك، بلا ريب، لأنها كانت تعلمُ في أعماقها، أنِّي في الواقع إنما أشبهها هي، أكثر من أبي.

## آنا

- أنيقةٌ جدّاً، هذه الستائر ذات الورود! تقول مارين وهي تداعبُ الثوبَ.

أشكُرُها، قبل أن أُدرِكَ السخريةَ. إن لم تكن جانيت قد تزوّجتْ بأبي، لأمكَنَ الحسمُ بأن لديها أذواقاً مشكوكاً فيها.

دعوتُ مارين وغريغ إلى العشاء لأشكرهما على مرافقتهما ليلي في زيارة متحف فاسا. كانت قد ألحَّتْ في الذهاب إلى هناك، وفي النهاية كرهَتْ ذلك.

- لا أرى الفائدةَ من إقامة متحفٍ لسفينة غرقتْ، كأنها حققتْ إنجازاً، تُعلِنُ ليلي بينما يتزاحمُ الجميعُ حول المائدة. قريباً، ستُقامُ تماثيل لطائراتٍ سقطت.

انفجرت مارين ضاحكةً.

- تُعجبني هذه البُنَيَّة! تكاد تمنحني الرغبة في أن يكون لي أولادا!

أملأُ كلَّ صحن بِكُريّات اللحم، باستثناء صحن ليلي، التي قرَّرتْ فجأةً أن تُصبحَ نباتيةً، وصحن كلوي التي أكلتْ كثيراً في غاملاستان. تتصرّفان بتكتُّمٍ، غير أني أفاجِئهما تتبادلان ابتسامةً متواطئة. أتوجَّهُ بالحديث إلى ضيفَيّ:

- إذاً، إن كنتُ قد فهمتُ جيّداً، فهذه رحلة شهر العسل بالنسبة إليكما؟

- لنقُلْ إنّنا مدَّدْناها، يُجيبُ غريغ وهو يلتقط كريّةَ لحم بشوكته. كنّا في الأصل سنقوم بجولة سريعة في أوروبا فحسب، لكننا أحببنا كثيراً سيارةَ التخييم فقرَّرنا الاستمرار. أجرينا حساباتنا وقرَّرنا أن نتفرَّغَ سنةً كاملة. هممم، إنها لذيذة!

- شكراً! لا فضل لي في الأمر، وجدتُها عند مطعم وجبات جاهزة في ستوكهولم، كان يكفي أن أسخِّنها. سأفتحُ قنينة نبيذ أخرى، من يريد كأساً؟

- أنا لا أرفُضُ أبداً نبيذاً جيّداً! تقول مارين وهي تمدُّ قدَحَها. طيب، وأنتنّ، لماذا هذه الرحلة النسوية؟ أين هو الأب؟

لاحظتُ أنَّ مارين من الصِّنف المباشر، ولم أكن أتصور إلى أيِّ مدى. لكزَها غريغ بمرفقه.

- ما الأمر؟ تندهشُ. الجميع يطرحون هذا السؤال، أما أنا فأفضِّلُ أن أسألَ وجهاً لوجه!

أَهُمُّ أن أجيبَها وإذا بليلي تسبقني.

- لقد تخلّى عنّا.

- كلام فارغ! تردُّ عليها كلوي. إنه يتّصلُ بنا في كلِّ حين، وإن كان في مستطاعه لأخذَنا معه وقتاً أطول!

- هذا هراء! أتعتقدين حقّاً أنه لا يملك الإمكانات الكافية لاستقبالنا؟

- هذا يكفي، أيتها البنتان... أتدخَّلُ بينهما.

- لا علاقة بين الأمرَين! تحتدُّ كلوي. ماما هي التي لا تريد أن يرانا، هو من أخبرني بهذا!

أضعُ القنينةَ بصوت مسموع، لأهدِّئ ابنتَيّ وكذا قلبي الذي انتفضَ. تحاول مارين تسليَتنا:

- كريات اللحم لذيذة حقّاً. ينبغي أن تتناولا بعضها أيتها الفتاتان، إنكما تُضيِّعان أكلة ثمينة!

ترمي ليلي بنظرة خاطفة نحو شقيقتها، التي تظلُّ عابسةً بعناد. غير أنَّ غضبَها لا يصمُدُ أمامَ فضولها. فَكَّتْ ذراعيها ببطء، وملأتْ صحنَها، وشرعت بتذوُّقِ الصلصة بطرف شفتيها. ينعقد حاجباها، وتقوم بمحاولة ثانية، ثم تدفعُ الشوكةَ لشقيقتها، التي تلحسُها بدورها. أتظاهر بعدم الانتباه، وأواصِلُ الحديث مع مارين وغريغ، دون أن أُظْهِرَ أني أفهمُ جيّداً الحوارَ الصامتَ الذي يجري بينهما.

**ليلي: الصلصة ليست حارّة!**

**كلوي: أعرفُ، لستُ أفهم!**

**ليلي: هل أنتِ متأكّدةٌ من أنّكِ وضعتِ فيها ما يكفي؟**

**كلوي: أفرغتُ العلبة بأكملها! ينبغي أن تكون أفواهُهُمْ تشتعلُ ناراً...**

**ليلي: لا وجود لنارٍ دون دخان.**

أُمسِكُ نفسي عن الضحك. لا تتصوّرُ ابنتايَ اللذيذتان أنني عثرتُ على أنبوب الحرّ فارغاً في صندوق القمامة، وشطفتُ كُريات اللحم بالماء وارتجلتُ صلصةً أخرى. إنهما بعيدتان عن التفكير في أنَّهما ليستا الوحيدتين اللتين تلعبان، وأنَّ والدتهما لم تحبَّ أبداً الخسارةَ.

أشعُرُ بدُوار في رأسي عندما ينصرف غريغ ومارين إلى سيّارتهما. الخمر السويدي يُشرَبُ بسهولة. ليلي منشغلة بالكتابة في

دفترها، وكلوي تُزيل الماكياج عن وجهها. وعلى الهاتف يومِضُ ضوءٌ أخضر.

لم أتعمَّدْ أن أفتحَ الرسالةَ. كنتُ أريد أن أعرف الساعةَ فحسب. تفرضُ الصورةُ نفسَها على الشاشة بكاملها، متحدِّيةً، وعنيفةً. وتحت الصورة، كتبَ شخصٌ اسمُهُ كيفين: «الآن دورُكِ!».

أشعر بالغثيان. ما الذي أغفلتُهُ لتعتقد ابنتي أنَّ الإغواء ينبغي أن يكون عبر تبادل الصور الحميمة؟ ما الذي أسأتُ فعلَهُ لتعتقد بُنيَّتي أن مقدِّمات الحبِّ تبدأ برسالة خاصة؟

أحذفُ تلك الصورة الفظيعةَ وأكتبُ الردَّ.

«مساء الخير كيفين، أنا والدةُ كلوي. كنتُ أفضِّلُ أن أعرف وجهَكَ، لكن أفترضُ أنَّكَ خجول. وبما أنَّ علاقتكما جدّ متطوِّرة، فقد حان وقتُ أن نلتقي، وهكذا نستطيعُ أن نتحدَّثَ عن تفاصيل الزواج. أرسِلْ إذاً الدعوةَ إلى والديكَ، فابنتي متلهِّفةٌ على أن تتعرَّف إليهما. إلى لقاء قريب، يا صهري العزيز.

حماتُكَ

ملاحظة: غطِّ نفسَكَ، سيكون من المؤسف أن تصاب بالبرد».

إرسال.

محو الآثار.

ندم.

نوم.

# ليلي

24 أبريل

عزيزي مارسيل،

أرجو أن تكون بخير! أنا بخير، شكراً.

وصلنا للتوّ إلى فالون، لا تتوقَّفُ أمي وكلوي عن إطلاق صيحات الفرح كلما مررنا ببيتٍ من الخشب الأحمر أو ببحيرة، كأننا في حفل موسيقيٍّ لجاستن بيبير. أما أنا فإني لم أعد أتحمّل كلَّ هذه الغابات، وكلَّ هذه الأشجار، تنتشر في كل مكان، أتوقَّعُ أن أرى تشارلز إنغالز[1] يُهِلُّ علينا في أيِّ لحظة.

سبقَ أن حدَّثْتُكَ عن نُوِي، الولدُ الذي لا يقول أيَّ شيء. أحبُّ قضاء الوقت رفقتَهُ، قد يكون ذلك تحديداً لأنه لا يقول شيئاً، أو لأنه يقوم بحركات لطيفة. عندما أنظُرُ إليه، أحِسُّ الإحساسَ نفسه الذي شعرتُ به عندما أعطوني حبة دواء لأسترخيَ قبل عملية إزالة الزائدة الدودية.

---

(1) Charles Ingalls: بطل المسلسل الأميركي «المنزل الصغير في البراري»، بين عامَي 1974 و1983. (المترجم)

مساء أمس، أردتُ أن أقدِّمَ له ماتياس. سألتُ والدَهُ إن كان في إمكاني أن أراهُ، فدعاني إلى الصعود داخل سيارة تخييمهم، كان نُوِي مستلقياً على سريره، وكان ينظر إلى الأضواء المتحرِّكة في السقف. جلستُ إلى جنبه، كلَّمْتُهُ (لم أكن واثقةً أنه رآني)، أخرجتُ ماتياس من تحت سترتي ووضعتُهُ فوق اللحاف. وكنتُ قد شرحتُ له أنَّ عليه أن يكون لطيفاً معه، لكنه جرى نحو رأس نُوِي واختفى في شَعره. هَبَّ نُوِي واقفاً، وكان يصرخ، ويصرخ، ويصرخ، دون أن يستردَّ أنفاسه. حاولتُ أن أهدِّئهُ، ربّتُّ على كتفه، لكن الأمر ازداد سوءاً، عندئذ التقطتُ ماتياس وأعدتُهُ إلى مكانه تحت سترتي. وصل والدُ نُوِي راكضاً، وضَمَّ ابنَهُ إليه وهو يمسكُ ذراعيه، ونظر إليَّ بغضبٍ وطلب مني أن أنصرف. من الخارج، كنتُ لا أزالُ أسمعُ صراخَ نُوِي. لم أكن أريد أن أُفزعَهُ، أُقسم على ذلك، لم أكن أريد سوى إسعاده.

في وقت لاحقٍ، جاء جوليان لزيارتنا في سيارتنا. كانت أمي ترتدي منامَتَها القبيحة، ولاحظتُ أنها خجولة من مظهرها، لكنها سمحت له بالدخول.

سألني عمَّا حدثَ، وشرحتُ له الأمر، فحملقَت أمي بعينَيها. قال جوليان إنَّ نيّتي كانت طيبةً، لكن نُوِي يحتاج إلى كثير من المراعاة، وينبغي التعامل معه بتروٍّ. يبدو أنه مصابٌ بالتوحّد، ومن ثمَّ فإنه تقريباً لا يتكلّم، يصيح قليلاً، ولا يحبُّ أن يلمسه أحدٌ، أو ينظر إليه، يمكن أن نتواصل معه، لكن ليس بالطريقة التي نتواصل بها فيما بيننا. يعشقُ الأضواء، والأشياء التي تدور، والخيل، وما يُفضِّلُهُ هو الطبيعة، الأشجار، والجبال، والفضاءات الواسعة، والنجوم، والمطر، والشفق القطبيّ، وشمس منتصف الليل. . .

لذلك، وقّف جوليان عملَهُ ليجعله يسافر، وفيما تبقّى من الوقت يذهبُ نُوِي إلى مدرسةٍ متخصِّصة.

عندما انصرف جوليان، قالت لي أمي إنَّ عليَّ أن أكون لطيفةً معه، وألّا أسخر منه لأنه مختلفٌ. لم أُجِبْ، لكنني لم أعتزم أن أسخر منه. في المدرسة، أنا هي المختلفة.

قبلاتي الحارّة مارسيل.

ليلي

ملاحظة: ألاحظتَ أن لا فرق بين متوحِّد وفنان سوى حرفٍ واحد؟[1]

(1) تشير إلى كلمة Autiste بالفرنسية التي تعني متوحّد، أو مصاب بالتوحُّد، وكلمة Artiste التي تعني فنّان. (المترجم)

# ليلي

25 أبريل

أوه لا لا، مارسيل، هذه أنا مرةً أخرى!

هل تراه؟ قل لي إنَّكَ تراه! أرأيتَ كم هو رائع؟؟؟

واوووووووووووووووووووووووووووووووووووووووووووووو!!!

# أخبار كلوي

لم أكن أتوقَّعُ أن أراه، قيل لنا إنه نادرٌ في هذه الفترة، لأن ليس هناك ليلٌ حقيقيٌّ، غروبٌ طويلٌ فحسب.

كنتُ أنامُ بعمق عندما قرعَ أحدٌ بعنفٍ بابَ سيارة التخييم. كان جوليان، يصيحُ بنا أن نخرج بسرعة. كان منتصف الليل، كدتُ أغوصُ من جديد برأسي تحت الغطاء. كنتُ مخطئةً.

استبدَّ بي البردُ. الليلُ في السويد، لا يمزح. كان جوليان، ونُوِي، والمجموعةُ بكاملها في الخارج، وقد رفعوا وجوههم نحو السماء. أطلقت ليلي صيحةً. وفغرتُ فمي واسعاً.

فوق رؤوسنا، كان شفقٌ قطبيٌّ يُنَفِّذُ رقصةَ باليه رائعةً. كان مثل وشاحٍ حريريٍّ هائلٍ يُحلِّقُ بوهنٍ في السماء الدكناء. حجابٌ بخاريٌّ يرقصُ داخل هالة من النور الأخضر والورديِّ. أمواجٌ تتدفَّقُ على النجوم.

تذكَّرتُ العرضَ الذي أنجزَتْهُ ليلي، حيث كانت الفيديوهات التي تشاهدها تسحرني. لكن ذلك لا يقارَنُ بما كنتُ أشعرُ به في تلك اللحظة. كان المشهد قويّاً.

استمتعنا بالمشهد إلى أن أُسدِلَ الستار. كنا نأملُ أن يتكرَّر

العرضُ، لكن ذلك لم يحدث. رجعنا إلى سيّارات التخييم، نردِّدُ الكلمات نفسها: «رائع»، «لا يُصدَّق»، «ساحر»، «عظيم». تسلَّلتُ تحت اللحاف، وحرَّكتُ ساقَي لتدفئة الغطاء، ووضعتُ يدي تحت الوسادة، على صورة بابا، ونمتُ وابتسامةٌ على شفتَيّ.

# أخبار كلوي

ركبنا الباخرة للانتقال إلى جزيرة تريسوندا، في خليج بوتني. كانت أمي قد شاهدت على الإنترنت أنه توجد بها قرية صيّادين محميّة، مُجَمَّدَة في الزمن. لم أكن أتوقعُ أن تكون بكلٍّ ذلك الجمال. كنتُ مأخوذة بجمال المكان إلى درجة أنني ما كنتُ لأُقبِلَ على تطبيق فكرتنا الجديدة لدفع أمي إلى الرجوع إلى البيت، لولا أنَّ ليلي كانت شديدة الحماس لتلك الفكرة.

تخيَّلوا. خليج صغير تَحُفُّهُ بيوتٌ صغيرةٌ حمراء فوق ركائز تنعكسُ على الماء الداكن، وحدائق منظَّمة تحيطُ بها سياجاتٌ بيضاء، وتسقيفات خضراء، ومراكب الصيد مربوطة إلى جسور عائمة، وغابة من شجر التنوب تحيطُ بكلٍّ ذلك كأنها أذرع الحماية، وصوتُ ارتطام الماء، وشدو الطيور، والريح في الأعالي، ورائحة الراتنج: كان المكانُ يستدعي السكينة.

كنّا قد خطَّطنا لنزهة، لقضاء النهار على الجزيرة. وبعد أن التقطنا صوراً عديدة لقرية الصيّادين، توغَّلنا داخل الغابة لنعبُرَ الجزيرة. كانت ليلي تتذمَّرُ:

– حلمتُ أنني تحوَّلتُ إلى شجرة وأنَّ حطَّابين ينشرون ذراعَيّ ليوقدوا بهما النار. يكاد الأمرُ يُصيبُني بالجنون!

أنا كنتُ بخير. كان المشيُ بين الصنوبر، والإصغاء للصمت الذي يقطعه صوت الريح، ووطءُ الأرض والحجارة، يُهدِّئني. كانت الضوضاء في رأسي تُهدهِدُها الغابةُ.

كَفَّتْ ليلي عن التذمُّر عند بلوغنا الطرف الآخر من الجزيرة. قبالتنا، كان البحر هائجاً. وكانت الأمواجُ تتكسَّرُ على الحجارة البيضاء قبل أن تنسحب لتندفع من جديد. وكانت هبّاتُ الرياح تُطيّر شعري، والرّذاذُ يجلد وجهي.

نزلنا عند أعتاب الغابة، في معزل عن هبوب الرياح، وأخرجت أمي السندويتشات التي كانت قد أعَدَّتْها من قبل. تجاهلتُ دعوات ليلي الصامتة لإطلاق استراتيجيتنا الأخيرة، لكنها لم تترك لي الخيار.

- كلوي، ألم يكن لديكِ أمرٌ تُخبرين به ماما؟

رميتُها بنظرة قاسية. ورفعتْ أمي حاجبيها:

- آه حقّاً؟ ها أنا أُنصِتُ إليكِ!

كنتُ أعلم ما عليَّ أن أقوله، لكن، لم يكن قولُ ذلك سهلاً، وإن يكن غير صحيح. كنتُ أخشى رَدَّ فعلها، أخشى أن أجرحها، وأُقلِقَها. سنكون في وضع مريح لو أنها أصيبتْ بأزمة فزعٍ وسط جزيرة شبه خالية!

تنحنحتُ واستظهرتُ نصّي، تحت نظرة شقيقتي المتحمِّسة.

- هذا هو، أنا... في الواقع، كان لديَّ بعض التأخُّر، فاقتنيتُ اختبار الحمل من الصيدلية في ستوكهولم، تعلمين، عندما منحتِني ساعةً حرَّةً.

كنتُ أرجو ألّا أضطرَّ لإكمال جملتي، لكنها كانت تتفحَّصُني بصمتٍ، تُشجِّعُني على مواصلة كلامي.

- لا أعرف كيف يمكنني أن أقول لكِ ذلك. . .

لكن ليلي كانت تعرف:

- حسناً، لن نراوغ، كلوي حامل!

تراجعتُ بحذر، لأتلافى يدَ أمي إن امتدَّت نحو خدّي، لكنها لم تتحرّك. بحثتُ لثوانٍ طويلة عن علامة على وجهها، لكنها ظلّت هادئةً. تمثالٌ من الشمع. لمسَتْها ليلي بأنملتها لترى، من دون شكٍّ، إن كانت لا تزال على قيد الحياة. رفعت أمي عينيها نحوي، وكانتا دامعتين.

- أوه يا حبيبتي! كم أنا سعيدة، لو تعلمين! كم انتظرتُ هذه اللحظة. . .

حاولتُ ألّا أُظْهِرَ ارتباكي. كانت لا تتوقف عن الكلام.

- سيكون أمراً رائعاً أن يكون ولداً، سيمكننا أن نسمِّيَهُ توم، أحببتُ دائماً هذا الاسم! آه، آه، سأكون جدَّةً. شكراً حبيبتي، هذه أجمل هديّة كان يمكنك أن تقدميها لي!

ارتمتْ عليَّ وضمَّتني بين ذراعَيها، بشدَّةٍ، لدرجة لو أنني كنتُ حاملاً فعلاً لولدتُ مولوداً مسطَّحاً. استسلمتُ لها، وقد أرخيْتُ ذراعَيّ على جسدي. قبالتي، كانت شقيقتي تراقبنا، جاحظة العينَين، فاغرة الفم، تمثالٌ حيٌّ للبلادة.

# آنا

يتقلَّصُ الليلُ، والحرارةُ كذلك، إننا نقتربُ من الدائرة القطبية الشمالية. كانت كلوي شديدة الرغبة في زيارة أومِيا، لأن جوليان لم يتوقف عن مدح محاسن تلك المدينة المستقرّة في قلب الطبيعة. وجدتُ صعوبةً في كبح ضحكي المجنون وأنا أنظر إلى سحنتها المفزوعة عندما أخبرتُها أنني أفضِّلُ أن تظلَّ في سيارة التخييم. سيكون ذلك أكثر حرصاً، بالنظر إلى حالتها.

تُعَلِّقُ ليلي، وقد اعتمرَتْ قبَّعَتَها ذات أذنَي الأرنب، على كلِّ ما نَمُرُّ به. ولا يتوقف فرانسوا وفرانسواز عن النظر إليها بتفهّم، لكنني أظنُّ أن ليلي تجد في تلك النظرات تحفيزاً لها وتشجيعاً.

- لا بدَّ أنكِ لا تشعرين بالملل! يهمس لي دييغو بينما نلجُ متحفَ الصورة.

أبتسمُ. مساء أمس، اقترح علينا جوليان زيارةً جماعيةً لهذه المدينة التي يُحبُّها. ما أن توقَّفنا في منطقة سيارات التخييم، حتى انطلقَ ليكتريَ حافلةً صغيرة، ومنذ أوَّل النهار، يطوفُ بنا على المواقع الشهيرة: متنزّه تماثيل أوميدالن، وبحيرة نيدالاسيون، والمحمية الطبيعية. . . وحدهما كلوي وإدغار لم يرافقانا بسبب التعب.

في الطابق الثالث، دخلنا إلى حجرة غارقة في الظلام. على الجدار وعلى السقف، تظهر وتختفي أشكالٌ ضوئية تحت نظر نُوِي المفتون.

- ابنكَ جدُّ محبوب! يُسِرُّ غريغ لجوليان. أتعتني به كلَّ الوقت؟

- الآن، نعم. كنتُ طبّاخاً، لكنني توقفتُ منذ ثلاثة أعوام، لأجعله يسافر. يعشقُ الطبيعةَ، خصوصاً في السويد والنرويج. لو كان في إمكاني، لانتقلنا للعيش هنا، لكنه شديد الارتباط بمدرسته، يحتاج إلى الذهاب إليها بانتظام. لذلك، نُناوب بين الأمرَين، نقوم بِسَفَرَيْنِ كلَّ سنة، دائماً المراحل نفسها، فهذا يُعجبُهُ، وبدأت تتشكَّلُ لديه معالم يستند إليها.

- دائماً في رحلات جماعية؟

- في البداية لم نكن سوى نحن الاثنين، كان الأمر جيّداً، لكنني أحبُّ فكرة اللقاء بأشخاص آخرين وأنا واثقٌ من أنَّ ذلك له أثرٌ طيّبٌ على نُوِي. أنا مُسَجَّلٌ في منتدى لأصحاب سيارات التخييم، وفي السنة الماضية كان هناك زوج يبحثان عن دليل للسفر إلى اسكندنافيا. اقترحتُ نفسي وانضافتْ إلى الرحلة أسرتان أخريان. والآن، نقوم بذلك في كلِّ مرّة.

- هل ماتتْ أمُّهُ منذ مدة طويلة؟ تسأل مارين، التي تفتقد دائماً حسَّ الدبلوماسية.

يداعبُ جوليان لحيته بابتسامة منزعجة.

- الغريبُ أنَّ الجميع واثقٌ من أنَّ زوجتي قد ماتت، كأنَّ من المستحيل أن يعتني رجلٌ بطفله! هَجَرَتْنا منذ خمس سنوات. كان نُوِي في الثامنة من عمره.

ينظرُ إليه الشابّان باندهاش فيضطرُّ إلى مزيد من الشرح:

- أنا لا ألومُها، لقد كافحتْ في السنوات الأولى، وكانت متيقِّنةً من أنها ستستطيعُ أن تُخرجه من التوحّد. جرّبتْ جميعَ الطُّرُق: تحليل السلوك التطبيقي، معالجة وتربية الأطفال المتوحِّدين، نظام التواصل عن طريق تبادل الصور، التحليل النفسي، المعالِج، النظام الغذائي الخالي من الغلوتين ومن الكازين، كانت ترفضُ التسليمَ بأنه يمكن ألّا يستطيع أبداً أن يحضنها، وأن يحكي لها كيف قضى نهارَهُ، وأن يلعب مع أطفال آخرين، وأن ينادي عليها «ماما». وعندما أدركَتْ ذلك، لم تتحمَّلْهُ. ذات مساء، عدتُ من العمل، تركتْ لي نُوِي وخرجتْ لشراء شيء ما. ولم تعدْ أبداً، كانت قد أفرغتْ خزانةَ الملابس في أثناء النهار.

يحكي القصة كأنَّ الأمر يتعلق بقصة شخص آخر، شاخصاً بنظره في الفراغ.

- تتصلُ بي بين الفينة والأخرى لتطمئنَّ على أحوالنا. وتعتذر في كلِّ مرة، وتبكي كثيراً. كان الأمر شديد القسوة بالنسبة إليها. تقول لنفسها إنَّ نُوِي لا يُدرِكُ غيابَها، قد تكون على صواب.

- ألستَ عاتباً عليها؟ يسأله غريغ.

- لستُ أدري. أحياناً أكون غاضباً، وأتساءلُ كيف يمكنها أن تستغني عنه بكل تلك السهولة وقد عاشتْ معه كلَّ تلك الأعوام. لن أقدر على فعل ذلك.

يلتحق بنا فرانسوا وفرانسواز وطفلاهما الذين كانوا قد انتقلوا مباشرة إلى الحجرة الموالية.

- سنستمرُّ، أتأتون معنا؟ تقترح فرانسواز.

- سأبقى قليلاً هنا، يجيب جوليان. يبدو أن نُوِي يعجبُهُ الأمر. لكن واصِلوا أنتم من دوننا، ونلتقي في الخارج بعد ساعة؟

تنصاعُ المجموعةُ كلُّها، سوانا أنا وليلي. لا يُسعفني قلبي أن أتركَ جوليان وحيداً بعد اعترافاته. تتخذُ ليلي مكانها إلى جانب نُوِي. ويتنقَّلُ نظرُها بين وجه المراهق والأضواء التي يتأمَّلُها. ألتفتُ نحو جوليان:

- أعتقد أنها تحاول أن تفهم كيف يشتغل.

- إنها رائعة، ابنتُكِ. هذه أول مرة يهتمُّ به طفلٌ من هذا العمر.

- أجل، إنها لطيفة. عادةً هي لا تتقرَّبُ من الآخرين، تُفضِّلُ الحيوانات، لكن شيئاً ما يحدث بينها وبين ابنك.

نستند إلى الجدار ونتأمَّلُ طفلينا، مستمتعَين بعواطفنا المشتركة.

يقترب موعدُ الالتحاق بالآخرين عندما تصلُ فرانسواز راكضةً، بادية الهلع.

- هيَّا بسرعة، هيّا بسرعة! لقد وقعت مصيبة!

# ليلي

2 مايو

عزيزي مارسيل،

أأنتَ بخير؟ أنا بخير، إذا كان يهمُّكَ أمري. ألم يُعَلِّمكَ والداكَ الأدب؟ طيب، بما أنني لستُ حقودة، فسأُحدِّثُكَ، خصوصاً أن أمراً خطيراً قد وقع.

كنا بصدد زيارة متحفٍ ثقيلِ الدَّمِ (باستثناء القسم الخاص بالأضواء، الذي كان جميلاً، حتى نُوِي كان يبتسم) عندما وصلتْ فرانسواز وهي تصيح، كأنها قد رأتْ خيالَها في المرآة. في الواقع، كانت مارين قد أغمي عليها. كانت هناك، وفجأةً، هوب، في لمحة لم تعد هناك. أصيب الجميعُ بالخوف، لأنها تأخَّرتْ في الاستيقاظ، فقد ارتطم رأسُها بالجدار، وكانت تنزف بغزارة، وكدتُ يُغمى عليَّ أنا كذلك.

حملَها رجالُ الإطفاء إلى المستشفى للقيام بفحوصات، وكان غريغ مذعوراً، كان ذلك بادياً على جبهته التي كانت تشبه

الأكورديون. قضوا هناك الليلة كلَّها، ومن ثَمَّ احتفظنا بجان-ليون معنا، وكنتُ مسرورةً، لكن ليس كثيراً، لأني أحبُّ مارين.

قدَّمتُ ماتياس لجان-ليون. وأدّى فأري دورَ المتكبِّر، فلم يرضَ أن يمنحه قُبلةً، ولا أدري إن كان هذا ما أغضبَ جان-ليون، لكنه كشَّر له عن أسنانه، ولذلك ناما منفصلَين، كلٌّ في حجرته.

انتظرنا عودةَ مارين لنستأنف طريقَنا. كانت تضع ضمادةً على رأسها، يبدو أنهم خاطوا لها جرحها. كانت تبدو متعَبة. وعلى العكس، كان غريغ يبدو مسروراً بعودتها. فهو الذي قادَ السيارة، وسارَ جوليان وأمي في ركاب سيارة تخييمهم، احترازاً من أن تفقد الوعي مرة أخرى.

في المساء، كانت السهرة حول موضوع السويد، لأننا سننتقل قريباً إلى فنلندا، ولذلك كان علينا أن نقول إلى اللقاء بطريقة مناسبة. أكلنا بعض البطاطس المشوية، والبطاطس المهروسة، والسمك المملَّح، وقد أكل أولئك البرابرة لحمَ الرنّة. كدتُ أتقيّأُ، لكن مارين كانت أسرع مني. كان القيء في كل مكان، لكن غريغ كان يداعب ظهرها، الحبُّ أمرٌ مُقزِّز. بعد ذلك، بكتْ وأعلنتْ أنها أُخبِرَتْ في المستشفى بأنها حامل. هنَّأَها الجميعُ، فازداد بكاؤها. قالت إن الأمر لم يكن في الحسبان، وإنها لم تكن مستعدَّةً بعد، وإنها سترفع دعوى ضدّ مانيكس[1] (لا أعرف من هو). أكَّدَ دييغو أن هديَّةً من هذا القبيل لا تُرفَضُ، فأجابت أنها تعلم، وأنها فرحة في أعماقها، لكن بما أنَّ الهدية الآن موجودة في الداخل، سيتوجَّبُ عليها أن تخرج وأن هذا الأمر يخيفها. حكتْ فرانسواز أنها كادت تموت من

(1) ماركة لحبوب منع الحمل. (المترجم)

شدّة الألم، فأمرها فرانسوا أن تصمتَ، فأضافت أن إحدى زميلاتها ماتت بالفعل. تقيَّأتْ مارين من جديد.

عندما انصرفنا للنوم، كانت عينا أمي لامعتَين، لم تتوقف عن القول إن الأمر رائع، فكلُّ تلك الأحمال تُذَكِّرُها بحملها.

طيب، يجب أن أتركك، ها هي التحقتْ بنا في سريرنا.

قبلاتي مارسيل

ليلي

ملاحظة: يمكنك أن تقول إلى اللقاء أنت أيضاً.

# آنا

نحن ممدَّداتٌ ثلاثتُنا على الظهر فوق السرير الضيِّق، ننظر في الظلام.

«بالنسبة إليكِ، حبيبتي كلوي، علمتُ أنني حامل بك ذات سبتٍ مساءً. كنتُ أتمنّاهُ من أعماق قلبي. منذ شهور عديدة، كنتُ أعيشُ فترات الحيض مثل مأساة حقيقية. وفي ذلك اليوم، كان لديَّ تأخُّر يوم واحد، لا يزال الوقت باكراً كي أعرف، لكن الأمل لا يزال ممكناً. لم أكن أفكر في شيء آخر. كنا جلبنا براوني، كلبتنا، منذ بضعة شهور. لم تكن ميّالةً إلى المداعبة، بل إلى النفور. لكنها لم تتوقف عن الطواف حولي في ذلك المساء. وعندما جلستُ على الكنبة، صعدتْ، وتشمّمتْ بطني ثوانيَ طويلة، ثم وضعتْ رأسها عليه. بعد ذلك بأيام قليلة، كان اختبار الحمل الذي أجريتُهُ إيجابياً.

صرتُ أُمّاً حتى قبل أن ألقاكِ. كنتُ أشعر بكِ تكبرين بداخلي، كنت أكلِّمُكِ، وأداعبُ بطني دون توقّف، وأتناول الفواكه، والخضر، وأتحاشى بعض الحركات، وأتنقَّلُ، وأعتني بجسمي مثلما لم أفعل أبداً من قبل. كنتُ، لأول مرة، أحبُّهُ. ولأول مرة، كان مفيداً. كنتُ أتخيَّلُكِ، وأتساءلُ إن كنتِ ستُشبهينني أنا أم ستشبهين أباكِ، إن كنتِ ستنامين كثيراً، وإن كنتِ ستكونين نَهِمَةً بالأكل، وإن

كان سيكون لك شَعر، وعينان زرقاوان، وجميع أصابعكِ.

مرضتُ، ولم أكن أتحمَّلُ أيَّ رائحة، وأتغيَّرُ لأدنى مضايقة، بل إني شتمتُ عجوزاً ذات يوم، لأنها سبقتني إلى صندوق الدفع في متجر كبير، لكن كم أحببتُ أن أكون امرأة حاملاً! وعند اقتراب الوضع، كنتُ مشتَّتةً بين اللهفة لضمِّكِ بين ذراعَيّ والحنين لأنكِ لن تكوني لي وحدي.

ثم، وُلِدْتِ. صغيرتي الحبيبة، صغيرتي الحنون. وصلتِ بلُطفٍ، دون ضجيج، وربَّتَتِ القابلةُ على مؤخرتكِ لتبكي، فبكيتِ. مزَّقَ بكاؤكِ قلبي، أخذتُكِ بين ذراعيَّ، وداعبتُكِ، وتشمَّمْتُكِ، وأحصيتُ أصابعَكِ. كنتُ أجدني غريبة الأطوار، أرغبُ في البكاء والرقص في الوقت نفسه، كان الأمر كأنني ينقصني جزءٌ مني، غير أني لم أشعر أبداً أني مكتملة بذلك الشكل.

نمتِ ستَّ ساعاتٍ. وكنتُ أتأمَّلُكِ، لم أكن أصدِّقُ الأمر. كنتُ أفكِّرُ كثيراً في أمي. ونمتُ بدوري، وقد أمسكتْ أصابعُكِ الصغيرةُ بسبّابتي، وأنا أقول لنفسي إنَّ سعادتي ستكون مرتبطة بسعادتكِ من الآن فصاعداً. عندما ستكونين تعيسة، سأكون أكثر تعاسةً. وعندما ستكونين سعيدةً، سأكون أكثر سعادةً».

صمتٌ.

الفتاتان، تحت اللحاف، ساكنتان. أرجو ألّا يكونا نائمتين.

«أنتِ أيضاً، حبيبتي ليلي، تمنَّيْتُكِ طويلاً. كنتُ أكادُ أفقدُ الأملَ عندما أتيتِ لتستقرّي في بطني. لم تكن براوني من أحسَّتْ بكِ، بل أنا. عندما بكيتُ أمام إعلان لحم مدخَّن، فهمتُ الرسالةَ التي بعثَتْ بها هرموناتي. كنتُ أسعد امرأة، فقد تحقَّق حلمي بأن يكون لديَّ طفلان، وكنتُ عاجزة عن التفكير في أمر آخر.

لم أمرض، لكنني كنتُ أقضي وقتي في الأكل، كنتُ أرغبُ بجنون في الخيار المخلَّل. كنتُ أثخنُ على مرأى من العين، ولم أكن أهتمُّ لذلك. عندما أجريتُ تخطيط الصدى أخبِرتُ أن الجنين ذكر. شعرتُ بخيبة صغيرة، لكنها اختفت سريعاً. كنتُ أوَدُّ أن تكون لكلوي أختٌ، لكن ألا يُقال إنَّ البنت والولد هو اختيار الملك؟ أعددتُ كلَّ شيء لولادتكِ، منامات زرقاء، وسراويل صغيرة، ومراييل مطرَّزة باسمك. توم.

كنتُ أقلَّ خوفاً من المرة الأولى. لم يعد هناك ذلك القسط من المجهول، كنتُ أعلمُ ما ينتظرني. كنتُ أعرفُ أنني سأعاني، لكنني سأنسى في الحين الألم بمجرد أن أرى وجهكِ. كنتُ أعرفُ موجةَ السعادة القوية، اللامتناهية، المتفجِّرة، التي كانت ستمتدُّ بداخلي عندما سأحِسُّ بجسمكِ الصغير فوق جسمي. كنتُ أعرفُ ذلك، لكن الأمر كان، مع ذلك، أكثر قوة. الواقعُ يتجاوزُ الذكريات.

كان الأمرُ مثل انفجار بركانيٍّ، كنتُ أفيضُ سعادةً. كنتِ تبكين عالياً، يا زوبعتي الصغيرة، كنتِ تشدّين قبضتيكِ الصغيرتين وجفنيكِ، ولم تكوني ولداً. لم تهدئي عندما وضعوكِ فوقي، ولا عندما كلَّمتُكِ برقّةٍ. كنتِ تصرخين، لم تكوني مسرورة، كنتُ أنظُرُ إليكِ تتنفّسين أولى نفحات الحياة، وقلتُ لنفسي إنَّ عواطفي ستكون شديدة الارتباط بكِ. عندما ستكونين غاضبةً، سأكون أكثر غضباً. وعندما ستكونين مبتهجةً، سأكون أكثر ابتهاجاً».

صمتٌ.

صمتٌ.

- نائمتان؟

- لا، تهمسُ كلوي.

- لا، تُسِرُّ ليلي.

تغمرني تلك الذكرياتُ الساحرةُ، فأُحِسُّ بالدموع تترقرق في عينَيّ. لم أكن أنتظر تدفقَّ مشاعر من ابنتَيّ، فأنا أعرَفُ بهما. لكني كنتُ أنتظرُ جواباً، أو كلمةً، أو حركةً. لو أني أستطيعُ على الأقل أن أُحِسَّ بهما مرة واحدةً أخرى، صغيرتَين، مشدودتَين إليَّ. لو أنَّ كلماتي على الأقل كانت لا تزال قادرةً على طمأنتِهِما، وقُبلاتي على شفائهما، وذراعَي على مواساتهما. لو أنهما لم تعد لهما من مشاكل سوى سعادة دُماهُما أو عدد الليالي قبل أعياد الميلاد!

أهُمُّ بالعودة إلى أريكتي فإذا بي أشعُرُ بِيَدِ كلوي تتحرَّكُ. تلتفُّ أصابعُها بلطفٍ حول سبَّابتي. لا أتحرَّكُ، وأَكُفُّ عن التنفُّس.

صغيرتي.

بيدي الحُرّة، أُمسكُ يدَ ليلي. لا تتحرّكُ. أظلُّ على تلك الحال دقائقَ طويلة، أستمتعُ، ثم أتسلَّلُ خارج السرير.

- ليلة سعيدة، صغيرتاي الحبيبتان.

- ليلة سعيدة ماما، تهمسُ كلوي.

- ماما، طلب مني ماتياس أن أقول لكِ أمراً، تقول ليلي.

- أنا أنصتُ إليكِ.

تتظاهر بالإنصات إلى ما يقوله لها فأرُها.

- يقول إنه سعيد بالوقوع على هذه الأسرة.

# أخبار كلوي

كان ذلك آخر يوم لنا في السويد.

كنا لا نزال نشعر بالآثار الجانبية لكلمات أمي، التي كانت قد حدَّثْتنا عن مجيئنا إلى الدنيا. كنا نضحكُ لأتفه الأسباب، ونتحادث برقّةٍ، حتى أنني لم أتَذَمَّر عندما أكلتْ ليلي حبوب الفطور عن آخرها، ولا عندما كانت أمي تُردِّدُ أنها سعيدة لكونها ستصبح قريباً جَدَّةً.

والغريبُ أنني وجدتُ نفسي بعد فترة أعتقد في صحّة الأمر حقيقةً، وكان ذلك جيّداً، لأنني لأول مرة، منذ مدة طويلة، لم أعد أشعر أني وحيدة.

في الطريق بين سكييْفتِيا ولوليا، أنصتْنا إلى الموسيقى، بل إننا غنَّيْنا عندما كانت تُذاعُ أغنياتٌ نحفظُها نحن الثلاثة، مثل أغاني كابريل، وإيد شيران، وجسد كبير مريض، وبيونسيه، وستروماي... كنا نجلس جميعاً في مقدمة السيارة، جنباً إلى جنب، طوال الطريق. وفجأةً، صرختْ ليلي. فأوقفتْ أمي السيارةَ توّاً. امتشقتُ آلةَ تصويري. على بُعد أمتار قليلة منّا، كان قطيعٌ من الوعل يعبر الطريق بهدوء. كان المشهد مهيباً. لم يسبق لنا أن رأينا مثله إلّا على شاشة التلفاز. فبقينا نتحدَّثُ عن ذلك إلى أن وصلنا.

زُرنا غاملستاد. قريةٌ-كنيسةٌ، وكان جوليان قد شرح لنا أنَّ ذلك لا يوجد إلا في اسكندنافيا. بيوتٌ صغيرةٌ من الخشب مشيَّدَةٌ حول كنيسة، يقطُنها في أثناء أيام العبادة سكّانُ تلك النواحي. أما في بقية الوقت، تظلُّ القريةُ خاليةً. ذرعنا الأزقةَ، والتقطنا الصورَ بعضنا لبعض أمام نوافذ مزيَّنَة بستائر بيضاء، وباقترابنا من البناية، لاحظنا أنَّ قُدّاساً كان يجري بها.

دخلنا على أطراف أقدامنا وجلسنا في الصفوف الأخيرة. كانت امرأة تقوم بالقدّاس، ولم نكن نفهم شيئاً، لكن إيمانَ المتعبِّدين لم يكن يحتاج إلى الترجمة.

لم يدم الأمرُ سوى عشر دقائق إلى النهاية. أردنا أن نخرج بسرعة، كي لا نضايق الآخرين، لكن شيخاً لَحِقَ بنا ودعانا إلى مشاركتهم شرب الشاي.

كانت لحظةً لطيفةً، ننهلُ من ثقافتهم، ويهتمّون بثقافتنا، وتفارقنا على مضض، ونحن نعلم أننا لن يرى بعضُنا بعضاً بعد ذلك، وأننا لن ينسى بعضُنا بعضاً كذلك.

ذاك ما أحبُّهُ، في الأسفار. ولذلك، من أجل تلك اللقاءات، كنتُ أودُّ السفر إلى أستراليا. أن أتغذّى على الآخرين، أن أغتنيَ، وأن أكبر. أما داخل بناية السكن الاجتماعي حيث نعيش فإني أشعر أنني أنكمش.

أكلنا ثلاثتُنا في سيارة التخييم، معكرونة بالجبنة، جالساتٍ على السرير، وقد وضعنا اللحافَ فوق أرجلنا. كانت أمي قد قدَّمتْ لي حصةً مضاعَفَةً من الأكل، من أجل الجنين. وكنا نكاد ننتهي من الأكل عندما رَنَّ الهاتفُ. كان أبي. تلقّى مني بعضَ الأخبار ثم عبَّرَ عن رغبته في الحديث إلى أمي. لم تكن دهشتُها تَقِلُّ عن دهشتي.

هو لا يرغبُ أبداً في الحديث إليها. سألَتْهُ إن كان كلُّ شيء على ما يُرام، وبعد هنيهة، خرجتْ. وعندما عادتْ، كانت تتصرَّفُ كأن الأمور كلّها بخير، لكن يديها كانتا ترتعشان بشدّة لدرجة أنها اضطرتْ أنْ تُكَرِّرَ المحاولةَ مرتين لإقفال الباب.

- ما الذي يجري؟ سألتُها.

- لا شيء، لا شيء.

- ماذا كان يريد؟

لا جواب.

- ماما، أنتِ بخير؟ ستُصابين بأزمة فزع؟

نظرتْ إليَّ، فقرأتُ الرُّعبَ في عينيها. تمدَّدَتْ على السرير، وغطّيناها باللحاف، لكن ذلك لم ينفع، حيث كانت لا تكُفُّ عن ترديد أن الأمور بخير، غير أنَّ صوتَها كان يثغو.

لم أكن أعرفُ ما عليَّ فعلُهُ، لذلك ذهبتُ للبحث عن جوليان. طلب من ليلي أن تعتنيَ بِنُوِي، أو العكس، وجاء معي. قال إنَّ أمي يجب أن تُفكِّرَ في أمرٍ آخر. ومن ثمَّ، شرعَ يطرحُ عليها ألغازاً.

- كيف يُسمّى أرنبٌ أَصَمّ؟

كانت أمي لا تجيب، وأمام إلحاحه، أجابتْ وهي ترتعش.

- لستُ أدري.

- أأأأأأأررررنننبببب! صاح جوليان.

لكنها لم يصدر عنها أيُّ ردِّ فعل. فاستأنفَ.

- ما الذي يصدر توان-توان؟

- ...

- آنا؟ ما الذي يصدر توان-توان؟

- لا أعرف شيئاً عن الأمر...

- البطّ!

والأدهى، أنه كان يبدو حقيقةً شديدَ الاعتزاز بألغازه.

- السيد والسيدة كُور لديهما ابنة، ما هو اسمُها؟

دمدَمَتْ أمي. ولم تكن بعيدة عن الانقضاض للعضّ. لكن جوليان الشجاع، استمرَّ في إلحاحه.

- إذاً؟

- لا شأن لي بابنة السيد والسيدة كور!

- أدا! أدا كور[1]! لغزٌ آخر: السيد والسيدة فونفيك لديهما ابنة، ما اسمها؟

- جوليان، أنا متعبة...

- صوفي، اسمُها صوفي! واصل جوليان كلامه.

لم أستطع أن أمنع نفسي من الضحك، لكن أمي لم تكن قد عادتْ حقيقةً بيننا. ولذلك جرّبتُ حظّي وألقيت نكتةً جريئةً.

نظر إليَّ جوليان بعينَين واسعتَين. وأدارتْ أمي رأسها نحوي ببطء. ورأيتُ جميع التعابير تتوالى على وجهها، كأنها آلة نقود، عندما لا ندري على أيِّ صورة ستستقرُّ. استقرَّتْ على ضحكة. قهقهة صغيرة، غير واثقة من نفسها حقيقة، لكنها كانت تريد أن تقول إنَّ الفزعَ يمكن أن يتنازل عن مكانه.

بعد ذلك بساعة واحدة، كانت أمي نائمةً. وكان جوليان قد رجع إلى سيارة تخييمه وليلي إلى سيارتنا. أما أنا، فقد وجدتُ صعوبة في العثور على النوم. كانت فكرةٌ تمنعني من ذلك. يجب أن يكون ما قالهُ أبي لأمي جدَّ خطير، ليجعل أمي في تلك الحالة.

---

(1) Ah d'accord بالفرنسية. (المترجم)

# ليلي

5 مايو

عزيزي مارسيل،

أمي صارت شديدة الغرابة منذ وعكتها في ذلك المساء، لم تعد تأكل إلّا قليلاً، وتقود السيارة دون كلام، ولم تعد حتى تحاول أن تدفعنا للحديث. أعتقد أنها تَحضُنُ أمراً ما، وما تحضنه ليس بيضة.

لم ترغبْ حتى في الذهاب إلى زيارة روفانييمي بينما كانت قبل ذلك لا تكُفُّ عن تصديع آذاننا لأنها كانت متلهِّفةً على اكتشاف فنلندا. قالت إنها مرهقَةٌ وبقيتْ في سيارة التخييم، فاضطررنا إلى استصحاب فرانسواز وفرانسوا، ولا أخبرك عن الأمر.

أخذانا لزيارة قرية بابا نويل. أجل، أُقسِمُ لك، أنشأوا قرية لبابا نويل، وأرجو أن يُنشئوا أيضاً قريةً للفأرة الصغيرة، أو قريةً للأجراس، سيجدون خلقاً عظيماً يُسكِنونه هناك! لو أننا على الأقل ذهبنا إلى هناك رفقة مارين وغريغ، لكن لا. كان قدرنا أن نقع على أسرة نودي. كان الصغير لوي يجري في كل مكان وهو يُطلِقُ الصيحات، أتساءل هل هو إنسانٌ حقّاً، وكانت لويز تنبهر كأنها لم

يسبق لها أن رأت أيَّ شيء، والتقط الوالدان لأنفسهما عدداً كبيراً من صور السِّيلفي لدرجة أنَّ هاتفهما فضَّلَ الانتحار. آه، تَضايق فرانسوا كثيراً، فلم نعد نسمع له حسّاً. وعندما قال له ابنُهُ إنَّ ذلك أفضل، وإنه بهذا سيعيش حقيقة بلا بذخ، ظننْتُ أنه سيُلقي به للأيائل.

كان يبدو أن كلوي تقضي وقتاً ممتعاً، إلا عندما تقتربُ منها لويز لتُكلِّمَها، فكانت حينئذ تُكشِّرُ عن أنيابها. أنا أفهمُها، فالأخرى كأنها جمدت على وضع الابتسام، تُصيبُ بالجنون، كأنها باربي مخدَّرة.

الأمر الوحيد الجميل، كان وجود خطٍّ كبير مرسوم على الأرض، يشير إلى أننا نعبُرُ الدائرة القطبية الشمالية. إننا حقّاً بعيدات عن بيتنا.

عند عودتنا، رغبت فرانسواز أن تتحدَّثَ مع أمي، لم نسمع شيئاً، بقينا في الخارج، وعندما خرجتْ، قالت إننا سنتناول العشاء معهم، وإنَّ أمي ترتاح بعض الشيء. أكلنا بطاطس مسلوقة، ولا شيء غيرها. يريد فرانسوا وفرانسواز أن يفقد طفلاهما عادةَ الأطفالِ المُدلَّلين. ترى كلوي أنهما يغاليان كثيراً، وأرى أنهما أحمقان كثيراً. وعلى العموم فإن أمي لا بأس بها، حتى عندما تشخر.

اقترحا أن ننام في سيارتهما، ولا أعرف ما الذي دهاني، فادَّعيتُ أني مسرنمة وأني أضربُ الناسَ في الليل، فقالا في مرّة قادمة.

وعندما عدنا، كانت أمي تنتظرنا. أخبرناها بكلِّ شيء عن نهارنا ونحن نأكل الحلويات المتبقِّية من ستوكهولم، وعندما أوينا

إلى الفراش، وعدَتْنا أن تكون أحسن حالاً في اليوم الموالي. أرجو أن يصدق ذلك، وإلّا فسينبغي أن نضع النقاط على الحروف.

قبلاتي مارسيل

ليلي

ملاحظة: لاحظتُ أمراً جيّداً جدّاً: عندما لا تطرفُ أعينُنا في البرد، فإنها تبكي، أحبُّ ذلك كثيراً.

# آنا

تدور الجُملُ في رأسي. بنظامٍ، وبغير نظام، تتقاطعُ، وتتراكَبُ، وتتدافعُ، تستحوذ عليَّ، وتستهلكني.

«كان يمكنني أن أدعَ أمرَ إخباركِ لمحاميتي، لكني أتَّصِلُ بكِ لمحض الصداقة».

«الحضانة الرئيسة. ستريانِكِ كلَّ عطلة أسبوع من اثنتين ونصف العُطَل».

«كنتُ متسامحاً إلى حدِّ الآن. كان تخيُّلُ ابنتَيّ وحيدتَين بينما أنتِ تعملين، يُدمي قلبي».

«لم تعودي في كامل قواكِ العقلية. رحلةٌ بالسيارة إلى فنلندا...».

«إلى مَن تعتقدين سيميلُ اختيارُ القاضي، بين أَبٍ لديه توقيت مكتبيّ وراتب وأُمٍّ عاطلة عن العمل، وعليها ديون، وتُخرِجُ بنتيها من المدرسة لتصحبهما في رحلة عبر الطرقات؟».

**«قبلتُ أن أكذبَ عليهما، لكنني الآن سأستردُّ زمامَ الأمور».**

**«حدَّثتني كلوي عن أزمات الفزع التي تصابين بها، إنكِ تُعرِّضينهما للخطر».**

**«أنتِ لم تكوني كريمةً معي، لو كنتِ أقلَّ أنانيةً، لأمكنهما أن ترياني أكثر».**

**«لا أفعل هذا كي أسيء إليكِ، بل لأجل حماية ابنتَيّ».**

**«سيمكنني أخيراً أن أقضيَ أوقاتاً وحدي رفقتهما».**

**«إن سمحتِ لي بالرجوع، سترينهما كلَّ يوم».**

**«إني أطلبُ حضانة البنتَين».**

**«إني أطلبُ حضانة البنتَين».**

**«إني أطلبُ حضانة البنتَين».**

لا أدري ما الذي سيحدثُ.
لا أدري إن كنتُ سأدفعُ ثمنَ أخطائي.
كلُّ ما أعلمُهُ، أنني سأموتُ، إن انتزَعَ مني بنتَيّ.

# ليلي

9 مايو

عزيزي مارسيل،

لا أستطيعُ أن أكتبَ إليك، أصابعي شديدة البرودة.

قبلاتي مع ذلك.
ليلي

مكتبة
t.me/t_pdf

# أخبار كلوي

اتّصلتُ بأبي. كنتُ أريدُ أن أعرفَ ما قاله لأمي. لم يحاول أن يتهرّب:

- أريد أن تأتيا للعيش معي. أنتِ كبيرة، يمكنكِ أن تفعلي ما تشائين، لكن ليلي لا تزال صغيرةً، ولم تعد أمُّكِ قادرةً على تحمُّلِ مسؤوليتكما.

لم أكن أفهم. كان دائماً يردِّدُ كم كانت أمي رائعةً، وكم هو تعيسٌ لأنها لم تعد تريد أن تعيش معه. لم يتعرف إلى امرأة أخرى أبداً، يزعمُ أن لا وجود لامرأة يمكن أن تُعوِّضَها. كانت تلك المرة الأولى التي يسيء فيها إلى صورتها.

- كيف ذلك، لم تعد قادرة على تحمُّلِ مسؤوليتنا؟

- أنتِ تعرفين جيّداً، كانت تجد صعوبةً في تحمّل المصاريف، والآن لم يعد لها عمل، فسيكون الأمر مستحيلاً. لا يمكنكما الاستمرار في حياة غير مستقرّة بهذا الشكل.

- لكنها ستجد عملاً آخر! ثم أنتَ أيضاً لا تعملُ، لا تستطيع حتى أن تستقبلنا في بيتك لأنه شديد الضيق!

تنهَّدَ بعمقٍ.

- في الواقع، أنا أعملُ منذ بعض الوقت. ولديَّ بيتٌ من أربع حجرات.

- هيه؟ منذ متى؟

- لستُ أدري. . . بضعة شهور. . . ربما منذ سنتين.

تلقَّيتُ صدمةً كهربائيةً في القلب.

- سنتان؟ لكنْ بابا، لستُ أفهمُ، لِمَ لم تخبرنا بذلك؟ لِمَ لمْ تأخذنا للعيش معك، على الأقل في أثناء العُطَل؟

- ليس هذا هو الأمر الآن، أجابَ بصوتٍ أكثر حزماً. نحن نتحدَّثُ الآن عن أمِّكِ. لا يتعلق الأمرُ بالمال فقط، لقد أخرجَتْكُما من المدرسة لتأخذكما للتخييم في بلدانٍ لا تعرفُها، هذا هذيانٌ! أنتِ نفسُكِ أخبرتِني أنها فقدتْ صوابَها.

لم أعرف حتى كيف أجيبُهُ. ولم أعرف حتى ما أشعر به. ماذا سينفعُ أن أشرح له، أنني عندما كنتُ أنتقدُ أمي في حديثي إليه، إنما كنتُ أفعلُ ذلك لمواساته؟ أنصتُّ إليه وهو يُعَدِّدُ حُجَجَهُ، ويدهنُ يقينياته على شريحة خبز غضبه، وأقفلتُ الخَطَّ وأنا أتمنى له يوماً طيباً.

كان الهاتفُ معي، فاغتنمتُ الفرصةَ لإجراء بعض الأبحاث.

بدتْ أمي مندهشةً عندما أخبرتُها أننا سنقوم بانعطافٍ صغير في طريقنا.

- هي مفاجأة، قلتُ لها. ثقي فيَّ. آه، في الواقع بمناسبة الحديث عن الثقة، أنا لستُ حاملاً.

قلَّدَتْ سمايلي وجهِ حزين. وكانت ليلي تَهُزُّ رأسَها.

- هذا رهيبٌ، حبيبتي! هل فقدتِ جنينكِ؟

- لا، لم أكن حاملاً أبداً، ادَّعيتُ ذلك لأنني كنتُ أرغبُ في

العودة إلى البيت. أنا وليلي كنا نبحث عن وسيلة لدفعِكِ إلى الرجوع.

نعتَتْني شقيقتي بالخائنة. وكانت أمي تبدو حزينةً حقّاً:

- أوه، لكنني كنتُ سعيدةً حقّاً بأن أصير جَدَّةً. أشعُرُ حقّاً بخيبة أمل كبيرة... وأنتِ، لا بدَّ أنَّكِ شديدة الحزن. أأنتِ واثقة من عدم وجود أي إمكانية للحمل ولو صغيرة؟

كدتُ أجيبُها، لكنني لمحتُ الشرارةَ في نظرتها. حبستْ ابتسامتَها، فقد أدركتْ أنني فهمتُ. ولم تقلْ أيّةُ واحدةٍ منّا أيَّ شيء.

أضعنا ساعتَين بسبب ذلك الانعطاف. وفي أثناء الطريق، سألتني أمي مراراً إنْ كنتُ واثقةً من نفسي. لم يكن العنوانُ على نظام تحديد المواقع يمنح أيَّ دليل. لم يكن ذوبانُ الثلوج قد وصل إلى خط العرض هذا، وكانت الطبيعةُ ترتدي معطَفَها الأبيض.

كانت الساعةُ الخامسة مساء عندما وصلنا. كانت درجة الحرارة درجة واحدة تحت الصفر. كان صاحبا المحلِّ لطيفَين، وليس لأنهما كانا يفهمان إنجليزيتي المفرنسَةَ فحسب. فقد رافقانا إلى غاية الكوخ الخشبيِّ، ومنحانا ما نحتاجُهُ وكذلك بعض التعليمات. استغرقتْ أمي وليلي وقتاً طويلاً كي يفهما. وقتاً طويلاً، طويلاً جدّاً. لا بدَّ أن لا وعيهما كان يختفي خلف قدرٍ كبير من الإنكار.

ثم، فتحت أمي عينَين واسعتَين.

# آنا

- أتعتقدين حقّاً أنني سأستحِمُّ في بحيرة نصف متجمِّدة؟

ينطلق صوتي حادّاً، فتنفجر كلوي ضاحكةً. يبدو أنَّ الأمر أكثر خطورة ممّا كنتُ أظُنُّ.

تحاول ليلي أن تتسلَّلَ هاربةً بينما نتناقشُ مع أصحاب المحل، غير أن شقيقتها تلحقُ بها وتمسكها من وشاحها.

تدعونا فيسا، المرأةُ الشابةُ، إلى أن نتبعَها إلى الكوخ. يدفئ موقدُ الحجرةَ، المؤثَّثَةَ بطاولةٍ، وكرسيين، ومشاجب، فحسب.

- هناكَ، توجد السّاوْنا، تُخبرنا وهي تشيرُ إلى بابٍ زجاجيٍّ في العمق. بإمكانكنَّ أن تخلعنَ ثيابكنَّ!

وتُعْقِبُ الفعلَ بالقول، فتخلع معطَفَها، وحذاءيها الطويلَين، وسترَتَها... تقفُ بلباسها الداخلي وحذاءين محشوين قبل أن يصدر عنّا أيُّ ردٍّ فعلٍ.

- وإذاً؟ تسألُ مبتسمةً. لا تخفن، إنها تجربة لا تُصدَّق. عندما ستقمن بها، لن تكون لديكنَّ سوى رغبةٍ واحدةٍ: معاودة الأمر!

- يبدو أنَّ البردَ يشوي الخلايا العصبية، تتذمَّرُ ليلي. لن أذهب إلى هناك.

- هيّا، سنفعلُ ذلك! تصيحُ كلوي وهي تتعرّى من ملابسها بسرعة. ماما، ليلي، هيّا، قرأتُ أنَّ الأمرَ ممتازٌ للصحّة!

- أُفضِّلُ أن أعيش وقتاً أقصر وأنا دافئة، تُقرِّرُ ليلي.

- ذوبان الثلج قد بدأ، تقول فيسا. حرارة الماء 4 درجات، فالأمرُ يمكنُ تحمُّلُهُ.

لا بدَّ أنها تحسبُنا نوعاً من الزبادي.

تتململُ كلوي من نفاد الصبر. إنها متشوِّقةٌ لهذه التجربة. لا أستطيع أن أخيِّبَ رجاءها، لأنها نظَّمتْ كلَّ ذلك من أجلي.

أخلعُ ملابسي قطعةً تلو أخرى، ببطء، وأنا أرى ضرورةَ التفكير في جميع النتائج عندما ننجب أطفالاً.

- ليلي؟ تسأل كلوي.

- لا، أنتظركنَّ هنا، تجيبُ ابنتي وهي تُخفي ذقنها داخل وشاحها. سيستحوذ عليَّ البردُ الشديد لمجرد أن أنظر إليكنّ.

ينتظرنا بيتري أمام الشاليه الخشبي، وهو يرتدي تبّاناً أصفر. لو أنَّ فكَّيَّ لم يكونا مصابَين بالشلل، لضحكتُ من منظره.

نعبُرُ ما يفصلنا من أمتار قليلة عن البحيرة ونحن نركُضُ. كلوي تصطكُّ أسنانُها، وأعتقد أنها ندمتْ على مفاجأتها. نَصِلُ إلى قُنيطرةٍ يتدلّى من طرفها سُلَّمٌ يغوص إلى أعماق الماء المظلم. يشرح لنا بيتري التتمّة: ننزل، ونظلُّ أقلَّ من دقيقة، ونخرجُ، ونعدو إلى غاية الكوخ ونُقفِلُ علينا داخل السّاوْنا. فإن كنّا شجاعتَين، نعاوِدُ الكرَّةَ.

- إن المناوبةَ بين السخونة والبرودة مفيدةٌ للجسم، يشرح بيتري وهو يَنزلُ السلَّمَ بهدوء. هيَّا، أقبِلا!

يسبح الآن. هذا المجنون. سيتحوَّلُ إلى صواعد متجمِّدة، وعندئذ لن يتذاكى كثيراً.

تلحقُ به فيسا وهي تموءُ من المتعة. هؤلاء الناس يحبون البرد، لا أرى تفسيراً آخر.

تخلعُ كلوي حذاءيها الطويلين وتتقدَّمُ نحو السُّلَّم.

أعرفُ جيّداً أنني سيتوجَّبُ عليَّ أن أتحرَّكَ، أن أحسم أمري، أحاولُ أن أقتنع أنَّ الماء أقلُّ برودةً من الهواء، لكنني أجد صعوبةً في غسل يديَّ حتى عندما لا يكون الماءُ ساخناً كفايةً، بينما الآن. . .

– هاااااااا! هاااااااااا! آآآآ! تبّاً تبّاً!

كلوي داخل الماء.

أَكُفُّ عن التفكير، أنطلِقُ وأغوص برجلي في البحيرة.

أوه تبّاً.

الرجلُ الأخرى.

تبّاً لهذه البرودة، فعلاً.

تدفعني كلوي كي تصعد السلَّم. وأجدني منغمسةً تماماً في الماء. أشعرُ كأني أهاجَم من آلافُ الشفرات، أفقدُ الإحساسَ بساقَيّ، وتتخدَّرُ ذراعاي. وإني بصدد توديع كلِّ جزء من جسدي إذ أسمعُ صيحةً تقتربُ منّا.

– بانزاااااي!

بالسروال القصير وقميص داخلي، والوشاح حول العنق، تجري ليلي فوق القنيطرة، وتغلقُ أنفها وترتمي في الماء، وقد جمعَتْ ساقَيها إلى جذعها.

بعد ثوانٍ يبرزُ وجهُها من الماء مذعوراً. شفتاها زرقاوان.

– إني أموتُ، ساعدوني! تتوسّلُ، متجمِّدةَ النظرة.

لا أحد يتحرّكُ، فتشرعُ في الصراخ:

- تحرّكوا، افعلوا أيَّ شيء، البرد شديد لا يُحتمَلُ! تبوَّلوا عليّ!

يكتفي بيتري، الذي يفتقر إلى حسِّ الرّفق في المعاملة، بأن يرفعنا فوق القنيطرة، فنهرعُ نحو الكوخ، صاحبا المحلِّ مشياً، وأنا وابنتاي هرولَةً، وقد تجمَّدَتْ أرجلُنا وأذرعنا. نشبه اللاعبين الصغار في كرة قدم الطاولة. تستقبلُنا السّاوْنا بحرارتها الحاضنة. ويعود بيتري وفيسا إلى بيتهما، بينما نبقى نحن الثلاثة.

نتهالكُ فوق الكرسيِّ الخشبيِّ. أستندُ برأسي إلى الجدار وأغمضُ عينَيّ. وشيئاً فشيئاً يستردُّ جسمي الحياةَ، وتسخن بَشَرَتي.

أنظرُ إلينا، أنا، وليلي، وكلوي، نصف عاريات داخل ساوْنا معزولة في أبعد أعماق إقليم لابي. أرى شقَّتَنا، بيتنا حيث يمُرُّ بعضُنا ببعض فحسب. أُفكِّرُ من جديد في شكوكي، وفي هذه الرحلة المرتَجلة، وفي النتائج التي يمكن أن تترتَّبَ عنها. يكفيني كلُّ هذا، هذه اللحظةُ، وابتهاجُ كلوي عندما أدركتُ مفاجأتَها، وسحنةُ ليلي عندما ارتمتْ في الماء، وهذا الصمتُ المتواطئ، وهذه الذكرى التي ستمنحني الابتسامةَ في الأوقات الأشدُ إظلاماً، يكفيني هذا كي لا أندمَ أبداً.

# أخبار كلوي

تقتضي التقاليدُ أن يلتئم الجميعُ، في آخر أمسية في فنلندا، حول وجبة عشاء نموذجية. تكدَّسنا داخل أكبر سيارة تخييم، سيارة دييغو وإدغار، واضعين الصحون على رُكبنا، لنستمتع بالأطباق التي اشتريناها من سوق إيناري: نقانق مشوية، وشوربة الوعل، وجبنة غريبة، وأطباق خاصة أخرى أعجزُ عن تذكّر أسمائها.

كان الجوُّ مرحاً، إلى أن أمسكت مارين إطار الصورة، وسألتْ:

- أهاتان هما زوجتاكما؟

تحدَّثَ إدغار عن لقائه بروزا، واستأنفَ دييغو متحدِّثاً عن زواجه بمادلين، فبكتْ مارين ملقيةً اللوم على الهرمونات، وجفَّفَ فرانسوا عينيه، ونشجتْ أمي، وخرج غريغ، وحكى جوليان نكتةً، وتحوّلتْ لويز إلى مجرى مياه.

وعند عودتنا، نظرتُ في الهاتف، بحثاً عن جواب من كيفين، كدأبي ثلاثة مرّاتٍ في اليوم. لا شيء، منذ طلبَ مني الصورة. ربما حَسِبَ غيابَ جوابٍ مني عدمَ اهتمام من جانبي. لهذا بيَّنْتُ له أنَّ الأمر ليس كذلك.

«مساء الخير كيفين، أرجو ألّا تغضب مني بسبب الصورة، أُفضِّلُ أن نتناقش قليلاً قبل ذلك، أأنتَ موافق؟ قبلاتي. كلوي».

وصل الجوابُ في صباح اليوم الموالي، كانت أمي وليلي يتناولان طعام الفطور، وكنتُ في المرحاض. رقص قلبي رقصةَ الفرح عندما رأيتُ الإشعارَ.

«سلام، ما عليك إلّا أن تسألي أمَّكِ».

أصيبَ قلبي بتشنُّج.

- ماما، هل تحدَّثتِ إلى كيفين؟ سألتُها وأنا أخرجُ من الحمّام.

سألتْ ليلي من يكون كيفين. واحمرَّ وجهُ أمي. أرسلتْ ليلي لرؤية نُوِي، وحكتْ لي ما حصل. كنتُ مصدومةً لدرجة أني لم أتمكَّن من الردِّ عليها، ولا أن أبكي. نهضتُ، ولم أكن أستطيع أن أنظر إلى أمي، كانت تُكلِّمُني، لكنني لم أعد أُنصِتُ إليها. كان الغضبُ يُغلِّفُ حواسي. فتحتُ البابَ، وقبل أن أخرج، التفتُّ نحوها:

- أتمنّى أن ينجح أبي في الحصول على حضانتنا.

في الخارج، كان البرد يصفعني. ذهبتُ للجلوس على كرسيٍّ على ضفة البحيرة التي كانت تحاذي فضاء سيارات التخييم. كان غضبي من أمي ينافسُ غضبي من نفسي لسوء سلوكي معها. وفي اللحظة التي بدأتْ فيها دموعي في الانهمار، جلستْ لويز إلى جانبي.

- ماذا تريدين؟ سألتُها وأنا أمسحُ خدَّي بظاهر يدي.

- رأيتكِ وحيدةً وأحزنني ذلك.

- لستُ في حاجة إلى شفقتكِ، دعيني وشأني.

لم تتحرّكْ. التفتُّ نحوها.

- ابتعدي عنّي! صحتُ بها. ألا ترينَ أني لا أحبُّكِ؟

كانت تلك المرّة الأولى التي أراها فيها عن مثل ذلك القرب. كانت عيناها رماديتين مثل السماء، حزينتين مثله.

- بلى، إني أرى ذلك، همستْ لويز. ماذا جنيتُ في حقِّكِ؟

- ليس هذا وقت مناسب. دعيني، لا أرغبُ في أن أكون شريرةً.

نهضَتْ، وبدأتْ تبتعدُ، ثم رجعتْ وانتصبَتْ أمامي:

- في الواقع، أنتِ غيور.

- عذراً؟

- أنتِ غيورٌ، لذلك أنتِ لا تُحبّينني.

نهضتُ بدوري، وكان وجهانا لا يفصل بينهما سوى بضعة سنتيمترات. كانت لويز، مثل مانعة الصواعق، تجلُبُ نحوها كلَّ غضبي. انفجرتُ ضاحكةً، كي لا أنفجر حقيقةً.

- ومِمَّ سأغارُ، هيه؟ من حياتِكِ، حياةِ البنت المثالية التي لا تدري ما تفعلُهُ بمالها لدرجة أنها مضطرة أن تتظاهر بالفقر؟ توقّفي عن هذا، ما تقولينه مُضحِكٌ...

- ليس مضحكاً مثل حقيبتك فانيسا برونو المزوَّرة.

كنتُ أرغبُ في أن أنتزع من وجهها تلك البسمةَ الساخرةَ المتعاليةَ، وأن أقضيَ على نظرتها المتكبِّرة، وحركاتها المغرورة. كنت أرغبُ في إرواء ذلك العنف الذي كان يغلي في عروقي. ذلك العنف الذي صار مؤخَّراً يستبدُّ بي كثيراً.

- اغربي من وجهي، غمغمتُ مُكشِّرةً عن أسناني.

- وإلّا ماذا ستفعلين، أيتها الوضيعة؟

تنفّستُ بعمق، واستدرتُ حول لويز وابتعدتُ عنها وأنا أحاول أن أتجاهل قهقهتَها. مشيتُ برهةً من الزمن، فكان صوتُ خطواتي

في الثلج يُهدِّئُ من غضبي ويكشفُ لي عن إحساس آخر، مثل طبقةٍ نحكُّها لإبراز ما تُخفيه. غمرني حزنٌ لا حدَّ له. كان يلوي أحشائي، ويخِزُني في حنجرتي.

ما أشدَّ ألمُ ذلك الانتقالُ من الطفولة إلى المراهَقة، عندما تتطايرُ الأوهامُ شظايا وتتهشَّمُ الأحلام فوق الواقع. أحنُّ إلى تلك السذاجة المريحة، ذلك العالم المَحمِيّ حيث يكفي أن ننام ليختفي ما يسوؤنا. أحنُّ إلى تلك الحياة التي لم أكن أعرف فيها، إلى فقاعة السعادة التي كان بابا وماما يحميانها مثل أسوار الحصن العتيدة. أتقدَّمُ نحو سِنِّ الرشد وأنا أزرعُ حجارة صغيرة من البراءة. لا أريد أن أفقدها جميعَها. لم أعد أرغبُ في أن أكبر.

# ليلي

15 مايو

عزيزي مارسيل،

أرجو أن تكون بخير، أنا لستُ على ما يُرام، وليس لأنني مصابة بالزكام فحسب. وصلنا إلى النرويج، وهو بلدٌ باردٌ مثلما يدلُّ على ذلك اسمُهُ. أنتبهُ كثيراً عندما أعطسُ، فأنا أخافُ أن أُطلِقَ جبلاً من الجليد.

لكن هذا لا شيء، بالنسبة إلى الأمر المرعب الذي حصل. لستُ حتى متأكِّدةً من أنني سأستطيع أن أحكي لك ذلك.

هذا الصباح، قبل أن نستأنف الطريقَ، كنتُ مع نُوِي في سيارته. وكنا نلعبُ بخذروفه، وهو الآن يوافق على إعارتي إياه، لكني لا أزال لا أتمكَّنُ من جعله يدور مدة طويلة مثلما يفعل هو، لذلك أجعلهُ يعتقد أنني أسمح له بالتغلُّب عليّ.

طُرِقَ البابُ. فتح جوليان، وجدَ رجالاً ببدلاتٍ موَحَّدة، شرح لنا أنهم رجال الجمارك، وأنهم سيُفتِّشون سيارات التخييم. سألتُ إن كان الأمر عادياً، فأنا لم أكن أفهم كيف يمكنهم أن يأتوا هكذا،

دون إنذار، فجأةً، لكن يبدو أنَّ الأمر مألوفٌ، والغاية منه أن يروا إن كنا نقوم بتهريب المخدرات أو الجبن.

فكّرتُ في الحال في ماتياس، كانت أمي قد قالت لي إنه من الأفضل ألّا نخضع لتفتيش، فانطلقتُ أجري للبحث عنه، لكن بعد فوات الأوان، كانوا قد دخلوا إلى سيارة التخييم. كنتُ في مأزق. خرجتْ أمي، وكانت ملامحها غريبة، جاءت نحوي وهي تتلوّى، كأنها تريد أن تقضي حاجتَها، ولكنها في الحقيقة كانت تُخفي ماتياس تحت سترتها. استلمتُهُ منها قبل أن تبدأ أسنانها في الاصطكاك. كان سعيداً، فأوى إلى عنقي.

نزلَ رجالُ الجمارك من سيارة التخييم وهم يقولون إن الأمور على ما يرام، يبدو أنهم لم يروا القفص، أو لعلهم اعتبروه مجرد ديكور.

وبينما كانوا في سيارة الجدَّين (اللذين كانا جِدّ خائفين)، وصلتْ مارين بادية القلق، كان بطنها ضخماً، اعتقدتُ أن جنينها سيحلُّ قبل الأوان وأنه قفز فوق شهور من الحمل، لكنها في الحقيقة كانت تُخفي جان-ليون تحت معطفها. سألتنا إن كان في إمكاننا أن نحتفظ به في سيارتنا إلى أن ينتهي التفتيش، لأنه كان ينقُصُهُ تلقيحٌ لم يجدوا الوقت للقيام به، أو شيء من ذلك القبيل. وافقنا بالطبع، لم يكن في وسعنا أن نسمح بأن يذهب ذلك الكلب إلى السجن.

المشكلة أنه شَمَّ ماتياس وانخرط في النباح. ولتهدئته، حاولتُ أن أُقدِّمَهُ له من جديد، لكن جان-ليون هذه المرة لم يكتفِ بالتكشير عن أنيابه قبل أن ينقضَّ عليه.

مات صغيري ماتياس في الحين.

أجريتُ له تدليكاً صدريّاً وتنفُّساً فماً لفم، لكنه لم يستيقظ.

كنتُ أشعُرُ بمغصٍ في البطن وألمٍ في الحنجرة في الوقت نفسه، كنتُ أريد أن أقول له إني أحبُّهُ كثيّراً، كثيراً، لكنني لم أكن أستطيعُ الكلام. أتمنى أن يكون على علم بذلك.

لم أدفنه، وضعتُهُ في صندوق صغير وسأطلقُهُ غداً في الرأس الشمالي، في الوقت نفسه مع رماد والد جدّي.

ظلتْ كلوي وأمي لطيفتَين معي طوال النهار، على الرغم من أنهما كانتا حريصتين على ألّا يتحدَّثا بعضهما إلى بعض. لستُ أدري سبب شجارهما، ويبدو أن ذلك بسبب كيفين.

سأتركك يا مارسيلي، لأني لم أعد أرغبُ كثيراً في الكتابة. تعلم، هذه هي المرة الثانية التي يتخلّى فيها عني شخصٌ اسمُهُ ماتياس.

قبلاتي

ليلي

# آنا

الرأس الشمالي.

منذ شهرَين، كان عالمي يتكوّنُ من شقّتي، ومن مطعمٍ يستهلكُ معنوياتي، ومن الطريق الذي يربط بينهما. لم يكن الرأس الشماليُّ حينئذ سوى اسمٍ سمعتُهُ بشكل عابرٍ من فم جدَّتي وهي تحكي عن أسفارها الماضية.

واليوم، ها أنا في أقصى نقطة في شمال أوروبا، بعد أن عبرتُ القارةَ في سيارة تخييم رفقة ابنتَيّ. أكثر من أربعة آلاف كيلومتر تفصلنا عن حياتنا اليومية.

أُوقِفُ محرِّكَ السيارة. الساعة العاشرة ليلاً والنهار لا يزال ساطعاً. رافقَنا صمتٌ عذبٌ طول الطريق. ليلي في حداد، وكلوي لا تكلِّمني.

- أيتها البنتان، أليس في الإمكان أن نبذل جهداً من أجل هذه اللحظة المهمة؟

تستقبل اقتراحي غمغماتٌ بلا حماس. لا بدَّ أنَّ جدَّتي كانت تتخيّل جوّاً آخر لآخِرِ رحلة لجدّي. أمسكُ الجرّةَ وأخفيها تحت معطفي.

- لستُ متأكِّدةً من أنَّ نثر الرماد مسموحٌ به، سنحاول أن نفعل ذلك سِرّاً!

تصطدمُ كلماتي بلامبالاتهما. تُحكِمُ كلوي قفّازيها، وتداعبُ ليلي صندوقها البلاستيكي الصغير. وننزل من سيارة التخييم، ونتَّجِهُ إلى أول شمس لنا في منتصف الليل.

المشهد من أعلى الجرف مذهِلٌ. تحت أقدامنا بأكثر من ثلاثمئة متر، يمتدُّ المحيطُ المتجمِّدُ الشماليُّ إلى ما لا نهاية. يغايِرُ الصخرُ، المرشوشُ بالثلج، زرقةَ السماء الباهتة. شرعت الشمسُ في الهبوط. نقفُ خلف حاجز الأمان ننتظرُ منتصف الليل.

تبدو ليلي كأنها لم يلفت المشهد اهتمامها. بينما تبذُلُ كلوي جهوداً واضحةً كي لا تُعبِّرَ عن انبهارها.

أحاول مرّاتٍ عديدة أن أبدأ حديثاً معهما، لكن سدى. الأجواء المتوتِّرةُ أكثر تحمُّلاً داخل شقّةٍ رمادية.

في الساعة الحادية عشرة والخمس وخمسين دقيقة، يصمتُ عشراتُ الأشخاص الحاضرون.

في منتصف الليل، في مواجهة الشمس التي تنعكس في البحر بدل أن تختفي تحت الأفق، يُصفِّقُ الجميعُ وتطير سدّاداتُ قنّينات الشامبانيا. تملكُ العواطف القويّةُ القدرةَ على توحيد أولئك الذين يتقاسمونها. أشعر أني قريبة ممّن هم حولي هذا المساء، فنحن نتشابه جميعاً بعض الشيء. ألقي نظرةً على ابنتَيّ، بسمتان منبهرتان، وعيون لامعة، لقد عادتا مجدَّداً إلى سنِّ الثالثة.

ننتظر انفراط الحشد.

- ليلي، هل ترغبين أن نبدأ بماتياس؟

تهزُّ رأسها بالنفي. وذقنُها يرتعشُ.

- لقد أنجزتُ الأمر.

- حقّاً؟ متى فعلتِ ذلك؟

- عندما صفَّقَ الناسُ، قلتُ لنفسي إنها أفضل لحظة. لقد طار مثل نجمٍ شهير.

داعبتْ كلوي خدَّها، قبل أن تضع يدها فجأةً في جيبها، كأن تلك الحركة لم تحصل.

- حسناً، إذاً سنقوم بما طلبتْهُ منّا الجَدَّةُ، أقولُ لهما. كلوي، هل يمكنكِ التصوير؟

أنزعُ قفازيَّ وأُخرجُ الجَرَّةَ من تحت معطفي. أنظرُ حولي، لا يبدو أن أحداً ينتبه إلينا. أرى فرانسواز، وفرانسوا، ولويز، ولوي في البعيد يعودون إلى موقف السيارات.

أنزعُ الغطاءَ. يغلبني التأثُّرُ، فأنا أعرفُ مدى أهمية هذا بالنسبة إلى جدَّتي. لا أذكر جدّي إلّا قليلاً، كان عمري ستة أعوام عند موته. جولة في الغابة، يُعلِّمُني رفعَ الأوراق الميّتة باستخدام عصاً للعثور على الفطر الأبيض. صوته الغليظ يسعلُ. شريحة الخبز التي يحكُّ فوقها فصَّ ثوم. هذا كلُّ شيء.

أَمُدُّ ذراعي أبعد ما يمكنني مدُّها، وأقلبُ الجَرَّةَ لأسمح للرّماد بالطيران نحو الشمال الكبير.

إلى اللقاء، جَدّي.

- ما هذا؟! تصيح كلوي.

أنظُرُ بإمعان إلى الحبّات الذهبية التي تتطايرُ نحو الشمال الكبير. إنها ليست رماداً. إنه رملٌ.

أنظُرُ داخلَ الجَرَّةِ، فإذا بمغلَّفٍ قد أُلصِقَ بجدارها. داخل المغلَّف ورقة بيضاء مطوية إلى أربعة، تسوِّدُها كلماتٌ. أتعرَّفُ في الحال على خطِّ جدَّتي. تلتصقُ بي كلوي وليلي، ونقرأُ مجتمعات.

«بنيّتي العزيزة،

أتخيَّلُ وجهَكِ وأضحكُ وحيدةً. أنتِ تعرفين كم أحبُّكِ، ستفهمين إذاً أني لم يكن لديَّ من غاية من مناوَرَتي سوى غاية واحدة: مساعدتكِ.

منذ سنوات، أراكِ تناضلين ضدّ الحياة. تقاتلين مثل لبوءة، لكنها ليست رحيمة معك. جميع الضربات مسموح بها. أشاهدُ تلك المباراة، وأنا هنا كي أمنحكِ القوّةَ، كي أُحفِّزَكِ من جديد، لكنني أشعر أني عاجزة كلَّ العجز.

إن فقدانك لعملكِ فرصةٌ بالنسبة إليكِ كي تبدئي جولةً جديدةً. عندما أسررتِ لي برغبتكِ في الرحيل، وبتردُّدِكِ في القيام بذلك، خشيتُ ألّا تثابري في تحقيق أمنيتكِ، وأن تتراجعي في منتصف الطريق. كان عليَّ أن أمنحكِ حافزاً قويّاً. كنتُ أعرف أنَّكِ ستفعلين ذلك من أجلي.

صارت الحياةُ خصمَكِ، اتَّخذي منها حليفاً لكِ.

كثيراً ما كنتِ تُسِرّين لي أنَّ ابنتيك وحدهما تهمّانكِ، وأنَّكِ تتألمين لأنكِ لا ترينهما إلّا قليلاً، وأنَّكِ لو استطعتِ أن تبدئي من جديد، لفعلتِ كلَّ شيء بصيغة مختلفة. لا تستطيعين البدء من جديد، لكنك تستطيعين أن تختاري طريقاً آخر.

أنتِ تعلمين أنني أقرب إلى النهاية مني إلى البداية، أكادُ أرى خطَّ الوصول. لم تعد رجلايَ تحملاني، والباقي ليس على ما

يُرام، فما عدتُ أحتفظُ إلّا بالذكريات. يحدثُ أن أتذكَّر أحياناً رحلاتي، وقراءاتي، والأفلام التي أعجبتني، لكن الذكريات التي لا تفارقني أبداً هي أُمُّكِ، وجدُّكِ، وأنتِ، وكلوي، وليلي، ووالدايَ، وجدَّتي... كلُّ شيء ينتهي إلى زوالٍ، بنيّتي. الغضبُ، والخيباتُ، والقلقُ، والأفراحُ، والتعبُ. كلُّ ما يبقى إلى آخر لحظة، إنما هم الأشخاص الذين نحبُّهم، سواء أكانوا لا يزالون من هذا العالم أم لا.

لم يكن كلامي كلّه كذباً، فالرأسُ الشماليُّ مكانٌ مهمٌّ. في أثناء صيف 1957، قمنا أنا وجدُّكِ، الذي لا يزالُ رمادُهُ في غرفتي، بزيارة النرويج. فكانت شمسُ منتصف الليل أروعَ ذكرياتنا، ظللنا نستمتعُ بمنظرها حتى بداية الصباح. صُوِّرَتْ أمُّكِ في رحمي في اليوم الموالي، واعتقدتُ دائماً أنَّ ذلك هو السبب الذي جعلها مضيئةً بذلك الشكل. في اللحظة التي تقرئين فيها هذه الكلمات، تجتمعُ أربعةُ أجيال من أسرتنا في الرأس الشماليِّ. كم ستكون فخورة بكِ.

لا أريد أن أعِظَكِ، فأنا لا أطيقُ الأشخاصَ الذين يفكّرون دائماً كما يجب. إنما أرغبُ في تنوير طريقك فحسب، أن أهديَكِ إلى السبيل قبل أن أرحل.

أرجو أن تجعلكِ هذه الرحلةُ تحبين نفسكِ أكثر. أعرفُ إلى أيّ حدٍّ يكون الرابطُ بين أمٍّ وابنتها خالداً.

أحبُّكِ، بنيّتي. لا تغضبي مني.

جدّتُكِ».

أعيدُ طيَّ الورقة وأضعُها في المُغلَّف قبل أن تُذيبَ دموعي

الكلمات. لا تزال الشمسُ معلَّقَةً فوق الأفق، نتأمّلُها دقائقَ أخرى، في صمت.

أتخيَّلُ أمي إلى جانبي، يدها على كتفي. لم يعد ذلك يؤلمني. لا يمكنني أن أقول متى صارت ذكراها تُهدِّئني. انصرفَ الألمُ على أصابع القدمين. نعتاد على حضوره لدرجة أننا لا نعود نلحظُهُ، يُصبحُ جزءاً لا يتجزأ من ذاتنا. ثم، ذات يوم، ننتبِهُ إلى أنه قد اختفى، مُخَلِّفاً مكانه لبعض الندوب وكلِّ الذكريات الجميلة. تكاد اللحظاتُ التي أفكِّرُ فيها في أمي تصير محتمَلَةً، بما أنها تجعلُها تستمرُّ في الحياة قليلاً.

- هل نذهبُ؟ أقترح في الأخير على البنتين.

تهزّان رأسيهما. نعودُ إلى سيارة التخييم بخطى وئيدة. الصمتُ أقلُّ ثقلاً منه في الذهاب. لا أجرؤُ على كسره، فأنا لا أعلمُ إن كانتا مستعدَّتين.

جدتي على صواب: لولاها، لما خرجتُ إلى هذه الرحلة. لولاها، لكنتُ دون ريبٍ قد حصلتُ على عملٍ جديد، ودفعتُ ديوني، بل وفَضُلَ لي بعضُ المال، وأكلنا شيئاً آخر غير المعلَّبات المطبوخة فوق موقد كهربائيٍّ، ونِمْنا على أفرشةٍ مريحة، ولكان لدى الفتاتين أساتذة أكفاء، ولكانت الحرارةُ زائدة بعشرين درجة، ولما خاطَرْتُ بأن أفقد حضانتَهُما، ولتلافينا العديد من الخصومات. لكننا، كنّا لن نلتقيَ سوى دقائق معدودة كلَّ يوم، ولن أعرف مدى حساسية كلوي، وإلى أيِّ حَدٍّ تشبهني، ولن أعرف أنَّ ليلي تطفحُ بالظَّرافة والكرم، ولن أشاركهما الضحكَ المجنونَ، والنقاشات، والليالي، والاكتشافات، والمخاوف. ما كنتُ لأصنع كلَّ تلك الذكريات التي لا تُنسى مع ابنتَيّ.

إن ما تمنحني إياهُ جدَّتي ليس رأيَها، بل هديّة.

أُغلِقُ بابَ سيارة التخييم كي لا يتسرَّبَ الدفءُ. خلعت البنتان ملابسهما بسرعة وانسربا في فراشهما. أستلقي على أريكتي وأَجُرُّ اللحافَ فوق وجهي كي لا يُضايقني ضوءُ الشمس وكي أُخفِيَ بكائي.

لم تنصرم سوى دقائق فإذا بي أُحِسُّ بجسمٍ صغيرٍ ينسربُ إلى جانبي. ثم جسمٌ ثانٍ. أرفعُ لحافي، فتلتحق بي كلوي وليلي في مأوايَ وتلتصقان بي.

شكراً جدَّتي.

# أخبار كلوي

كانت الجبالُ تنتصبُ بين البحيرات، يتنافسُ الأخضرُ والأبيضُ من أجل المكانة الأولى، ولم يكن البحرُ بعيداً أبداً، كأننا في خلفية شاشة حاسوب. وكنّا نسيرُ بالسيارة منذ أكثر من ساعة عندما أرادت أمي أن نتناقش. كانت ليلي قد نامت في الخلف.

- أنتِ تعلمين، لستِ مجبَرَةً على أن تفعلي كلَّ ما يطلُبُهُ منكِ الأولاد.

كنتُ أفضِّلُ الحديث عن المنظر الطبيعيِّ، لكنها استأنفتْ كلامها.

- هل أنتِ مُغرَمَةٌ بكيفين؟

- أعتقد.

- ما الذي يجعلكِ تعتقدين ذلك؟

فكّرتُ ثوانيَ معدودة.

- لأنني، عندما لا يُجيبُ على رسائلي، أكون حزينةً.

- هذا كلُّ شيء؟

كان صوتُها رقيقاً مثل صوت الثعبان في كتاب **الغابة**، وكنتُ أرتابُ في كونها تسعى إلى استرضائي. غير أني لم أستسلم لها.

- لا، إنه لطيفٌ معي، يقول لي إني جميلة، وإني جذّابة، وهو حنون...

- حسناً. وتجدين الأمر عادياً أن يُرسِلَ إليكِ صوراً فاضحة وأن يطلب منكِ أن تفعلي الشيء نفسه؟

رفعتُ كتفيَّ.

- لستُ أدري، لم أطرح السؤال على نفسي.

- لديكِ رغبةٌ في أن تفعلي ذلك؟

- لا، ليس حقيقةً. لكنني أخاف أن...

توقّفتُ عن الكلام، فألحَّتْ.

- مِمَّ تخافين؟

- أخاف أن يكون أقلَّ لطفاً إن رفضتُ. أخاف أن لا يحبّني.

عندئذ، ألقتْ عليَّ خطبةً طويلةً حول ما ينبغي أن أقبله وما لا ينبغي أن أقبله، وحول طريقة الشروع في علاقة، وحول الأولاد الذين ليسوا كلُّهم سواسية، وحول الحبِّ الذي لا يرتبطُ بصور فاضحة، وحول الحنان الذي لا يصنع الحبَّ. وكنتُ أهُزُّ رأسي، لكنني كنتُ أتصوَّرُ أنها لا تفهم.

لا أحبُّ أن أعرض صوري، ولا أحبُّ أن أمنح جسدي. إن ما أحبُّهُ أن أتلقّى الثناءَ، والمداعبات، والوعود. ما أحبُّهُ، أن أُحَبَّ. أن يُفكِّرَ فيَّ شخصٌ آخر. أن أكون مُهمَّةً.

عندما أعرضُ صوري، وعندما أمنحُ جسدي، فإنهم يمنحونني الحبَّ. وعندما لا أمنحُ شيئاً، فإنهم لا يمنحونني أيَّ شيء. ليس الأمرُ أكثر تعقيداً من هذا.

أوَدُّ أن أُصدِّقَ أمي عندما تؤكِّدُ أن الحبَّ لا يتحصَّلُ بهذه

الطريقة، وأن الأولاد يمكنهم أن ينتظروا مني أمراً آخر، أوَدُّ ذلك حقيقةً، لكن كيف لي أن أصدِّقَ امرأةً لم تعرف سوى رجلٍ واحدٍ؟

سألتني:

- أتعدينني أنك ستنتبهين، في المرة القادمة؟

لم أعدها، اكتفيتُ بِهَزِّ رأسي وأنا أعقد أصابعي سِرّاً. أَوَدُّ أن أحاول، لكنني أعرف منذ الآن كيف ستسير الأمورُ، في المرة القادمة. سيحاول، وسأتمنَّعُ، وسيشعر بالخيبة، وسأشعُر بالخوف من أن أفقدهُ، وسأقبَلُ.

وصلنا إلى موقف السيارات في حديقة ستابورسدالين الوطنية عند أوَّلِ الأصيل. كان الجوُّ بارداً، ورمادياً، لكن جوليان كان قد أقنعَ قسماً من المجموعة أن أصدقَ طريقة لتجريب جوِّ النرويج هي القيام بجولةِ مَشْيٍ منعشة في غابة الصنوبر. كان يُفترَضُ أن يكون في انتظارنا عند نهايةِ المسير منظرٌ يقطعُ الأنفاسَ.

بعد ساعتين من المشي وسط أشجار الصنوبر، وألواح الثلج، وصيحات لويز، ووقفات فرانسوا من أجل التقاط الصور، وتذمُّر أمي، وصلنا إلى المفاجأة الموعودة. بُحيرةٌ حيث يرتمي شلّالٌ لا تفرق كثيراً عمّا كنّا نَمُرُّ به كلَّ يوم في طريقنا. كانت خيبةُ الأمل مدويةً في صمتنا.

تناولنا وجبة خفيفة على ضفة الماء، ثم انطلقنا في طريق العودة دون حماس كبير. ولم تكن أمي، التي لم تتصوّر أن يكون الإيابُ بطول الذهاب، بعيدةً من أن تقترح علينا أن نعود لحملها بواسطة هليكوبتر. كانت فرانسواز أسرع منها، إذ أعلنتْ أنَّ عليها أن تتوقَّفَ برهةً صغيرة لتُجَدِّدَ «بودرة أنفها». وبينما كنّا ننتظرها في الطريق،

توغَّلَتْ في الغابة وهي تُصفِّرُ. وخرجتْ منها بعد ثلاث دقائق وهي تصرخ وتركُضُ بأقصى سرعة، رافعة ذراعيها، ووجهها مكفهِرٌّ من الفزع. كانت تتعثّرُ، وتنهضُ، وتتعلَّقُ بالأشجار لتُسرِع، وتقفزُ فوق الجذور. وعندما اقتربت منّا، رأيناهُ. كان يتقدَّمُ أمتاراً قليلة خلفها، هائلاً، ومهيباً، يتبعُهُ صغيراهُ. أنثى موظ غاضبة.

- ساعدوني، استطاعت أن تتلفَّظَ.

أمسكَ جوليان يدها وجذبها نحو المجموعة. واحتضنها لوي ولويز بين أذرعهما وهما يبكيان. وضبطَ فرانسوا عدسة آلة التصوير على الحيوان.

همسَ جوليان:

- هذا غريب. عادةً، حيوانات الموظ ليست عدوانية، لا بدَّ أنها أحسّتْ بالخطر مع صغارها. سنتراجع إلى الخلف، فذلك قد يكفي لطمأنتها.

تَقهقرنا بضع خطوات، بكل رفق، غير أنَّ ذلك لم يكفِ لتهدئة أُمِّ الأسرة. اقتربتْ منّا، وقد خفضَتْ رأسها، متأهِّبةً للهجوم. ضَمَّتْنا أمي إليها. بينما فَقَدَ جوليان في تلك اللحظة كلَّ كرامة.

خطا خطوةً نحو الحيوان، رافعاً يديه أمام وجهه، وصاحَ:

- حذار، أنا أحمل الحزام الأزرق في رياضة جو-جيتسو!

كانت أنثى الموظ تنظرُ إليه من أسفل. وتقدَّمَت مرَّةً أخرى. وعندئذ أطلقَ جوليان صيحةً حادَّةً يسعى بها كما يبدو إلى إفزاعها. أظُنُّ أنه لم يُفْزِعْ سوى حباله الصوتية. سمعتُ، خلفي، ضحكاً مكتوماً، فعضضتُ خدَّي كي أحبس نفسي من الضحك بدوري.

وعندما رأى بطلُنا أن التخويف لا ينفع، حاولَ أن يتواصل مع الحيوان:

- لا تقلقي، لا نريد بكِ شرّاً.

غير أن أنثى الموظ، التي كان واضحاً أنها لا تتكلّم الفرنسيةَ، واصَلَت التقدُّمَ مرة أخرى. لم يكن يفصلها سوى ثلاثة أو أربعة أمتار عن جوليان، الذي استنتج من ذلك أن الوقت قد حان لتسديد ضربته السرِّية.

رأيناهُ، كأننا أمام عرضٍ بطيء، يرمي ساقَهُ اليُمنى في الهواء وهو يدور في الوقت نفسه على ساقه اليسرى - علمتُ فيما بعد أن ذلك يُسمى ركلة دائرية. دوتْ صرخةٌ، ولم تكن صرخةَ أنثى الموظ. أعاد جوليان إنزالَ ساقه، كأنه لم يفعل أيَّ شيء، كأننا لم نلاحظ جميعاً أنَّ عَضَلَتَهُ قد تمزَّقَتْ.

لا بدَّ أنَّ أنثى الموظ قد أدركَتْها الشفقةُ، فضربَتِ الأرضَ بحوافرها ثوانيَ معدودة، ثم لحقتْ بصغارها على قارعة الطريق.

رفعَ جوليان ذقنَهُ وصاح بها - لكن ليس عالياً:

- هذا هو، أنت مُحِقّة في أن تخافي!

ثم استدار نحونا، وعلى شفتيه ابتسامة نصف بطولية، ونصف أليمة، ولحق بنا وهو يَعْرُجُ ودعانا إلى استئناف مسيرنا. وهو ما فعلناهُ. لا مجال لعصيان أمر تشاك نوريس.

# ليلي

19 مايو

عزيزي مارسيل،

هذه أنا (ليلي). أرجو أن تكون بخير، على الرغم من الجو الكئيب. وصلنا إلى ألتا، إنها جدّ جميلة، لكنني واثقة أنها ستكون أفضل دون هذا الضباب، كأنَّ شخصاً يأخذ حمّاماً حارقاً. ركَنّا سيارات التخييم على ضفة ألتافيورد، وهو مضيقٌ كما يدل على ذلك اسمه، والمضيق هو سهلٌ تغمُرُهُ المياهُ كما لا يدلُّ على ذلك اسمه (أنا، كنتُ أحسبه زبادي).

وبما أنه كان هناك ماء، وهما لم يكونا في حاجة إلى أكثر من ذلك، فقد أخرج فرانسوا وفرانسواز قصبَ الصيد. وكانا جد مسرورَين لفكرة قتل السمك، لو رأيتَ ذلك، خصوصاً ابنتهما، لم تتوقف عن القهقهة، كأنها عثرت على تلقيح مضاد للسُّعار. تعرف يا مارسيل، إنها بلهاء حقّاً. إن ألصقْنا آذاننا برأسها، أنا واثقة أننا سنسمع البحر.

وهكذا، اتّخذوا مكانهم هناكَ، ولم يُقلقني الأمرُ، لأن

مظهرهما كان يؤكد أنهما لا يستطيعان الإمساك بسمكٍ إلّا إن كان معروضاً في متجر بيكار. غير أن لوي، بعد عشر دقائق، أطلق صيحة فرح. كانت أمُّهُ قد أمسكتْ سمكةً. وكانت المسكينة تتلوّى وتُكافح بجميع حراشفها، بينما كانت أسرةُ نودي تجد ذلك مُسَلِّياً. وعندما أرادوا أن يُعاوِدوا الأمر، قرَّرتُ في داخلي أنني لستُ متّفقةً.

جمعتُ حجارةً، وجلستُ إلى جانبهم، وألقيتُ إحداها في الماء، تماماً حيث تطفو الفلينة. ضحك فرانسوا، فقد حسب أنني أفعل ذلك تسليةً، وعندئذ ألقيتُ حجراً ثانياً. طلبَ مني أن أَكُفَّ عن ذلك، فأجبتُهُ أنني أتدرّبُ على إنجاز رمياتٍ مرتدَّة، عندئذ تدخلت ابنتُهُ المُدَلَّلَةُ قائلةً إن الأمر يتطلّبُ حجارةً مسطَّحَةً، فأرسلتُ توّاً حجراً ثالثاً. وبعد برهة من الزمن، أصابهم الضجرُ، وكان فرانسوا يعقد حاجبَيه بشدّة لدرجة أنه كان سيصاب بمغصٍ في جبهته، فانطلقوا إلى مكان بعيد. انتظرتُ إلى أن استقرَّ بهم المقامُ في مكانهم الجديد، وذهبتُ للجلوس إلى جانبهم وأعدتُ الكَرَّةَ. لم يَسُرّهم ذلك حقيقةً، لكني لم أحفل بأمرهم. أُفضِّلُ محبَّةَ السمك على محبّتهم.

ولم تمضِ خمسُ دقائق حتى شرعتْ لويز تصيح بي، وقد اختفت ابتسامتُها المعسولةُ نهائياً. وكنتُ أعلمُ كلَّ العلم أن لها وجهاً مزدوجاً، فيجب الحذرُ من الثعبان الذي في الحشائش.

وصلني صوتُ شقيقتي من الخلف، ولم يكن يبدو عليها أنها مُقبِلةٌ من أجل المداعبة. نصَحَتْ لويز أن تَكُفَّ عن الحديث إليَّ بتلك الطريقة، فسألتْها لويز: «وإلّا ماذا ستفعلين؟»، أجابتها كلوي: «وإلّا فإنَّكِ ستشعرين بالريح تُصفِّرُ بين أسنانكِ». وكانت لويز تهمُّ بالجواب، لكن أمَّها قالت لها أن تهدأ، وأنَّ عليها ألّا تنجَرَّ لاستفزاز فتاتين غير مؤدَّبتين.

أُقسِمُ لكَ إني لم أتعمَّد فعلَ ذلك، مارسيل. أُقسَمَ لك إنَّ ذراعَي عصتاني، وإنني لم أستطع فعل شيء لأمنعهما من أن تدفعا الآنسة المدلَّلَةَ إلى الماء. صرختْ (يبدو أن الماء كان بارداً)، وبينما انشغل والداها بإخراجها إلى اليابسة، هرعنا أنا وشقيقتي إلى سيارة التخييم، حيث أقفلنا علينا البابَ.

لم تكن أمي راضيةً حقّاً، خصوصاً أن فرانسواز اختلقت أموراً كثيرة. ولكي نطلب منهم المسامحة، ذهبت أمي لشراء السمك وأجبرتْنا على إعداد وجبة العشاء من أجلهم، تعويضاً لهم عن السمك الذي لم يتمكّنوا من صيده. شرعتْ شقيقتي في تقشير السمك وإفراغ أحشائه، لكنني قلتُ لها أن تهتمَّ بالأرزّ بدلاً من ذلك، وقمتُ بإفراغ ذلك السمك المسكين وأنا أطلبُ منه الصفحَ. أرجو أن تكون كلوي قد فهمتْ أني فعلتُ ذلك شكراً لها على موقفها، فالأمر كان بالغ القسوة بالنسبة إليّ.

هيّا، سأترُكُكَ وإلّا فإنَّ رائحة السمك ستعلق بك.

قبلاتي

ليلي

ملاحظة: أتعلم كيف يقولون ماكدونالدز بالنرويجية؟ ماكدونالدز! أليس هذا أمراً غريباً؟

# آنا

تجلسُ كلوي إلى جانبي، ممسكة بالهاتف.

- كان المتّصِلُ أبي، تُخبرني. كان يريد أن يتحدَّثَ إليكِ، فقلتُ له إنَّكِ مشغولة.

أهُزُّ رأسي. أعلمُ أنها تعلمُ، لكننا لم نتحدّث أبداً حول ذلك. أُدرِكُ من نظرتها أنَّ الأوان قد حان للخوض في الموضوع:

- ما رأيكِ في الأمر، أنتِ؟

- ما رأيُها في ماذا؟ تستفسر ليلي وهي تلج سيارة التخييم.

أستفهمُ شقيقتها بنظرةٍ مني، فتهزُّ رأسها. أشيرُ إلى ليلي أن تجلس معنا وأكشفُ لها عن مطلب أبيها.

- لا أريد العيشَ معه! تصيح. لا أعرفُهُ، ليس لديَّ ما أقوله له!

- لا أفهمُ لِمَ أنتِ قاسية معه إلى هذا الحدّ، تقاطِعُها كلوي.

- لستُ في حاجة إلى سبب، تردُّ عليها ليلي.

- لكنه أبوكِ، على الرغم من كل شيء، ولم يقترف في حقِّكِ أيَّ شيء! إنه حزينٌ، يعتقد أنّكِ لا تُحبينَهُ.

- إنه على صواب، أنا لا أحبُّهُ.

- أنتِ حقّاً...

أقاطع كلوي قبل أن تذهب بعيداً في كلامها.

- اهدآ قليلاً! ليلي، شقيقتُكِ على صواب: إنه أبوكِ، يجبُ أن تكوني لطيفةً معه. لا حاجة إلى أن تلوي وجهكِ، لن أقبلَ أن أسمعكِ تتحدثين عنه بهذه الطريقة.

- إذاً، ما عليكِ إلّا أن ترجعي للعيش معه إن كان لطيفاً بهذا الشكل! تقول لي.

لم يكن عمرُ ليلي سوى خمس سنواتٍ عندما افترقنا. عاشتْ طويلاً دون أبٍ معها، لا بدَّ أنها لا تحتفظ منه سوى بذكرياتٍ غائمة ولم تكن الفتراتُ القليلة التي قضتها في بيت جدَّتها لأبيها لتُغَيِّرَ رأيَها. لكنني أرفُضُ أن تبنيَ نفسَها من خلال صورة أبٍ لا يُعِزُّها. بعيدٌ جغرافياً، ومنشغلٌ، وقليلُ تحمُّل المسؤولية، وغيرُ لطيفٍ، إن شاءتْ. لكنه ليس منعدم المشاعر نحو ابنتيه. لا ينمو المرءُ سويّاً إذا كان ينقصُهُ الحبُّ.

- ليلي، أنصتي إليَّ. أبوكِ يُحبُّكِ، وأنا واثقة من أنكِ لو تعرفينه أفضل، لأحببْتِهِ أنتِ أيضاً.

- إذاً، ستسمحين له أن يفعل ذلك؟ تثور في وجهي.

- لا، أبداً، لا تقلقي. أنوي أن أحتفظَ بكما معي، لا...

- أنا أودُّ كثيراً أن أراهُ أكثر، تهمسُ كلوي، غائمة العينين.

- أعرفُ، حبيبتي، سنرى كيف يمكننا أن نتفاهم حول ذلك.

انهمرت الدموعُ على خدَّيها.

- لكنه يملكُ بيتاً منذ عامين! قالت وهي تنشج. لا أفهمُ لِمَ أخفى عنّا الأمر. هذا يعني أنه كان في إمكانه أن يستضيفنا، ولم نكن مضطرّتين للذهاب عند جدّتي، لكنه لم يفعل ذلك!

- أرأيتِ، أنا على صواب، تنتقدُها ليلي. لا يريد أن يرانا.

- أنا متأكدة من أن الأمر أكثر تعقيداً من هذا، تردُّ عليها كلوي

من خلال دموعها. أتذكَّرُ عندما كنّا صغيرتَين، كان يهتمُّ بنا كثيراً، وحتى الآن يفعل ذلك بالهاتف، ويسألني دوماً عن حالي. أعرفُ أنه يحبُّنا، لا بدَّ أنَّ لديه أسباباً وجيهةً.

تَهُزُّ ليلي كتفيها. وتنشّف كلوي أنفها.

- أشتاقُ إليه، تقول كلوي متنهِّدةً.

أتنهَّدُ، ممزَّقَةً بين ابنتي الكبيرة التي تريد أن ترى أباها أكثر، وصغيرتي التي تريد أن تراه أقلّ، وذاتي أنا.

- سنجد، أنا وأبوكما، حلّاً، أقول على سبيل الختام. لا تقلقا، نحن نُقَدِّرُ المسؤولية، وسنتدبَّرُ الأمر.

أنتظر أن تبتعد الفتاتان لأفتح الرسائل على الهاتف، وتقديراً مني للمسؤولية، أرقُنُ رسالةً موجَّهةً لأبيهما.

«لن تحصلَ أبداً على حضانتهما، لن أسمح لك بذلك».

# آنا

نامت الفتاتان سريعاً. تغلّبت زيارةُ ترومسو على قوة تحمّلهما. أما قوة تحمّلي فلا تزال تقاوم، أتقلَّبُ فوق الأريكة، وأحاول أن أخلق الفراغ في ذهني، وأن أُركِّزَ انتباهي على تنفّسي، لكن الأفكار استقرَّتْ ومن الواضح أنها قرَّرتْ أن تقضي الليلة عندي.

أنهضُ برفقٍ، وأرتدي معطفي وحذائي الطويل فوق منامتي وأخرُجُ لشَمِّ الهواء. الوقتُ يقتربُ من منتصف الليل، ويغمرُ المنظَرَ نورٌ ذهبيٌّ. تقضي الكثيرُ من سيارات التخييم الليلَ هنا، أخطو خطوات مستمتعةً بمشهد الجبال الثلجية في البعيد. قيل لي إن اسكندنافيا تُشعِرُ بالغربة، لكنني لم أكن أتخيّلُ إلى أي درجة. المعمارُ، والنباتُ، والتضاريس، وحروف الهجاء، والجوّ، والطُّرق، والطعام، والثقافة، كلُّ ذلك مختلفٌ، والأكثر إدهاشاً هذه الشمس التي تشعُّ أربعاً وعشرين ساعةً في الصيف وتختفي بشكل كامل في الشتاء لتفسح المجال للظلام. هنا، الأمور قاسيةٌ، وكاملة، ولا تكتفي بأنصاف الحلول.

أنجزنا أكثر من نصف الرحلة. وبعد شهرٍ، سنكون قد عدنا إلى فرنسا. كلُّ مرحلة جديدة تُقرِّبُنا من حياتنا وليس لديَّ سوى رغبة واحدة: أن أعود. أن أبتعد ما أمكنَ عن صندوق بريدي الذي لا بدَّ

أنه يطفح بالرسائل، وأبعد ما يمكن أن أكون عن موظفة البنك، والمحضرين، والوثائق، والمشاكل. وأبعد ما يمكنني أن أكون عن تلك الحياة اليومية حيث كلّ يورو بحساب، وحيث الثلاجة فارغةٌ ووسائل الترفيه جد باهظة. وأبعد ما أكون عن ماتياس. أودُّ أن أظَلَّ داخل القوسَين.

ينتزعني نباحٌ من أفكاري. يعدو نحوي جان-ليون، وقد اقشعَرَّ شعرُهُ. أنحني لأطمئنَهُ، فيحتفل بي.

- ألا تنامين؟ يسألني غريغ وهو يلحقُ بي.

- لا، لم أتمكّن من ذلك. وأنتَ أيضاً لا تستطيع النوم؟

- جان-ليون كان بحاجة إلى الخروج. هيّا معنا إلى سيارة تخييمنا، نلعبُ التاروت رفقة جوليان!

لا أتردَّدُ طويلاً في قبول الدعوة، لأنني عاجزةٌ عن الصمود أمام أمسية بين الكبار، دون مراهقين في الأُفُق.

مارين مسرورةٌ، لأنَّ التاروت يكون أفضل بأربعة لاعبين، كما شرحتْ لي وهي تُعِدُّ لي شايَ أعشاب.

- كنتُ أودُّ أن أُقدِّمَ لكِ كأس خمر، لكن ذلك سيكون شديد الغواية بالنسبة إليّ. سبق أن توقفتُ عن التدخين دفعةً واحدة، لا ينبغي أن أتلاعب بأعصابي... . أرجو أن يتذكَّر الطفلُ كلَّ هذا وأنه سيخرج إلى العالم دون مشاكل. هل شعرتِ أنتِ بآلام كبيرة في أثناء مخاض ولادة ابنتيك؟

أستبصرُ المشهدَ، صرخاتي من الألم، ورغبتي في أن أقول للقابلات: «اتركنني أموتُ هنا، أنا أعيقُكنَّ»، وأَهُمُّ بالإجابة مضيفةً بعض الألوان لشهادتي، لكن دون أن أكذب، عندما ألمحُ نظرةَ غريغ المتوسِّلة.

- لم أُحِسّ بأيِّ شيء. لا شيء تماماً، في الولادتين كلتيهما. وعندما سمعتُ صرخات ابنتَيّ، كنتُ مندهشة من سرعة خروجهما.

أنظُرُ إلى سحنة مارين فأُدرِكُ أن كلامي أراحَها، وإلى سحنة غريغ فأفهمُ أني بالغتُ بعض الشيء. يضحكُ جوليان عالياً.

- لماذا تضحك؟ تسأله مارين. كانت ولادةُ نُوِي مجزرةً حقيقيةً، أليس كذلك؟

يستردُّ جوليان رباطة جأشه ويتّخذُ مظهراً بالغ الجدِّيّة.

- أبداً، أبداً، كانت ولادةً جِدَّ سريعة.

- آه، أنتَ بقولك هذا تُطمئنُني! تُصرِّحُ مارين.

- أُطلِقَ مثل قذيفة مدفع، يستأنفُ جوليان، كاد أن يصطدم بالطبيب المولِّد وانتهى داخل حقيبة يد قابلةٍ.

تنظر إليه مارين دون أن تفهم قصده، بينما يحبس غريغ، محمَرَّ الوجه، نفسَهُ كي لا يضحك.

- أتسخران مني؟ تتلفَّظُ أخيراً.

نُنكِرُ الأمر معاً، فتميلُ إلى تصديقنا. تُفضِّلُ أن تصدِّق أيَّ شيء، ما عدا الحقيقة.

يذهبُ جوليان، بين جولتَي تاروت، ليتأكَّدَ من أنَّ نُوِي ينام نوماً عميقاً وأُلقي نظرةً على البنتين. ليلي تشخرُ، ينبغي أن أُسجِّلها.

- أمسيةٌ دون أطفال، أمرٌ مريحٌ! يهمسُ جوليان خلف ظهري.

أنتفضُ، فأنا لم أسمعه يقتربُ. أعيدُ إقفالَ بابَ سيارة التخييم برفقٍ وأستديرُ نحوه.

- أوه أجل، لم يحدث هذا منذ مدة طويلة!

- أتلعبين جولةً أخرى أم ستنصرفين للنوم؟

- أتعتقد حقّاً أني سأنصرفُ على وقع هزيمة؟

يبتسمُ.

نرجع إلى مركبة أبوَي المستقبَل. ويساعدني جوليان على الصعود. لا تحتاج مارين إلى أكثر من ذلك:

- أتعلمان أنكما تليقان لبعضكما؟

لحظة حرج شديد. أرفعُ عينيَّ نحو السماء، ويسعلُ جوليان.

- مارين، كُفِّي عن هذا، إنك تُحرجينهما، يعاتبُها غريغ وهو يخلطُ ورقَ اللعب. حسناً، أنلعبُ هذه الجولة؟

- ماذا في الأمر؟ تندهشُ مارين. أجدُ أنهما منسجمان، لا سوء في هذا! عندما أجد حذاءين ملائمين لحزامٍ، أقول ذلك ولا يصدمُ الأمرُ أحداً فيما أعلم!

- لا إشكال في الأمر، يوافقها جوليان بابتسامة عريضة. وبالمناسبة، هل أخبروكِ أنَّ عملية قصِّ الفرج في أثناء الولادة مؤلمة بشكل رهيب؟

أُقهقِهُ وأنا أرجو أن ينصرفَ اهتمامُ مارين إلى هذه القضية التي تهمُّها بدرجة كبيرة.

- ألديكِ علاقة مع شخص آخر؟ تسألني، بمظهر بريء.

يبدو أن محاولة جوليان لم تُجْدِ معها.

- لديَّ بنتان وهذا يكفيني.

- حسناً، مارين، لنلعبْ! يقاطع غريغ.

ترفعُ يديها علامة على الاستسلام.

- أوكي، أوكي! أنا آسفة، هرموناتي تجعلني عاطفية قليلاً، فأرى أزواجاً في كلِّ مكان.

أُرَتِّبُ أوراقي، وقد ارتحتُ لانتقالنا إلى أمر آخر. أحصُلُ على ورقٍ جيّد، أوراق رابحة كثيرة، أتردَّدُ في السّحب، وأُلقي نظرة على اللاعبين الآخرين، فأرى مارين منغمسةً في ترتيب أوراقها، وغريغ يفكِّرُ، وجوليان يتفحّصُني بنظرة لامعة. فيُربِكُني.

# أخبار كلوي

توصلتُ ببريد مجهول. ورقة مطوية إلى قسمين مدسوسة في مقبض باب سيارة التخييم. ماما هي التي وجدتها، لكنها كانت موجَّهَةً إليّ.

كلوي،
بسمتُكِ المتمرِّدة،
صوتُكِ البلّوريُّ،
عيناكِ الجذّابتان،
فمُكِ السماويُّ،
كلُّ شيء فيكِ يُطربني،
كلُّ شيء فيكِ يلائمني،
تجعلينني سعيداً،
أحبُّكِ بصمتٍ.

ضحكتُ من الأمر، وسألتُ ليلي عن سبب قيامها بتلك المزحة السمجة، فأقسمتْ لي أنها لم تفعل.

سألتُ جميع أفراد المجموعة، فأنكروا، وفي أغلب الأحيان

كانوا لا يفقهون حتى ما أعنيه. الوحيدة التي لم أسألها هي لويز، لأنّني لا أكَلِّمُها. غير أني إنما أشكُّ فيها. هي الوحيدة، فيما أعلم، القادرة على فعل ذلك، لمجرد أن تُضايقني. دون أن أتحدَّثَ عن بساطة القصيدة، التي تناسبُ مستواها الذهني. تلك الفتاة شديدة الفراغ لدرجة أني عندما أنظرُ إليها أُصابُ بالدُّوار.

وضعتُ الورقةَ في سلّة المهملات.

أعترفُ لكم أنني، لثوانٍ معدودة، تصوّرتُ احتمال أن يتعلّق الأمرُ برسالة حبٍّ حقيقية. أثارتْ فكرةُ أن يُحبَّني أحدُهم سرّاً، فراشاتٍ في جوفي، لكن ما لبث العقلُ أن استعاد زمامَ الأمور. فأنا مُحاطةٌ برجال متزوّجين أو طريحي الفراش، ولا يمكن أن يتعلق الأمرُ سوى بمزحة.

للأسف.

منذ تخلَّيتُ عن كلِّ أمَلٍ في علاقتي بكيفين، صار ينقصني شيءٌ ما في حياتي. ينقصني شخصٌ يشغلُ أفكاري. أضعُ أحمر الشِّفاه في الصباح دون أن أتساءل إن كان سيُعجِبُهُ، وأنتقي لباسي دون أن أرجو أن تكون وفق ذوقه، وأنامُ خالية الرأس من الأحلام التي أحلمها بصيغة المثنّى. أشعرُ بالوحدة. وأشعر بالتفاهة.

وأعتقد أني إنما أنشأتُ هذه المدوَّنَةَ من أجل ذلك. كان في إمكاني أن أُدوِّنَ أفكاري في دفتر، لكن أن أتشاركها معكم، وأن أعلم أنها تُضحِكُكُم، وتؤثِّر فيكم، وتدفعكم إلى التفكير، وأن أعلمَ أني لستُ الوحيدة التي أشعرُ بما أشعرُ به، وأفكِّرُ مثلما أفكِّرُ، هو أمرٌ ثمينٌ بالنسبة إليَّ. وعلى الرغم من أن ذلك يظلُّ افتراضيّاً، فإني أشعرُ أني أقل وحدةً.

وحتى التعليقاتُ السلبية لها وقعٌ طيّبٌ عليَّ. جرحتني التعليقاتُ

الأولى، فكنتُ أعيد النظر في كل شيء، لم أكن أحتفظ بأيٍّ مسافة، لكنها علّمتني، في الأخير، أن أفهم أنَّ إرضاء الجميع أمرٌ محال، وأن ذلك ليس بالأمر الخطير. وعلمتني أن الأمر لا يخلو أبداً من ناقد ينتقد، وأنَّ ذلك لا يعني أنَّ في الأمر سوءاً بالضرورة.

إني بعيدةٌ أن أكون تلك التي أودُّ أن أكون. إني أحسدُ الأشخاصَ الذين لا يأبهون للصورة التي يقدِّمونها، ولما يعتقده الآخرون. الأشخاص الذين يثقون في أنفسهم بشدةٍ فلا يستطيع شيء أن يزحزح تلك الثقة. أما أنا، فإني أعيد النظر دائماً في ذاتي لدرجة أني قمينة بأن أشعر أني مذنبة وإن كنتُ ضحية. ومن الناس من لا يجرؤ على الاعتراف أنه يرى عكس ما يراه الآخرون، احتراساً من إسخاطهم. وأنا، لا أجرؤُ حتى على التفكير في عكس ما يراهُ الآخرون. وأحسد أولئك الذين لا يحتاجون إلى استحسان الآخرين ليحبّوا أنفسهم.

أودُّ أن يكون الاستحسانُ الوحيد الذي يهمني هو استحساني أنا نفسي.

# ليلي

23 مايو

عزيزي مارسيل،

لا يمكن الموتُ، لحسن الحظِّ، بجرعة زائدة من العاطفة، ولولا ذلك لكنتُ قد متُّ هذا اليوم. أرجو أن تكون حزيناً.

كانت بدايةُ اليوم نفسُها سيّئةً. كان الفطور دون حبوب، فقد استنفدنا كلَّ المخزون الذي حملناه معنا، ومن ثَمَّ اضطررتُ إلى تناول نوع من البسكويت الأسمر مع المربّى. تقول أمي إن كلَّ شيء باهض الثمن هنا، ولذلك ينبغي أن نحرص على ألّا نأكل بسرعة كبيرة، لكنني في طور النموّ، فلن أحرمَ نفسي!

وبعد ذلك، ذهبنا إلى المغسلة لتصبين الملابس، الأمر طويل، ولا أرى حقّاً لماذا يتوجب علينا غسلُ الملابس ما دمنا سنرتديها من جديد، وستتسخ مرة أخرى. أقول لكَ، إن المنطق في سبيله إلى الاختفاء.

ثم، قمنا بالتفافٍ صغير لنذهب إلى مشاهدة شلالات مالسيلفوسين، كان معنا نُوِي (وأبوهُ)، فكان الأمرُ رائعاً. إنه ليس

بالشلّال العالي لكنه شديد الرحابة، ويُصدِرُ الكثير من الضوضاء ويجري الماءُ بسرعة فائقة، وترتمي الشلالاتُ نحو الأمام كأنما شخصٌ يلاحقها، أظنُّ أنها ارتكبت حماقةً. أعتقد أنك إن سبحتَ داخله، فإن ذلك سيرجُّكَ لدرجة أنك ستخرج منه مثل لوحة لبيكاسو. أشار جوليان إلى سلّمٍ أقيمَ ليرتقيه سمكُ السلمون، وحاولنا أن نرى البعض منه، لكن الفترة ليست مناسبة.

وفي لحظة، كانت أمي تتحدث مع جوليان وكلوي، والتفتُّ فرأيتُ نُوِي يبتعد في اتجاه الأشجار، مائلاً نحو الأمام، وسرعان ما فهمتُ أنه يبحث عن خذروفه. ذهبتُ إليه، وبحثتُ معه أنا أيضاً، لكن المكان كان به صخور ونباتات، فلم يكن من السهل أن تعثر فيه على شيء. وأنتَ تعلمُ ما يُقالُ، إنما نجد عندما لا نبحثُ. حاولتُ، ذات مرة، أن أشرح ذلك للسيد هوك، أستاذ الرياضيات، لأنه لم يكن يفهم ألّا أُجريَ حساباتٍ لكي أعثُرَ على الحلّ. وكافأني على المجهود الذي بذلتُهُ في الشرح بساعتَيْ احتجازٍ عقوبةً على وقاحتي.

المهم، كنتُ شديدة التركيز في البحث لدرجة أني لم أنتبه إلى أننا نبتعد، لكن بعد مدة لاحظَ نُوِي ذلك وشعر بالخوف. حاولتُ أن أجد طريق العودة، لكنني أظنُّ أننا كنا نزداد ابتعاداً بسبب كثرة الأشجار. كان نُوِي يتطلَّعُ حوله، وكنتُ أُدرِكُ أنه قَلِقٌ، كان يتمايل بقوة من الأمام إلى الخلف، وعندئذ بدأتُ أرتاعُ أنا أيضاً. خصوصاً أن ذلك المكان كان يبدو مَسْكَناً للدِّببة. شرع نُوِي في الصراخ، كان يضربُ رأسَهُ بقبضته، ولم أكن أعرفُ ما ينبغي أن أفعله، كنتُ أحاولُ أن أكلِّمَهُ برقَّةٍ، لكن ذلك لم يكن يُغيِّرُ من الأمر شيئاً، كان يصيحُ، وكان قلبي يتألَّمُ لرؤيته على تلك الحال.

وفجأةً، تذكَّرتُ ما كان يفعلُهُ والدُهُ لتهدئته، كان أكبر مني

فالأمر مختلف، لكن لا بدَّ من ذلك، مهما يحدث، فوضعتُ ذراعَي حوله وضممتُهُ بقوة كبيرة. كان يحاول أن يتحرَّرَ من قبضتي، لكنني صمدْتُ. كان الأمرُ مُتعِباً، لكنني لم أطلقْهُ، وشيئاً فشيئاً، أحسستُ بجسد نُوِي يرتخي، صار يصيح بصوت أقل قوة ثم توقَّفَ نهائياً عن الصراخ. في تلك اللحظة وصل أبوهُ راكضاً، لا بدَّ أنه قد سمعَنَا. وفي الواقع لم نكن قد ابتعدنا كثيراً، لكن جهاز تحديد الاتجاهات لدي معطّلاً.

تعرَّضتُ لتوبيخ أمي، لكن جوليان قال لها إن الأمر لا يستحق. كنتُ آسفةً لأني لم أكن أكثر انتباهاً، لكنني مع ذلك كنتُ مسرورة بنجاحي في تهدئة نُوِي، فذاك يعني أنه يَقْبَلُني. أودُّ حقيقةً أن أراهُ من جديد بعد عودتنا، لم أكن أؤمِنُ بذلك كثيراً، لكنني سألتُ أباهُ عن مقرِّ سكناهما. لن تُخمِّنَ ذلك أبداً يا مارسيل! أرغبُ في أن أتدحرجَ إلى الخلف في الندى من شدة فرحي! يقطنون في موريه، قرب تولوز، يعني على بُعد عشرين دقيقة من بيتنا! سأتمكَّنُ من زيارته، وهذا يستحق عدداً كبيراً من علامات التعجب!!!!!!!!!!!!!!!

المهم، حدثت لي انفعالاتٌ كثيرة في هذا اليوم، لكن تصوَّر أننا صادفنا بعد ذلك، في الطريق، حيوان الرنّة. كان قد سبق لي رؤيتُهُ في قرية بابا نويل، لكنه في وضع الحرية أجمل. وختاماً، فقد عثرنا على خذروف نُوِي، كان محصوراً خلف كرسي الراكب في سيارة تخييمهم.

ها أنت ترى يا مارسيل، ينبغي أن يكون قلبي شديد الصلابة ليتحمَّلَ كلَّ هذا. أعتقدُ أنني الآن مستعدةٌ لأن يخبروني أنني ربحتُ في اللوتو.

قبلاتي الحارّة

ليلي

ملاحظة: فكرتُ، يجب أن يكون الاسم العائلي لزوجي في المستقبل كوبريستو.

# آنا

الدروس هي أحد الأمور الأكثر إرهاقاً في هذه الرحلة. كلّ صباح، تتذمَّرُ ليلي من إنجاز تمارينها، وتُحاجِجُني كلوي كي أتخلّى عن فكرة إلزامها بإعداد امتحان شهادة البكالوريا. وليس من النادر أن ينتهي الدرسُ بشجار. وهذا ما وقع هذا الصباح، وبصورة أكثر عنفاً من أي مرة سابقة.

- أنتِ تستحوذين على المكان كلِّهِ، تعاتب كلوي شقيقتَها، التي تكاد تتمدَّدُ فوق الطاولة.

لم تتحرّك ليلي، فاغتاظت كلوي.

- أتسمعينني؟ تصيح كلوي وهي تنقر بيدها على رأس ليلي. أنتِ لستِ وحدكِ، ليكن في علمكِ!

- اسكتي، إني أحفظُ درسي، تُغمغمُ ليلي.

- ماما، قولي شيئاً!

- ليلي، اتركي بعض المكان لأختكِ.

لا جواب، تبدو ليلي كأنها منغمسة في كتابها. أحاول أن أجد حلّاً:

- كلوي، ما عليك إلّا أن تنتقلي إلى السرير، ليس لديك ما تكتبينه، أليس كذلك؟

- هكذا إذاً! تحتجُّ كلوي. دائماً أنا من يجب أن تقوم بجهود! بصراحة، مللتُ من أن أمُرَّ دوماً بعد الفتاة المدلَّلة. . .

- ما تقولينه مجرد تفاهة، تردُّ عليها ليلي وهي ترفع رأسها، أنا لستُ بالفتاة المدلَّلة!

- اهدآ أيتها الفتاتان.

- أكيد أنكِ مدلَّلة، وأنتِ تعلمين ذلك، وتستغلين الأمر جيّداً! تستأنفُ كلوي، محمرة من شدّة الغضب. منذ اليوم الذي ولدتِ فيه، كان الأمر هكذا، مرتبتي دائماً بعد الأميرة ليلي!

- حسناً، كلوي، هذا يكفي، أنا ليس لديّ ابنة مدلَّلة مثلما تقولين، كُفَّا عن الشِّجار المستمر، هذا مُتعِبٌ.

- أوافق على أن أكفَّ عن الشجار، تردُّ ليلي، ولكن عليها أولاً أن تكفَّ عن أن تكون بليدةً.

تنهضُ كلوي وتنحني على شقيقتها.

- تقولين إنني أنا البليدة؟ يا لها من نكتة! مستوى ذكاؤكِ لا يفوق ذكاءَ الطحالب، أيتها المسكينة، لا تعرفين حتى كيف تخطّين كلمتين دون ارتكاب خطأ!

تقوم بحركات كبيرة، كأنها تمنح بذلك وقعاً أكبر لكلماتها. تنظرُ إليها ليلي دون أن تقول شيئاً.

- كلوي، يكفي. . .

- بلا هراء، لقد تعبتُ منكِ! أنتِ لا تفلحين إلّا في انتقاد أبي وتسليط الانتباه عليكِ: «أوه، ليلي، إنها جدّ لطيفة، وجدّ مرحة!» أتعرفين؟

تنظر إلى شقيقتها بنظرة ملؤها الكراهية. أدنو منها وأمسكُ ذراعها.

- كلوي، عليكِ أن تهدئي حالاً، إنكِ تقولين أشياء قبيحة ستندمين عليها. توقفي الآن.

لم تعد تنصتُ إليّ. تفتح فمها، أحسُّ بها تتردَّدُ، غير أنَّ الغضب أقوى.

- وددتُ لو كنتُ ابنةً وحيدةً. لو أنكِ لم توجدي.

- كلوي! أمنعُكِ من...

لا تهتمُّ بما أمنعها منه. غادرتْ سيارة التخييم، وتركتنا مثل شجرتَين استمرّتا واقفتين بعد العاصفة.

- أنا أيضاً، وددتُ لو أنني كنتُ ابنةً وحيدة، تُعلنُ ليلي، قبل أن تعود للغوص في درسها.

أتهالكُ فوق الأريكة، مغيظة.

كم وددتُ لو أنني لم أكن ابنة وحيدة.

بعد وفاة والدتي، كم من مرة تأسّفتُ لكوني لا أخ لديّ ولا أخت يشاركاني ذكرياتي. كم وددتُ ألّا أكون الوحيدة التي أتذكر قبلاتها التي كانت تتهاطل على عنقي عندما كانت تتمنّى لي ليلة سعيدة، والأصوات المختلفة التي كانت تتخذها لتحكي لي الحكايات، وكَعْبَيْ حذائها اللذين كان يتردَّدُ صداهما في باحة المدرسة، والكلمات الصغيرة التي كانت تدسُّها في محفظتي، ويدَها الرقيقةَ على خدّي. وكان أبي يبكي الزوجةَ، وجدّتي تبكي البنتَ. كم وددتُ لو أنَّ لديَّ أحداً أبكي معه «ماما».

بعد ذلك، بعد ذلك بمدة طويلة، علمتُ أنها كانت تنتظر ولداً. إنه الحمل الذي تسبّب في جلطة دموية.

لم أكن أرغب في طفل وحيد. فتاة، أو ولد، أسمر أو شقراء، عينان زرقاوان أو بنّيتان، لم يكن ذلك يهمُّني كثيراً. لم يكن لديَّ

سوى أمنيتين اثنتين: أن يكون لديَّ طفلان على الأقل، كي لا يكونا أبداً وحيدَين في الاحتفاظ بالذكريات، وألّا أموتَ قبل أن يصلا سنَّ اندمال الجراح دون مساعدة الأم.

تتشاجران، وتتقاتلان، وتتنافران، لكنهما تتحابّان، إنهما غير وحيدتَين.

آخذُ الهاتفَ وأغادرُ سيارة التخييم. تداعبُ الشمسُ الجبالَ. سنصل، هذا المساء، إلى جُزر لوفوتن، ذلك الأرخبيل الشهير بمناظره الساحرة، ويبدو أنَّ الجوَّ الجميل عازمٌ على مرافقتنا.

أُطلقُ المكالمةَ، فيهدِّئني صوتُ جدتي في الحال. يبدو أنها سعيدة بسماع صوتي.

- كيف حالكِ، ابنتي؟

- أنا بخير جدّتي، آسفة لأني لم أتصل بكِ مدة أسبوع، الأيام هنا حافلة جدّاً!

ومثل كل مرة أكلِّمها في الهاتف، أحكي لها المراحل الأخيرة، وأصفُ لها المناظرَ التي عرفَتها في صباها. تُنصتُ إليَّ بانتباه، أكاد أرى ابتسامتها على شفتيها الرقيقتين.

- كيف حال الفتاتين؟ تسألني.

- أظنُّ أنهما بخير، كلوي صارت تُكلِّمني أكثر فأكثر، إنها شديدة العصبية، لكنني أعتقد أن ذلك جزء منها، إنها تعيش كلَّ شيءٍ بكثافة.

- أتساءل عمّن ورثتْ ذلك! تمازحني جدّتي.

- هذا أكيد، إنها تشبهني كثيراً، أكثر ممّا كنتُ أظنُّ. لكن، على العكس منها، كانت مراهقتي سهلةً.

- آه أجل، هذا صحيح!

وددتُ لو أنني عشتُ أزمةَ مراهقةٍ متفجّرة، أن أتمرَّدَ، وأعارضَ، وألفتَ الأنظار إليّ، وأن أختبر نفسي، وأن أغلط، لكنني لم أسمح لنفسي بذلك. لا ضجيج، ولا أمواج، كنتُ أتضاءلُ كي أُنسى. ألّا أزيد في أي أمر. وأن أتحرّكَ على أنامل رجليّ. كانا قد عانَيا كثيراً. كُنّا قد عانينا كثيراً.

- والصغيرة ليلي؟ تسألني جدتي.

- تقرّبتْ من ولد صغير، نُوِي. يبدو أنها تعلَّقتْ به كثيراً، أظنُّ أنها تستمتع بالرحلة. المهم، يبدو أنهما في أحسن حال، لكنهما تشاجرتا منذ قليل ورَمَتْ كلٌّ واحدة الأخرى بأفظع الكلام. أعرف جيّداً أن الأمر عابرٌ، وأن هذا يحدثُ بين شقيقتين، لكن ذلك، يكسر قلبي، في كل مرة.

- ابنتي، إنهما ملزمتان بالعيش معاً أربعاً وعشرين ساعة على أربع وعشرين، فإن لم تتنابشا، فإن الأمر سيكون مقلقاً!

- الحقُّ معكِ. على الأقل، إنهما تتفاعلان، وهو الأمر الذي لم يكن يحصل في البيت. وأنتِ، كيف حالكِ جدَّتي؟

تضحكُ.

- أوه أنا، أنتِ تعرفين، كلُّ يومٍ هو هديّة إضافية، فلن أشتكي! لكن لنتحدَّثْ عنكِ أنتِ. هل وجدتِ ما رحلتِ تبحثين عنه؟

أصمتُ برهةً، لم أكن قد طرحتُ السؤال على نفسي بتلك الصيغة. هل وجدتُ ما رحلتُ أبحث عنه؟

- أدنو من ذلك جدَّتي، أدنو من ذلك.

# أخبار كلوي

سألتني أمي إن كنتُ أعتقد ذلك حقّاً. أجبتها أن الأمر غير صحيح، كي لا أجعلها تُحسُّ بالذنب، لكنني، في الحقيقة، أعتقد حقّاً أنها تُفضِّلُ شقيقتي عليَّ. إنها تُخفي ذلك جيّداً، حتى أنني لا أجد أيَّ دليل وإن استقصيتُ في البحث. لكنني أعلم ذلك في قرارة نفسي، لأن الأمر لا يمكن أن يكون غير ذلك. ليلي ودودة أكثر مني. لديها طبعٌ لطيف، ومزاجها رائقٌ دائماً، وظريفةٌ، إنها كلّ ما لستُ أنا. إنها الطفل الذي تحلم به كلُّ أُمٍّ.

كونوا صادقين: لديكم زوجان من الأحذية، أحدهما مريحٌ، وجميلٌ، ومعاصرٌ، والآخرُ غير مريح، وقبيح، وفاته الزمنُ. أيهما ستحبّون أكثر؟

- أنت تعلمين ألّا تفضيل لديّ؟ ألحَّتْ أمي.

- أعلمُ، ماما، أعلم.

عندما مررتُ بجانب ليلي، قلتُ: «أنا آسفة»، فتظاهرتْ كأنها لم تكن تسمعني.

أنا أيضاً، لا أتمكن من ألّا أحبَّها. لا أعرف هل ذلك بسبب أنها شقيقتي، ربما نكون مبرمَجين على تقدير الأشخاص الذين هم من دمنا، على الرغم من أنني أعرف نماذج كثيرة من حولي تُثبِتُ

العكسَ. إذاً، ربما يكون ذلك بسبب أنها هي.

كنا قد وصلنا إلى لودينجن، على جزيرة هينويا، بعد أن سلكنا سُبُلاً ضيِّقةً متعرِّجة تحُفُّها جبالٌ وشلالاتٌ. صحيحٌ ما يُقالُ: في اسكندنافيا، الطريقُ لا يقلُّ جمالاً عن الوجهة. كانت الريح قد طردت السُّحُبَ، والمنظرُ ثلاثيّ الألوان: أزرق، وأخضر، وأبيض. كانت أمي متعبَةً من طول السياقة، فكانت ترتاحُ قبل أن تذهب لزيارة النواحي، وكانت ليلي تكتب في دفترها الأحمر، فخرجتُ لأتمشّى قليلاً. كان جوليان ونُوِي قد ذهبا للاستمتاع بمنظر العَبّارات، ولم يكن فرانسواز وفرانسوا ومارين وغريغ قد وصلوا بعد. وكان دييغو جالساً على كرسيٍّ، تحت أشعّة الشمس.

- إدغار ينامُ القيلولة، أخبرَني وهو يقترح عليَّ أن يتنازل لي عن مكانه.

رفضتُ وجلستُ القرفصاء على الأرض.

غريب كيف أننا، في بعض الأحيان، نشعرُ بالقرب من أشخاصٍ لم نتبادل معهم سوى كلمات قليلة. هذا حالي مع دييغو. لديه شيءٌ في نظرته، حزنٌ شفيفٌ، يُوَلِّدُ الرغبةَ في أن أحبَّهُ. عبَّأَ غليونه، وأشعلَ التبغَ وهو يسحبُ الدخّانَ مرّاتٍ عديدة وأطلقَ دخاناً كثيفاً أبيض.

- أتلقّى قصائد مجهولة، قلتُ لأبدأ الحديث.

تفحَّصني، وكانت عيناهُ ترتعشان.

- تلقيتُ منها ثلاثاً، يكتبها أحدُهم ويدُسُّها تحت مقبض باب سيارة التخييم، لكنني لا أعرفُ من هو. في البداية، كنتُ أظُنُّ أنها مزحة، لكنني لستُ واثقةً من ذلك.

- ماذا تقول تلك القصائد؟

- إنها جدّ قصيرة وساذجة بعض الشيء، إنه شخص يعترف لي بحبِّهِ. إنه واحد منّا بالضرورة. ألديكَ فكرة؟

عقد حاجبَيه، وانحفرتْ تجاعيدُ وجهه أكثر.

- لديَّ فكرة، أجل، لكنني أحتفظُ بها لنفسي. لم أملكْ أبداً روح واشٍ. لكنني لا أظنُّ أنَّ الأمر مزحة، إنه شخص يجرؤ على تحقيق حلم.

هززتُ رأسي، فاستأنف كلامه:

- ألديكِ أحلامٌ، يا صغيرتي؟

- ماذا تقصد؟

- ألديكِ أحلامٌ في الحياة؟

- لديَّ أحلامٌ عديدة، أجبتُهُ دون تفكير.

- ما هي؟

- أودُّ أن أعثر على توأم روحي، وأن يكون لديّ أطفال وأن أعيش سعيدةً معهم.

ابتسم، وجذب نَفَساً طويلاً من غليونه وأطلقَ الدخان. كانت رائحتُهُ المشوبةُ برائحة الكراميل تُحدِثُ نوعاً من الاطمئنان للنفس.

- ليس لديكِ حلمٌ شخصيٌّ؟ حلمٌ يَخُصُّكِ أنتِ وحدكِ؟

لم أضطرَّ للبحث طويلاً قبل أن يفرض الجوابُ نفسه.

- أودُّ أن أعيش في أستراليا.

- إذاً عليكِ أن تذهبي إلى هناك.

- لا أستطيعُ. أمي في حاجة إليّ هنا، يجب أن أكسبَ المالَ، وبذلك أستطيعُ أن أساعدها. إذا تحسَّن وضعُها يوماً ما، عندئذ سأنظُر في الأمر.

تنهَّدَ.

- لا أعرفُ أمَّكِ كثيراً، صغيرتي، لكني أعرف ما يكفي لأعلم هذا الأمر: لا يمكن لأُمٍّ أن تكون سعيدةً إذا كان أحدُ أطفالها غيرَ سعيد.

كان ينظر إلى الفراغ وهو يبتسم ابتسامة غائمة.

- أتعلمين، كنا نريد، أنا ومادلين، أن يكون لدينا ثلاثة أطفال، لكننا لم نُرزَقْ سوى بطفل واحد، وهذا حظٌّ في حدِّ ذاته. دلّلناهُ، وكان عالمنا يدور حوله. كنَّا، مدة عشرين عاماً، أبوين، ولا شيء غير أبوين. لم يجعلنا ذلك تعيسَين، على العكس، كان ذلك الطفل يكافئ حبَّنا بحبٍّ يضاعفُهُ مئة مرة، كان بهيجاً، وحنوناً، وظريفاً، وكريماً... في العشرين من عمره، أخبرنا أنه سيرحل للعيش في كندا، فانهار عالمُنا. وقعت مادلين في حالة اكتئاب، وأنا، بحثتُ عن طريقة للحاق به: كنا نحتاجُ إلى عمل، وشقّة، لم يكن الأمرُ معقَّداً. غير أن الطبيبة النفسية التي كانت تعالج مادلين هي التي جعلتنا نُغيِّرُ رأينا. إنَّ أطفالنا ليسوا ملكاً لنا، نحن مثل عصيّ النباتات الذين يساعدونها على النموّ. الطفل الذي ينطلقُ في حياته هو مكافأة. أكيد أن الأمر لم يتحقق بين ليلة وضحاها، كان صعباً ألّا نراهُ كلَّ يوم، وكان علينا أن نجد أهدافاً جديدةً، وانشغالاتٍ جديدةً، لكن السعادة كانت في أن نراهُ يصيرُ رجلاً سعيداً.

عاد إلى الصمتِ وانغمسَ في أفكاره.

- لا يزال يعيشُ في كندا؟ أسألُهُ.

- أجل. يودُّ أن أذهبَ للعيش عنده، لكنني لا أريد.

- لماذا؟

ثبَّتَ وضع نظارته الشمسية فوق نظارته الطبية.

- لأننا لا ننجبُ أطفالاً لنصير أطفالهم.

# آنا

اشتريتُ خمس دمى صغيرة من جنّيات الترول من متجر بسفولفاير. إنها التذكارات الشائعة التي تجدها في جميع أنحاء النرويج. ستوضعُ الأولى في الصالة، قرب التلفاز، واثنتان مرصودتان لأبي وجانيت، والأخيرتان هما لابنتَيّ. جنّيٌّ مرحٌ ذو شعر متطاير خاص بليلي، ومحارب من أجل كلوي. كنتُ، بشكلٍ تلقائي، قد انتقيتُ دميتَين متطابقتَين، كي لا تجدا في الاختلاف أيَّ تفضيل. لكنني تراجعتُ عن ذلك.

كنتُ حريصة دائماً على أن أعدلَ بينهما في العطاء. أتحرّى أن أمنحهما هدايا ذات قيمة متساوية في أعياد ميلادهما، وألّا أقضي وقتاً أكثر مع واحدة منهما دون الأخرى. كنتُ أحسبُ اهتمامي مثلما يُحتسَبُ الوقتُ المخصَّصُ لكلام مرشّح للرئاسة. فقد عانيتُ من إحساس الهجر كثيراً، لدرجة أني اجتهدتُ ما أمكنني الاجتهادُ كي لا تحسَّ ابنتاي بذلك الإحساس. لكنني فشلتُ. قرأتُ، ذات يوم، أن الأطفال الأكبر سنّاً يشعرون دائماً بأنهم في منافسة مع الأطفال الذين يتلونهم، وأنَّ ذلك أمرٌ لا مفرَّ منه، مهما فعلنا. أعتقد أن لي نصيبي من المسؤولية، فقد أكون لم أتمكّن من الحفاظ على فردانيتهما بسبب إصراري على منحهما المساواة.

كلوي وليلي مختلفتان. فستكون لهما دميتان مختلفتان.

يرنُّ هاتفي في اللحظة التي أخرج فيها من المتجر. أنزعُ القفازين وأغوص بيدي في جيب معطفي. أترَدَّدُ في الإجابة عندما أرى الاسم على الشاشة، لكن ذلك سيكون، مثلما قد تقول ليلي، أن أتراجعَ من أجل أن أضرب الحديد بشكلٍ أقوى.

- مرحباً، ماتياس.

- مرحباً، آنا، يقول موشوشاً. أنتِ بخير؟

- ماذا تريد؟

- أن نجد حلّاً، لا أريد الحرب. لا أريد سوى الخير لابنتَيّ.

أصمتُ برهةً كي أهدأ.

- ماتياس، ليس لديّ حتى الرغبة في أن أتناقش معك، الأمر صار هذياناً.

- لا وجود لأيِّ هذيان، أنا مجرد أَبٍ قلقٍ على ابنتيه.

أودُّ أن أصرخ. أتنفَّسُ عميقاً.

- أتعلمين؟ يستأنف كلامه، لو أنَّكِ تسمحين لي بالعودة، لما وصلنا إلى كل هذا.

- أنتَ تصيبني بالاشمئزاز. لا تهمُّكَ الفتاتان في شيء، إنما تُفكِّرُ في مصلحتكَ فحسب. تبّاً، مرَّتْ سبعةُ أعوام، ألا تستطيع أن تنصرف إلى أمر آخر؟

يظلُّ صامتاً فترة طويلة. أتوقَّفُ عن المشي وأنقلُ الهاتف إلى اليد الأخرى. يدي ترتعش. يصلني صوتُهُ أقسى عندما يستأنف كلامه:

- كما تشائين. سأتصلُ بمحاميتي وأطلب منها أن تبدأ الإجراءات. ستخسرين، لا ترتابي في الأمر، أملكُ الوسائلَ

والحججَ لأبرهنَ على أنني أفضل منكِ والداً للبنتين. ثم بعد ذلك، سأتصلُ بالبنتين وسأخبرهما أنكِ ترغمينني منذ سبع سنوات على أن أكذب عليهما. كيف تظنين أنهما ستستقبلان الأمر، حبيبتي؟ كيف سيكون ردُّ فعلهما في رأيكِ، عندما ستعرفان أنهما، لولاكِ، لتمكَّنتا من أن تريا أباهما أكثر؟

أبتلعُ ريقي، فَيَلْفَحُ حنجرتي. إنَّ تخيّل شفتيه المتقلّصتين وهو يتلفَّظُ بتلك الكلمات يُشعرني بالغثيان. أسمعُ تنفُّسَهُ المتسارعَ، وهو يترقَّبُ ردَّ فعلي. ينتظر خوفي.

- كما تشاء ماتياس، أجيبُهُ أخيراً وأنا أحاول أن أتحكَّمَ في اهتزاز صوتي. لكن إن أنتَ قلتَ لهما الحقيقة، سأكون مضطرةً لأقول لهما الحقيقة بدوري.

# ليلي

27 مايو

أوه لا لا مارسيل، لن تصدِّق! لن تُصدِّق أبداً ما شاهدتُهُ اليوم، قرصتُ يدي بقوة لأتأكَّدَ من أنني لستُ أحلم لدرجة أنني كدتُ أخلع وريداً. لكن لا يهمُّ، ما دمتُ قد شاهدتُ حِيتاناً!!!!

ماذا بك، كنتُ أعتقد أنكَ ستقفزُ من الفرح!

هيّا، سأحكي لكَ. مساء البارحة، كنتُ أقرأُ حكايةً لنُوِي (كانت نرويجية، فلم أفهم كثيراً)، سمعتُ أباهُ يشرحُ لفرانسواز وفرانسوا كيف يجب أن يتصرّفا ليشاهدا الحِيتان. فهزَّني الأمرُ، وأنصتُّ جيّداً، ثم بعد ذلك، نقلتُ كلَّ ما قاله لأمي، غير أنها أفسدتْ فرحتي. ألخِّصُ لكَ الأمر: يبدو أن ذلك باهظ الثمن ونحن جدّ فقراء، فالأمران لا ينسجمان. لكن لم يكن وارداً نهائياً ألّا نذهب إلى هناك، قد تكون تلك هي المرة الوحيدة في حياتي التي سأقترب فيها من حيتان، فلن أصادفها بالتأكيد في شوارع تولوز، أو إنها لن تكون على أحسن حال.

توسَّلتُ، ورقصتُ رقصة الإغواء مثل الطيور، بل إنني اقترحتُ أن أبيع إصبعَيّ الأصغرين للحصول على المال، فأنا لم أفهم أبداً فائدتهما. ومن ثمَّ، فهمتْ أنني مصمِّمةٌ على ذلك حقّاً، فوافقتْ.

بعد ذلك، سألتني إن كنتُ أفضِّلُ أن أُخَدَّرَ قبل أن يُقطَعَ إصبعايَ، فظننتُ أنها جادَّةٌ في كلامها، ولم يكن الأمر مضحكاً.

عبرنا جُزرَ لوفوتن على متن حافلة صغيرة إلى غاية الأندين، كان الطريقُ جميلاً، لكنني لم أكن أفكِّرُ إلّا في الحيتان. مُنِحْنا بدلةً بحرية قبيحة، لكنها كانت تحمينا من البرد، والماء، والريح. أستطيعُ أن أقول لكَ إنَّ جاك، لو كان له مثلها، لما مات في فيلم **تايتانيك**، لكن ليس من المؤكَّد أنه كان سيفوز بقلب روز. صعدنا إلى مركب صغير، أخبرتنا أمي أنه من نوع زودياك، أتذكّرُ ذلك لأنني تساءلتُ عن سبب تسميته بذلك الاسم، ربما كان الذي اخترعه مولَعاً بخريطة الأبراج. كنّا ثمانية، كان الآخرون زوجاً إنجليزيّاً رفقتهما ثلاثة مراهقين، وأعتقد أنَّ كلوي إنما أَرغَت لذلك السبب عندما كان عليها أن ترتديَ البدلة البحرية.

كنتُ أرتابُ في كوني أعاني من دُوار البحر منذ كدتُ أتقيّأُ بسبب طريقة أمي في قيادة السيارة، لكنني هذه المرة لم أكدْ فحسب. كان هناك الكثير من الموج الصغير، وهي مثل العلامات السيّئة في المدرسة، واحدةٌ ضخمةٌ أفضل من صغيرات كثيرات. وكانت الريحُ باردةً، وفي البعيد كنّا نشاهد الثلوج فوق الجبال، ينبغي أن يُقال للنرويجيين إن فصل الصيف قد اقترب. وبعد فترة من الزمن، أوقفَ ماغنوس المركبَ، كانت هناك أجنحة عديدة تتقدَّمُ بشكل متزامن، يبدو أنها كانت نصف دلفين ونصف حوت، كان الأمرُ غريباً، كأننا في ربورتاج. نظرنا إليها مدة طويلة، لم نكن نشاهد سوى ظهورها، لم تشأ أن تُظهِرَ البقيّة. بعد ذلك، تلقّى ماغنوس رسالةً فانطلقنا إلى البعيد، تقيَّأتُ من جديد، وداعبتْ أمي ظهري وألحَّتْ عليَّ كي ألوكَ علكة.

مارسيل، أأنتَ مستعد؟ سأحكي لكَ اللقاء. رأيتُهُ قبل أن يتوقف المركبُ. أطلقَ رشقتَهُ، يعتقد الكثيرُ من الناس أنها رشقة ماء، لكنني شاهدتُ أفلاماً وثائقية كثيرة حوله وأعرف أن ذلك غير صحيح، إنما هو غاز وبخار الماء. كان المشهد ساحراً، ومبهراً، وعجيباً، وفي الحقيقة لا أجد كلمات يمكن أن تصف ذلك. كان المشهدُ، وهذا كلُّ شيء.

لم نكن نرى سوى ظهره، وكان يبدو كأنه ثابتٌ في مكانه. لم نكن نبعد عنه سوى أمتار قليلة، وكنتُ أودُّ أن أرتمي في الماء لأسبح معه، لكن يبدو أنَّ أمي ارتابت في الأمر، فقالت لي إنَّ الماء أشدُّ برودة من الهواء. كان الحوتُ ينزلق ببطء وفجأةً غاصَ، وانتصبَ ذيلُهُ ثوانيَ معدودةً خارج الماء. كانت تلك الثواني الأجمل في حياتي يا مارسيل، كدتُ أبكي، أتتصورُ ذلك!

ثم، شاهدنا حوتاً آخر، وثالثاً في أثناء عودتنا. أُقسِمُ لكَ، إنها لا تزال في رأسي وأرجو أن تظلَّ داخله. وفي جميع الأحوال، إنها أضخم من أن تخرج من أذني.

أخبرتُ أمي أنني أريدُ أن أعمل، فيما بعد، مع الحيتان. ضحكتْ من الأمر. لستُ أدري في أيِّ سِنٍّ نفقدُ أحلامنا، لكنني أرجو ألّا يحصل لي ذلك أبداً.

هيّا، أتركُكَ، يجب أن أذهبَ لأحكي هذا لنُوِي.

مودَّتي

ليلي

ملاحظة: يبدو أن الناس، في إنجلترا وفي النرويج، يتّخذون الملامح نفسها، مثلنا، عندما يندهشون.

# آنا

اقترحَ عليَّ مارين وغريغ أمسيةَ تاروت جديدة، ولم تحسن كلوي وليلي إخفاء فرحهما بالتخلُّص مني. تظاهرتُ بأنني لم أستأ من ذلك.

كانا منهمكَين في محادثة عبر الفيديو عندما ولجتُ سيارة تخييمهما. تتحدَّثُ إليهما، على الشاشة، امرأةٌ، فوق ركبتيها طفلٌ يرتدي منامةً.

- إنها بنت عمّتها بولين، يهمس لي غريغ وهو يشير لي أن أجلس.

لا تستمرُّ المحادثةُ طويلاً، لكني أتمكن من أن أسمعَ بولين تبتهجُ بخبر حمل مارين.

- كم أنا سعيدة من أجلكِ! سترين، سعادة بحتة، وستكونان والدَين رائعَين!

- سيكون لي ابن خالة؟ يسأل الولدُ الصغيرُ بصوتٍ رقيق.

- أجل، يا جول، ابن خالة أو بنت خالة! تقول مارين.

- أنا، أُفضِّلُ ابن خالة!

ينخرطُ الجميعُ في الضحك، ثم تُخبرهما بولين عن أحوالها بكلمات قليلة، عن دروس الرقص الأفريقي التي تُفيدُها كثيراً، وعن

ابنها الذي يجد دائماً عذراً مناسباً ليلحق بها في السرير كلَّ ليلة، وعن رحلة والديها إلى البهاماس، وتنتهي المحادثة بوعد من القريبتين بالاتصال ببعضهما قريباً جدّاً وبقبلة مسموعة من الطفل الصغير.

- أترغبين في شاي أعشاب؟ تقترح عليَّ مارين، ويداها تداعبان بطنها.

أبتسمُ، فتنتبهُ إلى حركتها وتنهضُ لتسخين الماء، فيغمزني غريغ بعينه.

- لا تريد أن تعترف بالأمر، لكنها تُحبُّهُ منذ الآن.

تهزُّ مارين رأسها وهي تحاول أن تمنع البسمة عن شفتيها.

- مجرّد هراء! لقد بحثتُ في غوغل، لا يبلغ حجمه حتى خمسة ميليمترات، كيف تريدني أن أحِبَّ شيئاً في حجم نملة؟

- أسجّل فقط أنكِ بحثتِ الأمر في غوغل، يردُّ عليها غريغ. هل بحثتِ أيضاً عن أفكار حول الأسماء؟

يحمرُّ وجهها. ويُقهقهُ غريغ.

- حسناً، ربما، تعترفُ مارين. قد أكون اعتدتُ قليلاً على فكرة أن أصبح أمّاً. ليس أمراً يستحقُّ كثيرَ كلام! آنا، قطعة سُكَّر واحدة؟

- أجل، شكراً! أتدرين، بنتُ عمّتك على صواب، لم أعرف أبداً سعادة أكبر من تلك التي عشتُها مع ابنتَيّ. أحياناً، يكفي أن أنظر إليهما ليطفح قلبي بالبهجة، أمر لا يمكن تفسيرُهُ.

- نعم، نعم، تقاطعني مارين وهي تضع فنجاناً ساخناً أمامي. لا تحاولي أن تحشريني في موضوع آخر لتفادي الموضوع الذي يخصُّكِ. إذاً، كيف حالُكِ مع جوليان؟

يبتسمُ لي غريغ مبدياً أسفه. وأسألُ ببراءة:

- ماذا تقصدين بقولكِ، مع جوليان؟

- كُفّي عن تمثيل دور المتحذلقة! ليست لديّ مواهب كثيرة، لكنني أعرف كيف أرصُدُ نشوء علاقة بين شخصَين. وهنا، تفوحُ رائحةُ الانجذاب على بُعد أميال!

أبتلعُ جرعةً حارقةً. وتُنقذني ثلاث طرقات على الباب من ارتباكي. يفتحُ غريغ البابَ لجوليان، الذي يندفع إلى الداخل متبوعاً بهبّة هواء بارد.

- انتظرتُ إلى أن نام نُوِي نوماً عميقاً، يوضِّحُ جوليان وهو يضعُ على الطاولة هاتف مراقبة الطفل. إذاً، مستعدّون للخسارة؟

نُوالي جولات اللعب، والضحكَ المجنون، وتبادلَ الأسرار إلى أن يفرض النومُ نفسه. فعندما تنام مارين جالسةً، وورقُ لعبها بين يديها، يكون قد حان وقتُ الافتراق. كنتُ منشغلة بتثبيتِ قبَّعتي على رأسي فإذا بها تطفو من نومها، دون أن تنتبه إلى أنها كانت غائبة.

- هل ربحتُ؟ تسأل.

- أكيد! يكذب عليها جوليان وهو يغلق معطفه.

تشعر بالرضى، وتنهضُ وتحيطُ عنقي بذراعيها لتقبِّلني.

- ستكونان رائعَين معاً، تهمسُ لي.

أضعُ قبلة على خدِّها وأقفزُ داخل الضباب البارد.

- انتظري، سأرافقُكِ، يقترح جوليان وهو يدسُّ ذراعه تحت ذراعي.

سيارةُ تخييمي مركونة في أقصى الباحة. نتمشى ببطء.

- وإذاً، يستفسرني، ألم تندمي على قبولك السفر مع المجموعة؟

- بلى، من الصعب مجاورة أناس لا يُحتملون.

- أنتِ على حقّ. مارين وغريغ على وجه الخصوص، فهما كريهان جدّاً.

- لا أستطيع رؤيتهما. لكن الأدهى، يبقى هو المنظِّمُ، ما اسمه بالمناسبة؟

يهزُّ رأسه باقتناع.

- آه أجل، ذلك الشخص الذي يرافق ابنه، جوليان! أنا متفقٌ معك تماماً، ذاك شخصٌ لا أحتمله أنا أيضاً...

- إنه شخص كريه، يحرص دوماً على إسداء الخدمات. من هم هؤلاء الناس الذين يريدون أن يساعدوا الآخرين بأيِّ ثمن؟ هذا فظيع.

- أجل. ينبغي إعادة إقرار الحكم بالإعدام.

أُقهقِهُ ضاحكة. نصلُ أمام بابي. يغلِّفنا الضبابُ مثل قطن. يلتفتُ جوليان نحوي دون أن يترك ذراعي.

- لقد سمعتُ ما قالت لكِ مارين، يهمسُ.

يفاجئني الأمرُ، فأُتمتمُ:

- لقد أقنَعَتْ نفسَها بالأمر. لستُ أدري...

- ربما أنها ترى أشياء لا يراها الآخرون، يقول وهو يتفحّصني.

ينطلقُ قلبي راكضاً. أستلُّ ذراعي برفق.

- ليلة سعيدة، جوليان.

- ليلة سعيدة، آنا. أحلاماً جميلة.

وعندما تمسكُ يدي مقبض الباب، أُحِسُّ بِيَدِ جوليان تداعبُ خدي برقّة. أفتحُ البابَ وأقفلُ على نفسي في سيارة التخييم، وجسمي كلُّهُ رعشاتٌ.

مكتبة
t.me/t_pdf

# أخبار كلوي

طلب مني فرانسوا أن أساعد لوي على إنجاز تمارين التعبير الكتابي. أختُهُ غير موهوبة في الفرنسية، لكن أمي تباهتْ بنتائجي الجيّدة. لم تكن لديَّ رغبة في أن أقضيَ شطر النهار رفقة طفل ذي تسعة أعوام، إلى أن اقترح عليَّ والدُهُ أجرةً محترمة. لا تكلِّفُ رغبتي مبلغاً باهظاً.

جلسنا في سيارة تخييمهم، وأخرج لوي دفتره وفتحه على الصفحة الأخيرة. كانت قصيدة للشاعر بريفير تنتظر تخيُّلَ تتمة لها.

- ماذا تريد أن تحكيَ؟ سألتُهُ.

كان ينظر إليَّ بعينيه السوداوين الواسعتين كأنه لا يفهم سؤالي. وكانت الأفكارُ تتزاحم في رأسي، كنتُ أودُّ أن آخذ القلم وأن أحلَّ محلَّهُ، وأُكمِلَ القصيدة، وأن أكتبَ قصائد جديدة.

- لستُ أدري، أجابني.

- هل فهمتَ القصيدة؟

حرَّكَ الولدُ رأسه نافياً وهو يحمرُّ. كنتُ في سنِّهِ أملأُ دفاترَ التسويد بأفكاري. وعندما كان الأساتذة يسألونني عمّا أريد أن أعمل في المستقبل، كنتُ أجيبُ: «كتابة القصص».

شرحتُ للوي المطلوبَ منه وشرعَ يكتبُ وهو يُخفي كلماته بذراعه.

نظرتُ حولي. كانت لويز، مستلقية على بطنها فوق السرير، تشاهد سلسلة على هاتف والدها. وفرانسواز تقشّر الجَزر وتقطّعها إلى شرائح مستديرة.

كان والدايَ يطبخان معاً. عندما يعود أبي من العمل، يلحق بأمي في المطبخ، ويخلع سترته وربطة العنق ويُشاركها في إعداد العشاء. وكنتُ أجلس إلى جانبهما وأُنصتُ إليهما يحكيان لبعضهما كيف قضيا نهارهما. كانا يضحكان كثيراً. وكان أبي كثيراً ما يأخذها بين ذراعَيه ويُقبِّلها، ويذيقان بعضُهما بعضاً من الأطباق. استعدتُ تلك الصور مراراً وأنا أغمض عينَيّ في المساء، قبل أن أستسلم للنوم. كنتُ أحاول أن أعثر على سبب. لا تستطيع فتاة صغيرة ذات العشرة أعوام أن تفهم كيف لوالديها أن يفترقا بينما كانا يُقبِّلان بعضُهما بعضاً البارحة.

طرحتُ أسئلةً، لكن الإجابات ظلت غامضة. بقيتُ مدةَ شهور، كلما سمعتُ صوت المفتاح في المزلاج، أتمنى أن يكون أبي يعود إلى البيت. كنتُ أرغبُ في أن أسمع صوته في الصالة، وأن أرى سترته موضوعة فوق ظهر الكرسي، كنتُ أريد أن أشمَّ رائحة عطره في الحمّام. كنتُ أريد أن تعود أسرتُنا مكتملة من جديد.

كان عمر ليلي خمس سنوات، فلم تكن تُدركُ من الأمر شيئاً. لم أسمعها أبداً تسألُ عن بابا. لم أرَها أبداً تبكي. أتذكَّرُ بعض نوبات الغضب، حيث كانت تستيقظُ في الليل وهي تصرخ، وكانت تضربُ رفيقاتها في المدرسة، وتعترضُ على أمي، لكن ذلك لم يدم طويلاً.

إنني لم أفهم إلى اليوم سبب فراقهما، لكنني تخلَّيتُ عن فكرة رؤية بابا وماما يُذيقان بعضُهما بعضاً من الأطباق ضاحكين.

- أنهيتُ العمل!

أدارَ لوي دفتره نحوي، باديَ الرضى. كان يبدو أنه قد فهم المطلوب، فتتمة القصيدة كانت منسجمة، والقوافي في محلِّها، وكانت الكتابة...

الكتابة.

قلم لبدي أزرق.

صعد الدَّمُ إلى وجهي. لم يكن لديَّ أيُّ شكٍّ. كان شاعري الصغير المجهول، يجلس قبالتي، على شفتيه ابتسامة واسعة، ينتظر رأيي في سطوره.

# آنا

عندما انطلقنا في رحلتنا منذ شهرين تقريباً، كنتُ قد أضفتُ إلى قائمتي الذهنية للأنشطة التي أودُّ أن أقوم بها، قوارب الكاياك في الفيورد[1]. كان حلماً من ذلك النوع الذي نقول عنه إنه لن يتحقق أبداً، مجرد جنون.

هو جنون.

ها نحن فيه.

قبل أن نذهب، سألتُ ابنتَيّ من منهما تريد أن تركب معي. كلٌّ واحدة منهما أشارت إلى الأخرى. ركبنا البحر عندئذ على متن مراكب فردية وها أنا أحاول، وحدي، أن أُدَجِّنَ المجذافَ منذ عشر دقائق.

تسيرُ ليلي في المقدمة، تتقدَّمُ بإيقاع جيّد كي لا تبتعد عن المُرشِد وعن باقي المجموعة. يُخلِّفُ كاياكُها مساراً متموِّجاً يشُقُّ ماءَ بحر النرويج الشفيف.

كلوي قريبة مني. لا بدَّ أنها قد أشفقتْ عليَّ عندما رأت أنني أتقهقرُ بدل أن أتقدَّم. تنعكس الشمسُ على ضفائرها الحمراء، ولا تكفُّ عن التعبير بحماس عن متعتها.

---

(1) Fjord: وادٍ جليدي مغمور بمياه البحر في إسكندنافيا والنرويج. (المترجم)

- انتظري، أريد أن ألتقط صوراً، تُعلنُ وهي تضع مجذافها على عرض الكاياك.

تخرج آلة التصوير من محفظتها المقاوِمة للماء.

- احذري من السقوط.

- لا تقلقي، أتحكَّمُ في الوضع.

قاربانا الكاياك متوقِّفان، ويعوِّضُ الصمتَ صوتُ المجذاف الذي يغوص في الماء. الصمتُ المطلق. الصمتُ المقلقُ. ينبض قلبي في أذنَيّ، وينتشر النملُ في خدَّي. حولنا، تدور الجبال القاتمة، معتمرةً قبّعاتها البيضاء. ينعكس المنظر في الماء الكامل الملاسة. نحن في منتهى الصغر. وأنفاسي تتسارعُ.

**- وماذا لو أطلقتُ أزمةَ فزعٍ صغيرةً، هنا، الآن؟ يقترحُ دماغي العاطفي.**

**- لا شكراً، لا حاجة، يجيبُ دماغي العاقل.**

**- كيف لا، إنها في عرض البحر، وسط جبال مهدِّدة، بعيدة عن الكلّ. هذا هو الوقت الأمثل!**

**- هذا لطفٌ منك، لكنها تحاول أن تتوقف.**

**- فات الأوان! لقد أرسلتُ النملَ إلى الأصابع، والفوضى إلى دقات القلب.**

**- إذاً سيكون عليك أن تُصدر إليهما الأمر ليعودا من جديد، لأنها لن تسمح لهما بالمرور.**

**- هذا ما سنراهُ! أنتَ تعلمُ أني أنتصرُ دائماً. هيّا، سأضيفُ هبّاتِ حرارة.**

**- أنصتْ إليَّ جيّداً، أيها القط الحقير. ستتركُها تستمتع باللحظة وستستدعي أصدقاءكَ في الحال، وإلّا فإنَّ أنفكَ سيُنفخ.**

تنظر إليَّ كلوي:

- ماما، أنتِ بخير؟

- أنا على ما يُرام، حبيبتي. هذا رائع.

أتأملُّها وهي تحبسُ المنظر الرحبَ في بطاقة ذاكرتها. شيئاً فشيئاً، يستعيد قلبي إيقاعَهُ العادي.

- ابتسمي!

أمتثلُ منصاعةً. لو أنني لستُ مهدَّدَةً بالوقوع في الماء، لرقصتُ فرحاً بانتصاري على فزعي. على الرغم من أنني أعلمُ أنه لم يبتعد كثيراً وينتظرُ، متربِّصاً في ركن من الأركان، اللحظةَ المناسبة ليُذكِّرني بوجوده.

- أنتِ رائعة الجمال في الصورة! تقول كلوي. أتلتقطين لي صورة؟

أدنو بقاربي الكاياك من قاربها، وأمسكُ آلةَ التصوير، وأُخلِّدُ ابنتي وابتسامتَها التي طالما اشتقتُ إليها.

- حسناً، يجب أن نمضي، سينتظروننا!

تجمع كلوي أدواتها وننطلقُ لنلحق بالمجموعة، بأسرع ما تسمح لي قدراتي على التجذيف. في البعيد، تبدو ظلالُ الآخرين ساكنةً، باستثناء ليلي التي تشير إلينا بذراعيها إشاراتٍ كبيرة. أحاول أن أسرع، لكنَّ ذلك يجعلني أدورُ إلى اليسار. أعيدُ القارب إلى وجهته وأقرِّرُ أن أكون صبورة. وعلى يساري، أُحسُّ بنظرة كلوي تتفحّصني.

- ماذا؟ أسألها وأنا أديرُ رأسي نحوها.

- ماما، أيمكنني أن أطرح عليكِ سؤالاً؟

- بالتأكيد!

تصمتُ لحظةً، وذاك ليس من شأنه أن يُطمئنني، ثم تتابع:

- الآن وقد صرتُ كبيرة، ألا يمكنكِ أن تُطلعيني على سبب فراقكِ لأبي؟

# آنا

في المرة الأولى، كسرَ أنفي.

حدث ذلك شهرَين قبل زواجنا. عاد غاضباً من العمل، لم يتوقف عن لعن صاحب العمل الذي وجَّهَ إليه مؤاخذاتٍ غير مبرَّرَة. كنتُ أحاول أن أهدِّئ من روعه، لكنه كان يرفضُ محاولاتي بفظاظة. كنا نعيش معاً منذ ستة شهور وكنتُ أكتشفُ وجهاً جديداً في شخصيته، وقد كنتُ اعتدتُ على حنانه وطيب مزاجه. بل إنني، في الأسابيع الأولى، كنت أتساءلُ إن لم يكن مغالياً في طيبوبته، وإن لم أكن أحتاج إلى رجل ذي طبع أكثر صرامة.

لم يستسغ أن أبحث عن مبرِّرات لصاحب عمله. انطلقتْ لكمتُهُ فجأةً، ولم أجد الوقت لأتفادى الضربة. ولم أجد الوقتَ لأفهم ما يحصل.

كان النزيف كثيفاً، وأنفي مهشَّماً. توسَّلَ إليَّ أن أفتح بابَ الحمّام. وكان الماء يسيلُ في حوض الغسل، ممتزجاً بدمي، وكنتُ أنظرُ إلى ذلك الباليه المائيِّ دون أن أتمكَّنَ من أن أقوم بأدنى حركة.

اعتذرَ. كان مخطئاً، ما كان عليه أن يفعل ذلك، لم يسبق له أن فعل ذلك من قبل. إنه يحبني، يحبُّني لدرجة أنه يودُّ لو يموت.

قلنا إنني ارتطمتُ ببابٍ. كان الجميعُ يضحكون، ما هذا يا آنا، لم تعودي قادرةً على رؤية الأبواب؟

فعل كلَّ شيء لأسامحه. يُكثر من التعبير عن حبِّه، أكثر حرصاً في معاملتي، وأكثر حناناً، كان يَسُدُّ حاجتي إلى المحبَّةِ أكثر مما كنت أتمنّاه. وصارت اللكمةُ مجرد ذكرى. حادثة صغيرة على دربنا، لا تستحقُّ أن تمنعنا من مواصلة التقدّم.

في المرة الثانية، تحاشى الوجهَ.

كان عمر كلوي ثلاثة أشهر. كانت في حاجة إلى أن تُحِسَّ بحضوري الدائم إلى جانبها، وكنتُ أُغدِقُ عليها حضوري بكل سعادة. سألني إن كنتُ لا أزالُ أحبُّهُ. هو، الأبُ الخدومُ، والزوجُ الساهرُ، هذا الرجل الذي أشعرُ أني محظوظة لأنني التقيتُ به، وكان ذلك يبدو لي شديد الوضوح لدرجة أنني أجبتُهُ، بابتسامة واسعة، «أكيد لا». ولم أجد الوقت لأُكمِلَ كلامي، أحسستُ بلكمته تنغرسُ في بطني الذي لم يستكمل بَرْأَهُ.

قضى شهراً في بيت والدته. وكنتُ حاسمةً: لن أعيش معه بعد الآن. كان يتّصلُ بي عدة مراتٍ في اليوم، ولم أكن أجيبُهُ، فيتركُ لي رسائل مسجَّلة على الهاتف. لم يكن يُدركُ ما يحصُلُ له، وكان خائفاً، خائفاً من نفسه، لم يكن يريد أن يكون عنيفاً، وكان الأمرُ يتجاوز طاقتَهُ، والشعور بالذنب يستنزفه. تلقّى علاجاً نفسيّاً، ومارس الرياضة. كان يحبُّني حبّاً شديداً، ويخشى أن أكتشفَ أنه ليس على أحسن حال، وأن أتوقَّفَ عن حبِّهِ. كان الأمر يتجاوزُهُ، وهو شديد الأسف لكلِّ ذلك.

سامحتُهُ، وبقيتُ مدةً طويلة أمتدُح نفسي على ذلك. لقد أفلحَ في قهر الوحش الذي كان يحاول أن يأخذ مكانه. كانت لديه

هفوات، ومن ذا الذي يسلم منها؟ أنا أيضاً، لم تكن معاشرتي سهلةً دائماً. منذ شرعتُ في العمل بنصف الدّوام في مطعم، كنتُ أعودُ في الغالب متعبةً إلى البيت. وكنتُ أحياناً أصُدُّهُ، وأغفل عن أن أُظهر له أنني أحبُّهُ.

استعدتُ توأم روحي، ذلك الرجل الذي يعرف كلَّ شيء عني، الرجل الذي كان يجعلني أضحكُ، وأرتعشُ، وأحلم.

في صباح يوم أحد، كانت كلوي قضت ليلتها عند جارتنا الصغيرة، آينا، وكانت ليلي لا تزال نائمة. كانت في الخامسة من عمرها. نهضتُ من الفراش لأستعدَّ للخروج، لأنني أعمل عند منتصف النهار. وكان مستلقياً. استوقفني من ذراعي.

- أَهُوَ أرجَلُ منّي؟

لم أفهم عمّا كان يتحدث، وظننتُ أنها دعابة، فضحكتُ. جذبني بعنفٍ، فسقطتُ على السرير، واعتلاني وضغطَ بيديه حول عنقي. كانت عيناه غائصتين في عينَي، ولم أعد أعرفهما. كنتُ أقاومُ، لكنه كان الأقوى. وكان يضغطُ. يضغطُ. لم أعد قادرة على التنفّس. كنتُ أنظر إلى الرجل الذي أحبُّهُ وهو يقتلني. أرخى قبضته قبل أن أفقد الوعي.

- أيتها العاهرة، ستدفعين ثمن ذلك.

كنتُ أضربُ ذراعَيه، وجذعه، وأخمشُ خدَّيه، وفخذيه. تركني أتحرَّرُ من قبضته، فتدحرجتُ على الأرض وزحفتُ إلى الباب. عندئذ قطعتْ أنفاسي ركلةٌ قويَّةٌ في ضلوعي. وفي الجهة الأخرى، كنتُ أسمعُ براوني، كلبتنا الصغيرة، تخدش الباب.

جرَّني من شعري وأنهضني وضرب رأسي بالخزانة. كنتُ دائخة، لكنني لا أزال قادرة على أن أرى أنه سيقتلني. كنتُ

مرعوبة. أفكِّرُ في ليلي وكلوي، اللتين ستجدان نفسيهما وحيدتَين معه. من سيجد جثّتي؟ ليلي؟ كلوي؟ مثلما وجدتُ أنا جثّةَ أمي؟

ضربني مرة ثانيةً ضربةً أقوى. كنتُ مطويّةً نصفين عندما انفتح البابُ. اندفعَتْ براوني إلى داخل الغرفة وهي تحرِّكُ ذيلها، بينما كانت ليلي تقف في المدخل، متشابكة الشعر. مذعورة.

حاولتُ أن أنهض لأضمَّها بين ذراعَيّ، لكنه كان الأسرع. ركلني في ساقي، وضغطَ على وجه ابنتنا بين أصابعه.

- إن تحدَّثْتِ عن هذا، ستدفعُ أمُّكِ الثمنَ.

قضينا أسبوعاً في بيت أبي. أخبرتُهُ بكل شيء. كانا، هو وجانيت، مفزوعَين. من كان يصدق أنَّ ذلك الإنسان اللطيف، الذي يثور ضدّ مظاهر الظلم، إنسانٌ عنيف؟

توسَّلَ إليَّ أن أمنحه فرصةً أخيرة. كان سيخضع لعلاج، وسيقيم في المستشفى، وسيجد حلاً كي لا يحدث ذلك مرّة أخرى أبداً.

أنا التي وجدتُ الحلَّ كي لا يحدث ذلك مرّة أخرى أبداً. كان عليه أن يرحل.

لم يحصل ذلك بسهولة، فقد حاول الابتزازَ، والاسترحام، ووجَّه التهديدات لنفسه، ولي، وللبنتَين. ذهب للعيش عند والدته، في مرسيليا. وعندما رجعنا إلى شقّتنا، كانت براوني ميِّتةً. أخبرَنا البيطريُّ أن كبدها وطحالها قد انفجرا.

أبتسمُ لكلوي، التي تجذفُ وهي تنظر إليَّ. تنتظرُ إجابتي.

- افترقنا لأننا لم نعد متفاهمَين، حبيبتي.

# أخبار كلوي

توصلتُ بقصيدة جديدة. كانت في الموضع المعهود عندما صعدنا من جديد إلى موقف سيارات التخييم بعد أن قضينا الأصيلَ في نوسفيورد. مع إضافة صغيرة: وُضِعَتْ قلوبٌ فوق حروف «i». فلو كان لا يزال لديَّ شكٌّ، لاختفى.

سأهديكِ مجوهراتٍ جميلة،
ووروداً من أجل شقّتكِ،
وعطراً سيصيبكِ بالجنون
وقريباً تماماً من ميلان[1]،

سأقيمُ ضيعةً
حيث سيكون الحبُّ هو الملك
حيث سيكون الحبُّ هو القانون
حيث ستكونين أنتِ هي الملكة[2].

---

(1) ديان تيل، لو كنتُ رجلاً، أغنية، .Tuta Music Inc ©، 1981.
(2) جاك بريل، لا تهجريني، أغنية، Warner Chappel Music France et © Éditions Jacques Brel، 1959.

يبدو أنَّ الصغير لوي قد استنفد إلهامه.

ولجتُ سيارةَ التخييم، مسرورةً بالصور التي التقطتُها في قرية الصيّادين. كانت الدُّورُ الصغيرةُ الحمراء والصفراء تنعكسُ على مياه الفيورد الهادئة، كانت بطاقةً بريديةً.

كان أول ما فعلتُهُ التأكُّد من كون كيفين قد رَدَّ على رسالتي التي أرسلتها في الصباح نفسه.

«سأعود قريباً، أرجو أن نلتقي. أفكِّرُ فيكَ كثيراً. قبلاتي».

كان قد أجابَ، وكان جواباً واضحاً:

«دعيني وشأني».

رميتُ الهاتفَ على الأريكة وخرجتُ دون أن أتفوَّهَ بكلمة واحدة. كنتُ بحاجة إلى أن أخلو إلى نفسي، وأن أفكِّرَ. عبرتُ موقفَ السيارات وتمشّيتُ على طول الطريق، دون أن أعرف إلى أين. وكان منظر الفيورد والقرية، في الأسفل، رائعاً.

وكان سوء الحظِّ ملازمي، حيث وقعتُ على لويز، جالسةً على العشب، ورأسها بين ذراعيها. واصلتُ السيرَ وأنا أجتهدُ في ألّا يصدر عني أدنى صوتٍ، حتى لا تسمعني، لكنَّ الملعونةَ تملكُ سمعاً حادّاً. انتفضت ونظرت إليّ.

- ماذا تفعلين هنا؟ سألتُها.

- لا شيء.

- لماذا تضعين يدَكِ أمامَ فمكِ؟

- لا شيء، أقول لكِ.

كانت حمراء تماماً. قد لا يكون سوء الحظِّ حيث كنتُ أظُنُّهُ.

جلستُ بجانبها:

- فقدتِ ضرساً؟

هزَّتْ رأسها بالنفي، عاقدةً حاجبيها. لكنني ألححتُ:

- ماذا إذاً؟ أريني، لن تستطيعي العيشَ وأنتِ تضعين يدكِ أمام فمكِ.

رفعتْ كتفيها، وامتلأتْ عيناها بالدموع. أزاحت يدها برفق، فبدت المجزرةُ.

كان وجهُ لويز يعرضُ شارباً بُنِّياً رائع الجمال.

- ما هذا؟

- أردتُ أن أُزيلَ الشَّعر، لكن الشمع كان شديد السخونة. فتكوَّنت طبقة الجرح.

حاولتُ ألّا أستهزئ. أؤكِّدُ لكم أنني حاولتُ ذلك. لكن كان ينبغي أن تروها، بمظهرها الذّاهل وشاربها القشرة. لم تكونوا لتصمدوا أنتم كذلك.

كانت قهقهةً صامتةً، محبوسةً، وكان يمكن للأمر أن يقف عند ذلك الحدِّ، لولا أنَّ لويز انطلقت ضاحكةً بدورها. المشكلة، أنَّ ضحكها مدَّدَ قشرتَها، فتألّمتْ لذلك، وعندئذ شرعتْ تضحكُ وتتأوَّهُ من الألم في الوقت نفسه، كلُّ ذلك وهي تضغطُ على جانبيْ فمها بأصابعها. لم أعد أستطيعُ المقاومةَ. صعدَ من البطن، ودمَّرَ سدودَ الرّثاء لديّ، وانفجر، ضحكٌ مجنونٌ عالٍ، وقويٌّ، يؤلِمُ البطنَ ويُسيلُ الدموعَ. وكانت لويز تصرخُ من شدة مرحها الصاخب.

وعندما هدأنا أخيراً، بعد دقائق معدودة، كنا مستلقيتين على العشب، وكانت خدودُنا تغمرها الدموع.

اعتدلتُ جالسةً ومسحتُ وجهي:

- أنتِ محظوظة، فالأمر صار موضة.

- والنهود الصغيرة كذلك، ردَّتْ عليّ.
ربما لم تكن عديمة الأهمية إلى ذلك الحدّ.

عندما عدنا إلى موقف السيارات، تصرَّفنا كأننا لم نقضِ ساعةً في النقاش. كان دييغو في الخارج، مستغرقاً في التدخين، فذهبتُ لرؤيته. فقد كانت الكلمات التي قالها عن الآباء والأطفال لا تزال تدور في رأسي.

- مزاج سيّئ؟ سألني.

- لا بأس. وأنت؟

- أنا أحسن حالاً من إدغار الذي يقضي وقته في النوم. أرجو أنه لن يفارقنا قبل أوان العودة.

لا بدَّ أنه قد أشفقَ على عينَيّ المحملقتَين، فابتسم.

- ما الذي يُقلِقُكِ إذاً؟ قصة عاطفية؟

- يمكن أن نقول الأمر بهذا الشكل...

جذبَ نَفَساً عميقاً من غليونه ونفثَ الدخان، وعيناه على الفيورد.

- تعرفين يا صغيرتي، لو كان في إمكاني أن أحيا حياتي كلَّها من جديد وأنا أعلمُ كلَّ ما تعلَّمتُهُ إلى حدِّ الآن، فإنني سأكون أسعدُ حالاً. كثيراً ما نَقلقُ من أجل أمور ضئيلة الأهمية. إنَّ ما نحسبُهُ سلبيّاً ليس بالضرورة كذلك، والعكس صحيح.

- كيف ذلك؟

- في الثانية والعشرين، وقعت لي حادثة دراجة هوائية. أُصبْتُ بكسورٍ عديدة، لكن الذي أحزنني أكثر، هو عدم قدرتي على الالتحاق في اليوم نفسه بحفلٍ راقصٍ كنتُ أفكِّرُ فيه منذ أيّامٍ عديدة.

كنتُ سألتقي هناك امرأةً شابَّةً كانت تعجبني كثيراً، لوسي. ظللتُ اليومَ كلَّهُ أحاول أن أُقنع الأطباء، عبثاً، بالسماح لي بالخروج. فلعنتُهُمْ. وتقرَّبَتْ لوسي من شابٍّ من قرية قريبة ولم تَرُدَّ بعد ذلك على رسائلي. كنتُ يائساً، وأعتقد أن حياتي قد ضاعت. بعد ذلك بشهر واحد، التقيتُ بمادلين. وفي العام نفسه، عُيِّنَ شقيقي، الذي كنتُ شديد القرب منه، رئيساً لمصنع الزجاج حيث كان يعمل. كان ذلك مدعاةً لبهجة كبيرة، حيث لم يسبق لواحد من أفراد عائلتنا أن ارتقى إلى مثل تلك المكانة. كان يبدأ عمله صباحاً في وقت أكثر بكوراً، وينصرفُ منه في ساعة متأخِّرة، لكن لا شيء كان ينالُ من حماسه. ذات مساء، عند عودته من العمل، فَقَدَ التحكُّمَ في سيارته عند منعرج. ومات في الحال. أمثلةٌ مثل هذه لديّ منها العشرات. لو أنني لم أُصَبْ بجرحٍ لما عرفتُ زوجتي. ولو أنَّ شقيقي لم يحصل على ترقية، لربما عاش مدة أطول. نظلُّ، طوال حياتنا، نحكم على ما يحصلُ لنا، فنفرح، ونشتكي. بيد أننا لن نعرف إلا في اللحظة الأخيرة إن كان الأمر يستحقُّ الفرح أو الشكوى. لا شيء ثابتٌ، كلُّ شيء يتطوَّرُ. لا تحزني اليوم، فقد يكون الذي يحدث لكِ سعادةً كبيرة.

أنصتُّ إلى كلمات الشيخ باهتمام، فقد كانت حكمتُهُ تواصليةً، ثم التحقتُ بسيارة التخييم وأنا أتساءلُ إن كان ما قالهُ لي أمراً جيّداً أم سيّئاً.

# آنا

منتصف الليل. هذه آخر مرة نشاهد فيها الشمسَ في هذه الساعة. غداً، سنغادر بودو ونعبرُ الدائرة القطبيةَ من جديد.

سيارات التخييم راسيةٌ في موقفٍ على قمة تلَّةٍ تُشرفُ على المدينة والبحر. رغبنا، أنا والبنتان، في أن نستمتع بالأمر ما وسِعَنا الاستمتاع. نتأمَّلُ، جالساتٍ على الصخر، محتمياتٍ من البرد بلحافٍ ناعم، المنظرَ الساحر للشمس التي ترفضُ أن تنام. لا نتكلَّمُ. لا تحتاجُ مشاعرُنا إلى كلمات.

- أيمكنني أن أجلس معكُنَّ؟ يسألُ صوتُ جوليان من خلفنا.

- خُذْ مكاني، فقد أُرهقتُ! تجيبُهُ ليلي وهي تنهضُ. ليلتكم سعيدة!

- أنا أيضاً، يجب أن أكتب على مدوَّنتي، تضيفُ كلوي قبل أن تضع قبلةً على خدّي وتقتفيَ شقيقتَها.

أتردَّدُ في الاقتداء بهما، غير أني لا أريد أن أجرح مشاعر جوليان. ظلَّ متسمِّراً بجانبي، باديَ التردُّد، فرفعتُ اللحافَ وجلسَ بجانبي.

- تلك جزيرة لانديغود هناك، يخبرني وهو يشير بإصبعه إلى الجبال التي تحجبُ الشمسَ جزئياً.

- يمكنك أن تخبرها أنها تُزعِجُنا؟

- سأرى ما يمكنني فعلُهُ، يجيبني بجدِّية.

يُلصقُ فمَهُ بهاتف مراقبة الأطفال.

- أَلو لانديغود، هنا المدير العام لمركز حماية جمال العالم. لقد تلقّينا شكاياتٍ، لأنك ركنتِ أمام الشمس تماماً، هلّا بحثتِ، مشكورةً، عن مكان آخر، وإلّا فإنني سأجد نفسي مضطرّاً لأن أبعث إليكِ بأفضل عملائي، السيدة آنا، لتُصفِّيَ لكِ حسابكِ. ويمكنني أن أقول لكِ إنها لا تمزح. أرأيتِ أتلانتيد؟ فهي التي فعلتْ ذلك. أتمنى لكِ أمسيةً طيبة!

يضعُ الهاتف في جيب سترته ويلتفتُ نحوي.

- قُضِيَ الأمرُ، إنها تجمعُ حاجياتها وستتحرك.

- جيّد جدّاً، السيد المدير جوليان. في أسوأ الأحوال، إن لم تمتثل للأمر، يمكنكَ دائماً أن تنقضَّ عليها بقبضة جو-جيتسو.

يبتسم. وتلمعُ عيناهُ بأثر الضوء الذهبيّ. نظرتُهُ غائصةٌ في عينَي، ولا أتمكَّنُ من أن أزحزح نظري عن عينيه. رويداً رويداً، تمَّحي بسمتُهُ، ترعى عيناهُ خدَّي، وتنزلانِ إلى فمي، وتداعبان شفتَيّ. طويلاً. طويلاً. تغمرُ موجةُ حرارةٍ جسدي، ويقتربُ جوليان برفقٍ بوجهه من وجهي، فتدفعني الرغبةُ نحوه، لكنني أنتبهُ فجأةً إلى أن في إمكان الآخرين أن يرونا. عندئذ، أتراجع برأسي وننغمر كلانا في تأمُّل شمس منتصف الليل.

# ليلي

30 مايو

عزيزي مارسيل،

أرجو أن تكون بخير!

يبدو أنَّ أمي قد حدَّثَتْ فرانسواز بأمورٍ تخصُّني، هذا شديد الغرابة، جاءتني قاصدةً لتقول لي يتوجب عليَّ ألّا أستسلم، وإن المعاناة من التنمّر في المدرسة أمرٌ خطير، وإنها هي أيضاً، عندما كانت في المدرسة الإعدادية، وقعت ضحيةَ تلك التنمّرات. حكتْ لي حياتَها، وكنتُ في البداية أُنصِتُ إليها إرضاءً لها، ثم أخذتُ أنصتُ إليها لأن ما كانت تقوله مهمٌّ. شرحتُ لها أنني لم أكن أعاني من التنمُّر، وأنني لم أكن ألقي بالاً إلى اضطهاد التوأم، فأجابت إنها هي كذلك كانت تقول الكلامَ نفسه، لكن ذلك في الحقيقة كان يؤلمها. مثلي. لم أكن في الحقيقة أراها على تلك الحال. فسألتُها كيف تصرّفتْ وأخبرتني بحيلتَين. أكتبهما إليكَ، من يدري، قد تحتاج إليهما ذات يوم.

الأولى: إن يكن دفترٌ آخر شرّيراً في معاملتكَ وتكن خائفاً منه، تخيَّلْهُ يعاني من التهاب المعدة.

الثانية: عوض أن تجيب إجابة قبيحة (أو ألّا تجيب نهائياً)، يجب أن تبتسم ابتسامةً واسعةً وتُقدِّمَ إطراءً. لا أرى كيف يمكن لذلك أن يساعد، لكن فرانسواز أقسمتْ لي أن الأمر ينجح.

عندما انصرفتْ، جاءت عندي شقيقتي، أظنُّ أنها سمعت كلَّ شيء، لكنها لم تقل شيئاً. لم تكن تكُفُّ عن الحديث عن الوقت، والطريق الذي كان شديد الجمال، كنتُ أرى جيّداً أنها تريد أن تُحدِّثني عن أمر ما، لكنها لا تتمكن من ذلك، ثم توصَّلتْ إلى ذلك في الأخير. اعترفت لي أنها لم تكن تقصد ما قالته لي في المرة السابقة، وأنها سعيدة لأن لديها شقيقة، وأنها أكثر سعادة لأني أنا شقيقتها. حاولتُ ألّا أبتسم كثيراً، لا ينبغي أن تعتقد أني شقيقةٌ سهلةٌ، لكنني أجبتُها مع ذلك أنني أنا أيضاً سعيدة أن أكون أنا شقيقتها.

بالمناسبة، يجب عليكَ أن تُذكِّرني بالبحث عن متجر حيث يمكن شراء البرونوست. إنها جبنة بنّيةٌ، لها ما يشبه مذاقَ الكراميل، إنها جدُّ لذيذة لدرجة أنني يمكن ألّا آكلَ شيئاً سواها طوال حياتي. خذْ، ها أنا أضعُ البعض منها على الصفحة، تذوَّقها، وستخبرني عن الأمر.

هيّا، سأتركُكَ، توقَّفنا الآن لمشاهدة شلّال، أرجو أن يوجد به هذه المرة سمك السلمون الذي يقفزُ (وربما دببة).

قبلاتي مارسيل!

ليلي

ملاحظة: لا أدري من ذا الذي اخترع كلَّ تلك الكلمات الغريبة بالنرويجية، تُكتبُ بحروف من قبيل ø، وå، وæ، ولكنه في رأيي لم يكن يشربُ الماء وحده.

# أخبار كلوي

- هل تحبين جوليان؟

لم تكن أمي تتوقع السؤال. فجعلتني أُكرِّرُهُ.

نحن على متن العبّارة التي تنقلنا إلى فيفيلستاد، جالستَين في الخارج، تتدفَّأُ أيدينا بوعاء من الحساء. نتجوَّلُ بين الجُزر الصغيرة. المنظر عظيمٌ بتلك السحب الكبيرة البيضاء التي تُحلِّقُ في السماء.

ابتلعتْ أمي رشفةً.

- لمَ تسأليني عن هذا؟

- لستُ أدري، لديَّ انطباعٌ أنَّكِ تحبينه. أليس كذلك؟

رفعتْ كتفيها، لكن مظهرها المُحرَج لا تُخطئه العين.

منذ فارقتْ أمي أبي، لم يسبق لي أن طرحتُ عليها سؤالاً من هذا النوع. لم أفعل ذلك من قبل لأنني لم أكن أريد أن أسمع الجواب.

أكيد، أنني أودُّ أن أراها سعيدة. لكن أبي لن يتحمَّلَ ذلك. اعترف لي بذلك مرّاتٍ عديدة.

بعد سبع سنوات، لا يزال همُّهُ الوحيدُ أن يعيد الحياةَ لمشاعر أمي نحوه. كلما اتصلتُ به بالهاتف، يُحدِّثني عن الرسائل التي يرسلها إليها، وعن التوسلات التي يتوجَّهُ بها إليها وهو ليس متأكِّداً

حتى من أنها ستستمع إليه، ويحكي لي ذكرياته، فيرتعشُ صوتُهُ، وأحسُّ بمحنته، فتُمسِكُني من حنجرتي. يشعر بالوحدة، بعيداً عن امرأة حياته، وبعيداً عن ابنتيه. ذاك يقتلني.

أعلمُ أنها يوماً ما ستجد شخصاً آخر. وأعلم أنه لن يكون أبي. من المؤسف حقّاً أن يعلم المرءُ أنَّ سعادة أحد والديه ستكون على حساب الآخر.

ماما تُعجِبُ الرجالَ. أرى كيف ينظرون إليها. رأيتُ رقم الهاتف المدسوسَ تحت ماسح زجاج السيارة. سمعتُ رجل أمن المتجر الكبير يهمس إليها أنها جذابة. أتصوَّرُ أنها كانت لها حكايات عاطفية في أثناء السنوات السبع المنصرمة. قصص حبٍّ عابرة. لم تسمح أبداً لكل ذلك أن يبدوَ عليها. فهذه المرة الأولى التي يراودني فيها الشكُّ.

لاحظتُ كيف تنظُرُ إلى جوليان. يمكنها أن تقول ما تشاء، لكن شيئاً ما ينقص نظرتَها عندما تنظر إلى إدغار أو إلى دييغو.

وبعد ثوانٍ معدودة من التفكير، أجابت أخيراً:

- أحبُّهُ بعض الشيء، إنه يُضحكني. ألا يُضحكُكِ أنتِ؟

- ماما، كُفِّي عن الردِّ على أسئلتي بأسئلة، هذا أمر مغيظ.

- للأسف، لديَّ سؤالٌ أطرحُهُ عليكِ. أسيضايقُكِ أن أرتبط من جديد؟

- مع جوليان؟

- مع أيٍّ كان، كُفِّي عن الحديث عن جوليان.

فكَّرتُ.

منذ شهرَين، ارتجَّتْ جميعُ يقينياتي. قضيتُ من الوقت مع أمي

ما لم أقضه معها مدَّةَ السنوات السبع الأخيرة. يستحق أبي أن يكون سعيداً، وهي كذلك. سواء وحدَها أو مع شخص آخر.

- قد يكون الأمر صعباً في البداية، قلتُ معترفةً، لكنني سأعتاد على الأمر.

ابتسمتْ، فأضفتُ تدقيقاً:

- لكن رحمةً بي، لا ترتبطي بذلك الرجل الذي يهمسُ في أذن سيارات التخييم ويرتدي قمصان الحطّابين!

# آنا

كنتُ في الحادية عشرة من عمري عندما قدَّمَ لي والدي جانيت. كانت أمي قد ماتت منذ ثلاثة أعوام.

جاء ليأخذني من المدرسة الإعدادية وأخبرني أننا سنذهبُ للأكل في المطعم. لم نكن نأكلُ أبداً في المطعم.

كان يعمل كثيراً في تلك الفترة، وكنتُ كثيراً ما أقضي الليل عند جدّتي. كنَّا قد أنشأنا لأنفسنا شرنقةً من العادات نحتمي بها، وكنتُ في بيتها أشعُرُ أن لا شيء يمكن أن يحصل لي. كانت جميع المساءات تتشابه. عند عودتي، كنتُ أنتعلُ شبشبي، وكنتُ أفضِّلُهُ عندما يكون بالياً بعض الشيء، فينزلق بسهولة فوق البلاط. كانت جدّتي قد أعدَّتْ لي وجبةً خفيفةً، كأس لبن ساخن، فطيرة أو غوفر، ومسحوق السكَّر الذي كانت تصنعُهُ بنفسها عن طريق طحن حبوبَ السكّر. وعندما كنتُ أُسقِطُ بعضَهُ على القماش المشمَّع الذي يغطي المائدة، كنتُ ألتقطُهُ بأناملي وأمتصُّهُ بتلذُّذ. ثم كنا ننجزُ واجباتي المدرسية، وإذا ما فضُلَ لنا بعضُ الوقت قبل إعداد العشاء، نملأُ الكلمات المتقاطعة. كانت أحياناً تسمح لي بملء الشبكات، لكنني في أغلب الأحيان كنتُ أُكَلَّفُ بالبحث عن التعاريف في المعجم. وعندئذ كنّا ننتقلُ إلى المطبخ. كان لديَّ مئزري الخاص، أحمر

بورودٍ بنفسجية. كنتُ أجلب المكوِّنات التي تطلبها مني، وكانت تسمح لي بخفق البيض، ونشر العجين، ودَهْنِ الصحون بالزبدة. كنت دائماً أخاف عند إيقاد الفرن، أقدحُ عودَ الثقاب، ثم أُقَرِّبُهُ من الثقب الصغير بينما تضغطُ جدَّتي على الزرِّ لإخراج الغاز. وفي انتظار أن يجهز العشاء، أذهبُ لارتداء منامتي بينما تُغلِقُ جدتي النوافذَ، ثم نجلس على الكنبة لمشاهدة الألعاب التلفازية. كان البيتُ يمتلئ بروائح شهيّة، وبطني يقرقر. نتناقش كثيراً في أثناء العشاء. كنتُ أُحِبُّ تلك اللحظات حيث تحكي لي جدتي ذكرياتها، كنتُ أحبُّ أن أعرف أيَّ فتاة صغيرة كانت، وأن تحدِّثني عن والديها، وعن جدّي، الذي ماتَ قبل ذلك بخمسة أعوام. وكنتُ أحبُّ، فوق ذلك كلِّهِ، أن تحكي لي عن أمي، عن طفولتها، وضحكها، وعن ذلك المساء من ديسمبر حيث أخبرَتْهُما أنني في بطنها. كان من حقّي أن أقرأ قبل النوم. وكانت جدتي قد أعادت تأثيث غرفة أمي كلّياً وفق ذوقي. اخترنا البساطَ والأثاثَ معاً. كانت تقبِّلني ثلاث قبلاتٍ على خدّي، ثم تقول لي: «ليلة طيبة، ابنتي»، وكانت الليلة طيبةً لأنَّ جدّتي كانت هناك.

في ذلك المساء، كان من المقرَّر أن أنامَ عندها، لكن أبي كان ينتظرني أمام المدرسة الإعدادية. قضينا بعض الوقت في البيت، وضع الكثير من العطر، ثم ذهبنا إلى المطعم. كانت مائدةً لثلاثة أشخاص، لكنني لم أرتَبْ في الأمر إلى أن وصلَتْ.

كانت ترتدي قميصاً أحمر وابتسامةً مُحرَجَةً. قدّمتْ لي علبةً، وشجّعني أبي على فتحها دون تأخير. كان دفتراً.

– أخبرني أبوكِ أنك تكتبين أشعاراً.

أكلتُ شريحة لحم مفرومة، وبطاطس مقلية، ومثلجات

بالشوكولاتة، لم يكن ذلك لذيذاً. كانت جانيت ودودةً، وتتحدَّثُ كثيراً، كأنها لا تريد أن تُفسح مجالاً للحرج. كانت مطلَّقةً ولم يكن لديها أطفال، وكانت تبتسم بهدوء عندما تشير إلى ذلك. كانت تعمل في روض مدرسة الحضانة، وكانت قد التقت بأبي في قاعة انتظار أحد الأطباء. كانت قد أصيبَتْ بالتواء في كاحلها الأيمن، وأصيب هو في معصمه الأيسر، فرأيا في ذلك إشارةً.

وضعتْ، في أثناء التحلية، يدها على يد أبي. فجذب يده برفق.

ودَّع بعضنا بعضاً على الرصيف، وهمستْ لي أنها كانت سعيدة بلقائي، فأجبتُها أنني كذلك سعيدة بلقائها. في السيارة، سألني أبي عن رأيي فيها، فلم أكذب عليه: تبدو لطيفةً، وعيناها جميلتان.

لم يكن قد صفَّرَ تحت رشّاش الحمام منذ مدة طويلة، وكنتُ سعيدةً من أجله. ضمّني بقوة بين ذراعَيه قبل أن ننصرف للنوم.

- طابت ليلتُكِ، حبيبتي، قال لي.

- طابت ليلتُكَ، بابا، أجبتُهُ باسمةً.

أقفلَ بابَ حُجرتي، واندسستُ في فراشي وبكيتُ طوال الليل.

# آنا

- ألو، جانيت؟

- حبيبتي، كيف حالكِ؟ بابوت، أقبِلْ، إنها آنا على الهاتف!

أسمعُ صوتَ أبي يقتربُ من الهاتف.

- اسأليها إن كانت قد توصّلتْ برسالتي، يقول لجانيت.

- انتظر، سأُشغِّلُ مكبِّرَ الصوت، تجيبُهُ.

- آنا، هل توصلتِ برسالتي؟ يكرِّرُ، ويبدو أنَّ فمه ملتصق بالميكروفون.

- توصّلتُ بها فعلاً، أنا آسفة، لم أجد الوقت للاتصال بكَ...

- هذا أفضل، فذلك دليل على أن الأمور تسير على ما يرام، تردُّ عليّ زوجةُ أبي. عند اتصالنا الأخير كنتُنَّ في جُزر لوفوتن، أما زلتُنَّ هناك؟

أحكي لهما المراحل الأخيرةَ، وشمسَ منتصف الليل، والكاياك، فيستفسران عن أطنان من التفاصيل.

- كنّا نعتزم الرحلةَ إلى إيطاليا في أول رحلة لنا بسيارة التخييم، لكنكِ تجعليننا نتردَّدُ، يقول أبي.

- لا شيء يمنعنا من أن نقوم بالأمرَين معاً...

- أوه، هذه بوبون حبيبتي! يقهقه أبي.

- يُوهُو، أنا هنا! أتدخّل قبل أن يستفحل الأمر. أنصحكما باسكندنافيا، فالمناظر تختلف من كيلومتر إلى آخر، تستمتع العيون كلَّ استمتاع. بل إني أعرف شخصاً يمكنه أن يرافقكما.

تُستغرَقُ الدقائقُ اللاحقة في التخطيط لرحلتهما المقبلة، بحماسٍ شديد. ينتهي أبي إلى العودة إلى انشغالاته، لكن ليس قبل أن يكرِّرَ توصياته المتعلِّقة بسيارته.

- والبنتان؟ تسألني جانيت.

- إنهما بخير، أشعر كأني أعيد اكتشافهما، العيش معهما متعة حقيقية.

- لقد أحسنتِ صنعاً حبيبتي بالإنصات إلى نفسكِ. هل تكلَّمتِ معهما؟

- لا. ليس بعد. سأتركُكِ، ينبغي أن أذهبَ إلى المصبنة، لم تعد لدينا ثياب نظيفة.

- حسناً، قبِّلي لي البنتين قبلةً كبيرة. وأقبِّلُكِ بقوة. أستعجلُ اليوم الذي سأراكِ فيه من جديد.

- أنا أيضاً أستعجل ذلك اليوم. قبلاتي الحارّة، جانيت.

# ليلي

1 يونيو

عزيزي مارسيل،

كيف حالك، صديقي؟ لا تُجِبْ، لا وقت لدينا، يجبُ أن أحكي لكَ أمراً مجنوناً لدرجة أنّني أنا نفسي أجدُ الأمر مجنوناً.

كنّا في ترونذهايم بسلامٍ، نتجوَّلُ في أولد تاون، وكلوي تُصوِّرُ الواجهات التاريخية وجسرَ غامل بيبرو عندما، فجأةً، واتَتْها فكرةٌ كان من الأفضل ألّا تواتيها. كانت ترغبُ في الذهاب إلى ايكيا، لأن الأمر سيكون مؤسفاً أن نزور اسكندنافيا دون أن نرى واحداً منها. كدتُ أدفعها إلى الماء. فالذهاب إلى المتاجر في فرنسا نفسها يُرهقني، لذا كنتُ على شفا الهاوية.

كانت أمي متفقةً معها، وعلى الرغم من أنني حاولتُ أن أثنيهما عن رأيهما، وأكرِّرُ لهما أنَّه متجرٌ سويديٌّ وكان علينا أن نزوره في السويد، لكنني أدركتُ أنَّ كفَّتِي في الميزان لا ترجح. ولا أقول هذا لأنَّ أمي ازداد وزنُها كيلوين اثنين.

ايكيا في النرويج، هي نفسها ايكيا في فرنسا، باستثناء أن أسماء المنتوجات تعني، بالنسبة إلى الناس هنا، شيئاً ما.

قمنا بجولتنا الصغيرة، وحاولتُ أن أجلس على سرير في انتظار أن يُنهِيا جولتهما، لكنني فهمتُ من عينَي البائع أنَّ من مصلحتي أن أتحرَّكَ. لم تكن نظرتُهُ تحتاج إلى مترجم.

أعتقدُ أنهما قد فحصتا كلَّ منتوج في كلِّ جناح. كنتُ على وشك الارتماء من أعلى خزانة سنيغلار عندما لاحظتُ شيئاً أعاد ليَ الرغبةَ في الحياة. لم أكن أصدِّقُ عينيَّ، على الرغم من أنهما لا تكذبان، فعندئذ طلبتُ من كلوي أن تحضر لترى، وعيناها قالتا ما قالته عيناي تماماً.

حسناً، سأكُفُّ عن استنزاف صبركَ، فأنا أرى أنك لم تعد تتحمَّلُ كلَّ هذا التشويق، كأننا في آخر حلقة من مسلسل «ربّات بيت يائسات». إذاً، كان ذلك في جناح الإطارات والملصقات، كانت كثيرة، بجميع الأحجام، وجميع الأشكال، بل كانت هناك شاشة كبيرة يمكن أن تُدَسَّ فيها عشرون صورة، وكان الأمر يُضحكني لأنهم وضعوا عشرين مرة الصورة نفسها. وتلك الصورة هي الأمر الجنوني. أدركتُ أنني سبق أن رأيتُها في مكانٍ ما، لكنني استغرقتُ دقائق عديدة لأتذكَّرَ أين حصل ذلك.

هل أنتَ مستعدٌّ يا مارسيل؟ انتبه، إنه أمر ثقيل، قد يصيبك بالإغماء!

حسناً، سأقول لك.

إنها صورة زوجتَيْ إدغار وديبغو. امرأتان لم تعودا شابتَين تضحكان أمام بحيرة، إنهما هما، لا ريب في ذلك.

أقسمُ لك، هذه قصة شديدة الغرابة، لا أستطيع فهمها، لكننا، أنا وكلوي، قرّرنا أن نقوم بتحقيقنا الخاص. فنحن محقّقتان بارعتان، وكثيراً ما لعبنا لعبة كلودو.

ثم إننا أخذنا نفكّرُ، فلم نجد حلولاً كثيرة.

رقم واحد صغير: ايكيا سرقت صورة مادلين وروزا، وهذا أمر خطير جدّاً جدّاً جدّا، خصوصاً أنه إشهار كاذب لأنهما في الحقيقة قد ماتتا.

رقم اثنان صغير: إدغار وديبغو لا يعرفان امرأتَيْ الصورة، وهذا خطير جدّاً جدّاً جدّاً، لأنني لا أفهم شيئاً.

لكن لا تقلق، مارسيل، سنجد الحلّ، فالأمور دائماً تنتهي إلى الحلّ بالنسبة إلى من يعتني بدابّته.

قبلاتي

ليلي

ملاحظة: هذا الصباح، أمسكتُ بيد نُوِي بينما كنا نشاهد الخذروف ولم يسحبها.

# أخبار كلوي

كنتُ أريد أن نتصرَّف في السرِّ لاكتشاف لغز تلك الصورة. لكن، للأسف يبدو أننا لسنا محقِّقتين سرّيَّتين تماماً. فالجدَّان أدركا الأمرَ ما أن طلبنا أن نرى من جديد وجهي زوجتيهما.

- لماذا تريدان ذلك؟ سألنا إدغار.

- كي لا ننساهما فحسب، أجبتُهُ.

نظر إليَّ مرتاباً. فتدخَّلتْ ليلي:

- وجدنا الصورةَ نفسها عند ايكيا.

عقد إدغار حاجبيه:

- ماذا يعنيه هذا؟

- يعني أنَّ أمرنا قد افتضح، أجابهُ دييغو.

- آه.

دعوانا إلى الدخول، وجلسنا على الأريكة. كانت ليلي قد وضعت نظّارتها، حيث كانت تجد ذلك أكثر تأثيراً.

- ما الذي تعرفانه؟

شرحتُ أمرَ الصورة التي وجدتُها داخل شاشة، وكان الرجلان يُنصتان إليَّ وهما يطأطئان رأسيهما. فجأةً، نهضَ دييغو، وأمسك بالإطار ووضعهُ على الطاولة.

- هذه حقيقة، هاتان ليستا مادلين وروزا، أَقَرَّ، مرتعش الصوت.

- توقَّفْ، لا تقلْ شيئاً! صاح إدغار.

طمأنَهُ صديقُهُ وهو يضعُ يدهُ على كتفه واستأنف كلامه:

- كانت رؤيةُ وجهيهما على الدوام أمراً شديد الإيلام، فآثرْنا اختيار صورة محايدة في حال ما رغبَ أحدٌ أن يراهما.

خفضت ليلي نظارتها وعقدتْ حاجبيها:

- أوقفْ عربتَكَ، يا بن هور! أتحسبانا أُكْلَةَ الكيش لورين؟

اعترفَ إدغار:

- في الحقيقة، قصَّتُكَ لا تقفُ على رجليها. اِحْكِ لهما الأمر، أعتقد أنَّنا نستطيع أن نثقَ فيهما.

- تستطيعان ذلك! وعدتُهُما.

اعترف لنا دييغو بحكايتهما، وهو يُقدِّمُ لنا كأس عصير البرتقال.

منذ وفاة زوجته، كان ابنُهُ قلقاً لأنه يعلمُ أنَّ أباهُ وحيدٌ، وكان يُلِحُّ عليه أن يلحقَ به في كندا. لكن الشيخ كان يرفُضُ: لا يريد أن يكون حِمْلاً على أحد. ولم يكن يريد كذلك أن يقلقَ ابنُهُ بسببه، لذلك، منذ ثلاثة أشهر، كان قد انتقلَ للعيش في دار العجزة.

- التخلّي عن البيت الذي يؤوي جميعَ ذكرياتي كان طعنة كبيرة في قلبي، قال متنهِّداً. لكن ذلك كان الثمن الضروريَّ لراحة بال ولدي.

هناكَ التقى بإدغار، كان يقيمُ في الحجرة المجاورة منذ وفاة زوجته سنةً قبل ذلك. أما هو فلم يكن لديه الخيار: أصدر كلٌّ من ابنته وصهره قراراً بأنه لا يستطيع أن يظَلَّ في بيته بعد أن أشعل النارَ في الفرن الكهربائي وهو يطبخ المعكرونة.

التقتْ وحدتاهُما. وكان الزمنُ ينصرمُ ثقيلاً، والأيام تتباطأ، والأحاديث تموء. لم يعودا ينتظران سوى أمر وحيد: الخلاص.

لم يصل الخلاصُ مثلما كانا يتصوّرانه، ولكنه حلَّ على شكل سيارة تخييم.

- جاء مديرُ دار العجزة يستعرضُ آخرَ ما اقتناهُ أمامَ أعين الموظفين والمقيمين. هكذا، حكى إدغار. كنا نراقبُ المشهدَ من الساحة، فقد كان ذلك تسلية اليوم. وفي لحظةٍ، اختفى الجميعُ داخل المبنى. اغتنمنا تلك الفرصةَ لنذهب لنستمتع بالمركبة عن قرب. وهناكَ انقلبَ كلُّ شيء.

كان المفتاحُ في محرِّكِ السيارة ووثائقُها فوق لوحة القيادة. جلس دييغو أمامَ عجلة القيادة، وصعد إدغار إلى كرسيِّ الراكب. شاهَدَا، في مرآة الرؤية الخلفية، المديرَ وهو يجري طويلاً خلف السيارة، وهما لا يزالان يضحكان من الأمر إلى اليوم.

لم يكونا قد خطَّطا للأمر، ولا يعرفان إلى أين يتوجَّهان. لم يكن لديهما سوى سيارة تخييم فخمة وخزّان وقود يكفي لعشرة آلاف كيلومتر.

- سرنا بالسيارة ساعاتٍ، بلا هدف، استأنفَ دييغو. كنّا متحمِّسين مثل طفلَين. ولحسن الحظ كنتُ أحملُ معي كيسي حيث توجد نظارتي، وأدويتي، وبطاقتي البنكية. توقّفنا عن السير عندما اشتعل مؤشِّرُ الوقود، ولكن لم نتمكن من فتح ذلك الخزّان الملعون. لكن لحسن الحظ، جاء رجلٌ ليساعدنا. كان يرتدي قميصاً بمربّعات.

كان جوليان مقبلاً على الانطلاق في رحلته الجديدة. لاحظَ، منذ أول وهلة، أنَّ أمراً ما لا يسير على ما يرام، فاعترفَ له الجدَّان

بكلِّ شيء. أثَّرتْ فيه حكايتُهما، فشرح لهما أنه في اليوم الموالي كان عليه أن يلتحق بأصحاب سيارات تخييم آخرين من أجل رحلة إلى اسكندنافيا. واقترح عليهما أن ينضمّا إلى المجموعة، بشرط أن يُخبِرا ذويهما.

حكى إدغار ما تبقى من الحكاية:

- فكّرنا طوال الليل. وفي الصباح الباكر، بعد أن اقتنينا ملابس، اتّصلنا بأبنائنا من هاتف جوليان. كان المدير قد أخبرهم بالأمر. وكان ابن دييغو شديد القلق علينا؛ أما ابنتي، فكانت شديدة الغضب بسبب سيارة التخييم. توسّلوا إلينا أن نعود، فأكَّدنا لهم أننا سنفعل. لكننا لم نُحدِّد متى.

كانت ليلي قد خلعتْ نظارتها وتشربُ كلماتهما.

- وإذاً، هذه ليست رحلة كان عليكما أن تقوما بها رفقة زوجتيكما؟ سألتْهما.

- ليس تماماً، أجاب إدغار. كانت روزَتي تكرهُ البردَ، ومادلين لا تحبُّ السفر. عندما حدَّثَنا جوليان عن الرحلة، فكَّرْنا في أنها ستكون أروعَ طريقة لختم إقامتنا على الأرض. إننا، في العمق، لم نكذب حقيقةً: فأنا واثقٌ من أنهما ستُهنّآننا يومَ نلحقُ بهما.

بقينا صامتَتين مدةً طويلة. هما، مستغرقَين في ذكرياتهما؛ ونحن، غارقتَين في دهشتنا.

- هذا لا يُفسِّرُ صورةَ الإطار! سألتُهما متعجِّبةً أخيراً.

هزَّ إدغار رأسه:

- في ذلك الصباح الذي جئتِ فيه عندنا لتناول القهوة، كنتُ قد اشتريتُها لتوِّي من ايكيا، في ستوكهولم. كان عذراً ممتازاً لإقناع الآخرين بحكايتنا، فقد كنا نخشى أن نثير الشكوك.

تدخَّلَ دييغو قائلاً :

- أنتما تفهمان، لم أسرق شيئاً في حياتي من قبل، ولو طابعاً بريدياً! أشعرُ كأنني طريدٌ، أتوقَّعُ حضور الشرطة في كلِّ لحظة، كدتُ أُصابُ بنوبة عندما فتّشَت الجماركُ سياراتنا. كنا نحتاجُ إلى حكاية قوية، وكان علينا أن نتجنَّبَ الحديث عن دار العجزة، فكلُّ ما فعلناه هو أننا حوَّرْنا الحكايةَ بعض الشيء؛ أرملانِ يشاركان في رحلة منظَّمة رفقة زوجتيهما، فهذا سيمنع الناس من أن يُكثروا من الأسئلة. فنحن ليس لدينا أيُّ خبر، لا نعلمُ إن كان أبناؤنا قد تمكّنوا من تهدئة الأمور، أم إنَّ الإنتربول يقتفي آثارَنا. أعترفُ أنَّ الأمر لا تنقُصُهُ المتعةُ، فكثيراً ما نقول بعضُنا لبعض إننا لم نشعر بدبيب الحياة مثل الآن. لكننا، مع ذلك، نخاف أن يُفتَضَحَ أمرُنا.

استنشق نَفَساً عميقاً، ثم تفحَّصَنا بتوجّس:

- ستُبَلِّغون عنّا؟

عقدتْ ليلي حاجبيها :

- أنا لستُ واشيةً.

شرع دييغو في الضحك، وقلَّدَهُ في الحال صديقُهُ. وفعلتْ شقيقتي مثلهما، وهي تُمسِكُ ضلوعها من الضحك. ودون أن أتوقَّعَ ذلك، ارتفع صوتي مع أصواتهم، وقهقهنا معاً دقائقَ طويلةً.

بعد ذلك، عندما غادرناهما، فكّرتُ في أننا، معشر الآدميين، سنكون في ورطة كبيرة إن لم نكن موهوبين بالضحك. سنكون، على الدوام، مضطرّين لإبراز عواطفنا الحقيقية.

# آنا

انصرف الأطفالُ إلى النوم، حتى الكبار منهم. موضوع الأمسية هو «الحقيقة أم التحدّي». حاولَ أغلبُنا أن يتنصَّلَ من الحضور باختراع مشاغل جدّ مستعجلة، غير أنَّ حماس جوليان حوَّلَها إلى مشاغل ثانوية.

وبما أنَّ درجات الحرارة أكثر لطفاً، فقد أقمنا في الخارج، بعيداً عن المركبات. لن ينزل الليل إلّا في وقت جدّ متأخر. تحتمي رُكَبُ الأكثر تأثّراً بالبرد بألحفة، وتحترق الشموعُ، وجميع الكؤوس، باستثناء كأس مارين، مترعةٌ بالأكوافيت، شرابٌ كحوليٌّ محلِّيٌّ، أثملُ لمجرد شمِّ رائحته.

يُديرُ جوليان العجلةَ، التي صنعَها، لتحديد مصير فرانسواز، فتقفُ عند «تحدّي». يأخذُ أوراقاً صغيرةً كنّا قد سجّلنا عليها الرهانات والأسئلة.

- يجب أن تحكي نكتةً بلهجة الكيبيك.

تردَّدَتْ فرانسواز وهي تفكِّرُ في الأمر، مبرِّرةً ذلك بكونها لا تعرفُ حكاية مسلِّية، ثم في الأخير انطلقت تحكي.

- إنها هرّةٌ تدخل إلى صيدلية وتقول: «أريدُ شراباً من أجل سُعالي».

ترفعُ ذقنَها، بادية الاعتداد بنفسها. أنتظر بقيَّةَ النكتة، قبل أن أُدركَ أنها قد اكتملتْ. وأحتاج إلى دقائق عديدة لأفهم. ألقي نظرةً حولي، فأقرأُ الارتيابَ على جميع وجوه الحاضرين.

- أنت تعلمين أنها ليست لهجة الكيبيك؟ يسألُ فرانسوا زوجته.

- أعلمُ، لكنني لا أعرفُ سوى لهجة مارسيليا! أليستْ مضحكةً نكتتي؟

- بلى، بلى! أكَّدنا لها بصوت واحد.

تشعر بالرضى، فتُلقي في جوفها بشربة كحول وتُديرُ العجلةَ من أجل غريغ.

- حقيقة!

تأخذُ ورقةً، وينتظر غريغ السؤال بتوجّس.

- اكشفْ لنا عن آخر حلم رأيته.

- آه! يقول، باديَ الاطمئنان. كان ذلك في الليلة الماضية، حلمتُ أنني أمشي في زقاق مظلم، وحيداً، وكانت المتاجر مقفلة، ولم يكن هناك لا سيارة، ولا طائرة، ولا طائر. لم أكن أعرف وجهتي، وفجأةً، وصلتْ شقراء جميلة، كانت حولها هالة من النور، أمسكتْ بيدي بلطفٍ، وتبعتُها ولم أعدْ ضائعاً. كنتِ أنتِ، مارين، حبيبتي.

تُقهقهُ مارين.

- طيّب، يا فؤادي، يمكنكَ أن تقول الحقيقة! فلن أنزعج.

- حسناً، إذاً. حلمتُ أنني آكلُ همبورغر فوق مزلجة وأنَّ أرنباً يُخبرني أنَّ المطر سيسقط.

يُخرجُ ورقةً دون أن ينتظر ردودَ أفعالنا.

- إدغار، حقيقة! احكِ لنا أجمل ذكرياتك.

يتنفَّسُ الشيخُ طويلاً، ويبدو أنَّ الغوص في ذاكرته مؤلم.

- أجمل لحظة في حياتي هي لقائي بروزَتي. كنتُ في الخامسة والعشرين. كنتُ أمُرُّ كلَّ صباح، وأنا ذاهبٌ إلى العمل، أمام المدرسة حيث كانت تُدَرِّسُ. كانت تبتسم دوماً، تلك الابتسامة التي تملؤكَ دفئاً وأنت مقرور. استغرقتُ ثلاثة أشهر كي أجرؤ على تحيَّتها من بعيد، وثلاثة أشهر أخرى كي أجرؤ على الحديث إليها. انتظرتُها ذات مساء، عند خروجها، حاملاً باقة ورد، وعرضتُ عليها أن أرافقها في عودتها. لم تكن تقطن بعيداً، فقطعنا المسافة راجلين. وعندما وصلنا أمام بيتها، كانت تعرف عني كلَّ شيء وأنا لا أعرف شيئاً عنها، فاقترحتُ عليها أن نعيد الكرَّةَ في اليوم الموالي. لن أنسى أبداً نظرتَها لحظةَ دنوتُ منها، والورود بين يدَيّ. أبداً.

ينزلُ الحزنُ على الطاولة. ويضع دييغو يدهُ على كتف صديقه. وأطردُ بجرعة كحول تلك العقدةَ المتشكِّلة في حنجرتي.

- إدغار، دوركَ الآن لتدير العجلة! يهمس جوليان.

ينصاعُ الشيخُ للطلب، ويكون على مارين أن تُنجِزَ تحدّياً.

- اذكري عشرة عناوين أغنيات مستبدلة كلمة بأخرى.

لا تفكِّرُ، وأرتاب في أنها هي من حرّرتْ ذلك الرهان. وتشرعُ في تعداد العناوين، واحداً بعد الآخر، وهي تعدُّها على أصابع يديها.

تتوقّفُ، وعلى شفتيها ابتسامة افتخار. يجذبُ دييغو نَفَساً من غليونه بصمت، وينظر إدغار إلى البعيد، وتتّسعُ عينا فرانسواز، ويحمرُّ وجهُ زوجها. ويقهقه غريغ، فلا أستطيع أن أمنع نفسي من محاكاته.

ثم يحلُّ دوري.

- حقيقة! تصيح مارين وهي تفسخ الورقة. من هو الشخص الذي تجدينه الأكثر جاذبيةً من بين الجالسين حول الطاولة؟

أضحكُ، واثقةً من أنها تمزح. لكن الأمر ليس كذلك.

- جوليان، أجيبُ قبل أن تخذلني شجاعتي.

- آه! كنتُ واثقةً من ذلك! تصيح مارين.

- لنقُلْ إنَّ الخيار محدود. إدغار وديبغو لطيفان، لكن السؤال حول الجاذبية. فرانسوا وغريغ متزوجان، فلم يفضُل سوى جوليان.

تظاهر جوليان بالاستياء، فتداركتُ سوء تعبيري:

- أوه، لكنني لم أقصد أنَّكَ لا تجذبني، جوليان! كنتُ أشرح لماذا انتقيتُكَ فحسب، وهذا لا يعني أن...

أتوقَّفُ عن الاسترسال في كلامي، فما يزيد تبريري الأمر سوى تأزيم. فاضطلعَتْ جرعةُ أكوافيت بإسكات إحساسي بالذنب. وتبكي مارين من شدّة الضحك.

أديرُ العجلة.

ساعة بعد ذلك، قلَّدَ إدغار جاك شيراك، وارتدى غريغ تبّانَهُ فوق سرواله، وحكى ديبغو مرَّتَهُ الأولى، وأدَّتْ فرانسواز إشهاراً لنوع من مزيل رائحة العرق، وأصيب فرانسوا بجرح في ذقنه وهو يحاول أن يحقِّقَ قفزةً خطيرةً، وقشّرتْ مارين تفاحةً بأسنانها، واعترفتُ بأكبر كذبة لي، وقام جوليان بدورة حول موقف السيارات وهو يُقلِّدُ الدُّبَّ الجائع، وتوالى العديدُ من التحدّيات والحقائق.

القنّينةُ فارغةٌ، ونحن مُتْرَعون. والدَّورُ على مارين لتحكيَ أكبر شعور بالعار مرَّ عليها.

- طيّب، سأحكي بإيجاز، كنتُ أسيرُ في الشارع، والجميع ينظُرُ إليَّ، فقلتُ في نفسي إنني قد أحسنتُ فعلاً بارتدائي تنورتي

القصيرة ذات الورود، وكنتُ أتهادى في مشيتي تيهاً بجمالي كأنني نجمة من نجمات الاستعراض، غير أن نجمة الاستعراض سرعان ما انتبهتْ إلى أن تنورتَها عالقةٌ في التُّبان.

ننفجر جميعُنا ضاحكين ونحن نتخيَّلُ المشهدَ، وأحاول أن أواسيها:

- يحدثُ كثيراً أن تعلقَ التنّورة في التبّان. . .

- أجل، تردُّ عليَّ، لكن أيحدثُ كثيراً أن يكون بعضُ وَرَقِ الحمّام قد علقَ بدوره؟ وأنه يطير خلفك مثل ذيل؟

تتضاعفُ الضحكاتُ، وينفجر ضحكي إلى حدِّ أنني أشعر بالألم في بطني، ويزيدُنا إيغالاً في الضحك، تظاهرُ مارين بالامتعاض وهي تجاهد كي لا تضحك مثلنا.

- حسناً، الآن دوركِ أنتِ! تقول لي دون أن تنتظر أن نهدأ. تحدٍّ!

تستخلصُ ورقةً وتقرأُها:

- يجب أن تُقبّلي جارَكِ على اليمين على فمه.

أديرُ رأسي لأتأكَّدَ من أن جاري على اليمين لا يزالُ هو نفسه منذ الدقيقة السابقة، وطبعاً هو جوليان. ننقلبُ جادّين في الحال.

أميلُ عليه دون تفكير وأطبعُ قبلةً على خدِّهِ.

- على فمه! تؤكِّدُ فرانسواز بإمعان.

أقهقهُ. تُشبهُ أفكاري باباً دوّاراً، لكنه بابٌ دوّارٌ لا يزالُ لديه بعض العقل.

- أريني الورقةَ يا مارين!

تتظاهرُ بأنها لا تسمعني.

- مارين!

- ماذا؟

- أريني الورقة من فضلكِ.

- أية ورقة؟

- توقَّفي. إنك قد اخترعتِ السؤال.

- هراء.

- أتعلمين أنكِ إن كذبتِ في أثناء الحمل، فإنَّ طفلك سيكون وزنُهُ أكثر من ستة كيلوغرامات عند الولادة؟

- هراء.

- هذا صحيح، يتدخَّلُ جوليان بشكل جِدِّي. وسيكون له أنفٌ من خشب.

لا أستطيع أن أحبس نفسي عن الضحك، ولا هو كذلك. وينهضُ إدغار ببطء أشدَّ من عادته.

- أنسحبُ إلى رواقي! يُعلِنُ بين فُواقين.

- لكن آنَّا لم تُنجِزْ رهانَها! تحتجُّ مارين.

أنهضُ بدوري وأنا أبتسم في وجهها ابتسامةً كبيرة.

- سأذهبُ للنوم، ليلتُكم سعيدة!

يقلِّدُني جوليان، ثم فرانسواز وفرانسوا. وتظلُّ مارين جالسةً، شابكةً ذراعيها.

- كانت محاولة جيّدة.

- سأُحقِّقُ ذلك قبل نهاية الرحلة، تُغمغمُ مارين.

- أنتِ جِدُّ ودودة.

- أجل.. أجل. أنتِ محظوظة لأنكِ تروقينني.

أهمسُ ببضع كلماتٍ في أذنها، فيستنيرُ وجهها، وتُطلِقُ صرخةَ

فرحٍ صغيرة. أُقبِّلُها وأتوجَّهُ إلى سيارة تخييمي. تتأرجحُ الأرضُ، فيندَسُّ ذراعٌ تحت ذراعي. إنه جوليان.

- سأرافقُكِ، يبدو أنَّ هناك دببة جائعة، يهمسُ لي.

- أنتَ على حقّ، هناكَ أيضاً كيبيكيّون ذوو لكنة مارسيلية.

نعبُرُ موقفَ السيارات ونحن نحاول أن نستقيمَ في مشيتنا، شابكين ذراعينا، ثم يسحبُ ذراعَهُ عند وصولنا أمامَ بابي.

- حسناً، إذاً، ليلة طيّبة، يهمس لي.

- ليلة طيّبة، جوليان.

أبحثُ عن المفتاح في جيب معطفي، لكنه لا يتحرّكُ. أرفعُ عينَيّ نحوهُ، يتفحّصُني بإمعان. يضعُ يدهُ برفق على خدّي، ويداعبُهُ. أُغمِضُ عينَيّ. وعندما أفتحهما، يبتسمُ لي، يستديرُ ويبتعد متّجِهاً نحو سيارته. ويتركنا هنا، أنا، وثمالتي، ورغبتي.

# أخبار كلوي

عندما أخبرتنا أمي أننا سنسلكُ طريقَ المحيط الأطلسيّ، لم أفهمْ لماذا كانت تبدو شديدة الاستثارة. الآن، أعلمُ.

كانت طريقاً طويلة من ثمانية كيلومترات، تعبُرُ فوق المحيط مرتكزة أحياناً على جُزر صغيرة. تتوالى الجسورُ والأرصفةُ المرجانية، مع رؤية تُطِلُّ على الأمواج، والفيورد، والجبال. كنا نسيرُ فوق البحر. وكان الماء يرقصُ من حولنا، والرّذاذُ يسقطُ على زجاج السيارة، وكانت أمي تقودُ ببطء لتسمح لنا بالاستمتاع إلى أقصى حدّ، لكن الحدَّ الأقصى لم يكن كافياً. وعندما وصلنا إلى نهاية الطريق، قفلنا عائدين لتكون متعتُنا مضاعَفَةً.

وكنّا بصدد عبورنا الثالث عندما رَنَّ الهاتفُ. كان المتّصِل أبي. أجبتُهُ.

- مرحباً أبي! لن تُخمِّنَ أبداً المكانَ الذي نوجدُ فيه الآن!

- مرحباً حبيبتي، أخبريني بكلِّ شيء، يبدو من صوتِكِ أنَّ كلَّ شيء على ما يُرام!

وصفتُ له المنظر مباشرةً، وكنتُ أنقُلُ إليه جميعَ التفاصيل، كنتُ أريدُ أن يكون معنا بعضَ الشيء. وكان يتنهَّدُ من الرغبة فوعدتُهُ أن أرسلَ إليه صوراً كثيرة.

- هذا لطفٌ منكِ حبيبتي. طيّب، قد لا يكون الوقتُ مناسباً، لكنني اتّصلتُ بكِ لأقول لكِ أمراً.

أغلقتُ أذني الحرَّةَ بسبّابتي لأسمعه بشكل أفضل.

- أمرٌ خطير؟

- لا، لا، لا تقلقي. إنما هو...

تنفَّسَ بعمق. وكنتُ خائفةً.

- كنتُ أريد أن أقول لك فقط إنني، أخيراً، لن أطالبَ بحضانتكما.

- حسناً، أجبتُهُ. أعتقد أنَّ هذا أفضل، خصوصاً أننا سيكون في إمكاننا أن نراكَ أكثر، الآن وقد أصبح لديكَ بيتٌ!

- الأمرُ معقَّدٌ بعض الشيء...

- كيف ذلك؟ أيُّ تعقيد في الأمر؟ لم تكن تأخذنا عندكَ لأنَّ بيتكَ كان صغيراً جدّاً، لكنك الآن تستطيع ذلك، فأين هي المشكلة؟

سمعتُهُ يتنهَّدُ.

- أنا آسفٌ، حبيبتي، كنتُ أوَدُّ كثيراً أن أستقبلكما مرّاتٍ عديدة كلَّ شهر، وهذا ما كنتُ أوَدُّهُ دائماً في الحقيقة...

- فلمَ لا تفعل ذلك إذاً؟

كان صوتي قد صار حادّاً.

- لأن أُمَّكِ تمنعني من ذلك.

همسَ بالجملة الأخيرة، تكاد لا تُسمع، لكنها مزَّقَتْ قلبي. نظرتُ إلى أمي، كانت يداها متشنِّجتين وهما تقبضان على مقود السيارة.

- لماذا؟ سألتُهُ.

- ليست لديَّ أدنى فكرة عن السبب. أُصارِعُ منذ سنواتٍ لأتمكَّنَ من رؤيتكما، لكنها لا تريد. عديني ألّا تكلِّميها في هذا الأمر، حبيبتي، فلن يزيد ذلك الأمر إلّا تأزُّماً. أخشى أن تمنعني من الاتصال بكما بالهاتف كذلك.

- سأتركُكَ، بابا، قبلاتي.

- عديني!

لم أعِدْهُ. أقفلتُ الهاتفَ وأنا أضغطُ على أسناني. كنتُ أنظُرُ إلى الأمواج، وأنا أتمنى أن تهيج وتنفلتَ، أن تتحطَّم على الصخور، وأن تكون في انسجام مع ما كنتُ أشعرُ به. كانت أمي صامتة. وحاولتُ أن أظَلَّ أنا كذلك صامتة، ألّا أخون أبي، لكنني لم أُفلِحْ. هاجَمَها صوتي.

- لِمَ فعلتِ ذلك؟

- لِمَ فعلتُ ماذا؟

- لماذا منعتِ أبي من رؤيتنا؟ لماذا لا تريدين أن نذهبَ عنده؟

وضعتْ يدَها على فخذي.

- حبيبتي، أنا...

- لكن تبّاً، هذا صحيحٌ إذاً؟ ما قالهُ صحيحٌ؟

كنتُ أصرُخُ. وغامتْ رؤيتي. كنتُ أنتظر أن تقول لي إنَّ في الأمر سوء تفاهم، وإنه أخطأ الفهم، وإنها لم تحرمني من أبي بشكل متعمَّد كلَّ تلك الأعوام، لكنها لم تقل ذلك.

- سنتوقَّفُ في مكان قريب، ونتحدَّثُ عن كلِّ هذا. لم أسْعَ أبداً إلى أن أتسبَّبَ في عذابك...

- لا تهمُّني شروحاتكِ! لن أغفر لكِ أبداً ما فعلتِهِ بنا!

كانت دموعي تفرُّ من عينَي، وتسيلُ على خدَّي، وعلى عنقي، لكنها لا تُطفئ غضبي. أدارتْ ليلي رأسَها نحوي وغرسَتْ عينيها في عينَي:

- كلوي، هل نسيتِ؟ هل نسيتِ حقّاً أنَّ بابا كان يضربُ ماما؟

# آنا

الموسيقى على أقصى صوتها في سيارة التخييم. وأنا والبنتان نصدحُ بأغاني فرانسيس كابريل. كانتا قد حفظتا كلماتها عن ظهر قلب من كثرة ما سمعتاني أُنصِتُ إليها عندما كانتا صغيرتَين.

نتأهَّبُ لنسلكَ طريقَ الترول، سكّان المغارات الأسطوريين. قمنا بزيارة خاطفة فحسب، لكن كان لا بدَّ أن نقوم بها. عند المنعطف الأول، نقطعُ الموسيقى، والأصواتَ، والأنفاسَ.

الطريق شديدة الضيق وعلى حافة الجبل، تصيبُ بالدُّوار. وعلى يميننا، يرافقنا سيلٌ غاضبٌ.

- أوه، انظري! تصيح كلوي.

أعطَبَتْ طبلةَ أذني، لكن لا بأس. قبالتنا، يرتمي شلالٌ في الفراغ، كأنه ينبجس من الصخر الداكن. ما أعظم المشهد.

تضعُ كلوي رأسها على كتفي. منذ نقاشنا منذ يومَين، صارت أكثر حناناً من أيِّ وقت مضى. لم أخُضْ في التفاصيل، لكنني أجبتُ عن أسئلتها. لم ترتَبْ في الأمر أبداً، فصعقها ما علمتْهُ. تطايرت الصورة، التي كانت تحملها عن أُسرتها، شظايا. لقد أخطأتُ عندما احتفظتُ بالسرِّ. وكانت ليلي بدورها حريصة على أن تبيِّنَ لي أنها تُعضِّدني، فأهدتْني حفنة من حجارة «شديدة النعومة»، مثلما كانت

تفعل عندما كانت صغيرة. لم أتصوَّر أنها يمكن أن تتذكَّرَ ذلك المشهد. لكنها لم تنسَ أيَّ شيء.

تتوالى المنعطفاتُ الحادّةُ، ولا تعرف عيوننا أين تستقرُّ، فالمناظرُ كلُّها رائعة. على يميننا، أَنَفَةُ الصخر المنحوت، وعلى يسارنا، الفراغُ، وبعيداً في الأسفل، الوادي المخضرّ.

نعبرُ شلّالَين عظيمَين، ينزلان من الجبل، لا تفصلنا عنهما سوى بضعة أمتار. أما الشلّال الثالث فيتركنا ذاهلات. يندفعُ الماءُ، يقفز من صخرة إلى أخرى، ويتهاوى، ويسقطُ في الفراغ، نافثاً في مروره سُحباً من رغوة في ضوضاء تصمُّ السمعَ. منظرٌ جميلٌ حَدَّ الرغبة في البكاء.

- أحبُّكم، تقول كلوي.

- وأنا أيضاً، أحبُّكم، أجيبُها.

- وأنا كذلك، تقول ليلي.

هنا، في هذه اللحظة بالذات، تغمرني دفقةُ سعادة. نحن أمام مشهد استثنائيّ، في مكان سحريّ، ونحن بخير، ونحن معاً. ما أحسن ما فعلتُ عندما اخترقتُ فقاعتي.

# ليلي

5 يونيو

عزيزي مارسيل،

أنتَ بخير؟ أنا بخير، غير أنني أكلتُ مقانق بلحم الرنّة. كان ذلك بسبب إعلان كاذب، فعندما اكتشفتُ الأمرَ كدتُ أتقيّأ.

زرنا كنيسة ستافْكيرك في قرية أورن، وهي كنيسة من خشبٍ واقفٍ. أرى أنَّكَ أنت أيضاً لا تفهم كثيراً ما الذي يعنيه ذلك، وهذا يُطمئِنُني. تصوَّرْ أنَّ الجميع ضحكوا عندما سألتُ إن كان الخشبُ يجلسُ عندما يصيبُهُ التَّعَبُ. إذاً، ليكن في علمكَ أنهم يُطلقون عليه ذلك الاسم، لأنهم استعملوا أعمدةً في بناء الجدران، والصَّحْن، والسقف. أرأيتَ، ها أنتَ تتعلَّمُ أموراً مني، هيه! المُهِم، زرنا الكنيسة، إنها أقدمُ كنيسة في النرويج، إنها أقدمُ من جدّتي، لذلك خاطبتُها باحترام. كانت جدَّ جميلةٍ بالنسبة إلى سنِّها، على الرغم من أنها صغيرة من الداخل، لكنني سرعان ما خرجتُ لأنَّ نُوِي كان يُفضِّلُ أن يبقى في الخارج.

جلسنا على العشب، وكنّا نشاهد الفيورد، ولا نقول شيئاً، فلم

نكن في حاجة إلى الكلام. أحبُّهُ كثيراً، نُوِي، أتعلمُ؟ باستثناء أسرتي، فهذه أول مرة أحبُّ شخصاً، ليس حيواناً، بهذه الطريقة. إنه لا يكذبُ، وهو لطيفٌ، وأجدُهُ مُسَلِّياً. ذات مرة، كان يُصدِرُ أصواتاً غريبةً، أضحكتني، فواصلَ إصدارَها، وأنا على يقين أنه كان يتعمَّدُ ذلك ليسمعني أضحك.

لم تكن أمي تتحدَّثُ كثيراً إلى جوليان، كانت تظلُّ رفقة كلوي لأنها كانت حزينة. ولم تكن تريد أن تقول لماذا، لكنها في الأخير لم تتمكَّن من أن تمنع نفسها من ذلك، لأنَّ الألم يؤلِمُ في الداخل أشدَّ من الخارج. لقد علمتْ، في الحقيقة، على الفيسبوك، أنَّ حبيبَها كيفين لديه صديقة جديدة، فلا تسأل عمَّا حدث. منذ ذلك اليوم، تحاول ألّا تُفكِّر في الأمر، لكنني أرى جيّداً أنَّ ذلك لا يفيد، وإلّا لما قضتْ كلَّ وقتها تقول إن لا أحد سيحبُّها أبداً، وإنها تافهة، وقبيحة، وبلهاء، وإنها ستُنهي حياتَها وحيدةً.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن اطِّلاعَها على ما كان يفعلُهُ أبي بأمي لم يُصلح الأمور، فإنها على يقين أن جميع الرجال لا يصلحون إلّا لتعذيبها. ربما لم يكن ينبغي لي أن أحكيَ لها ما حدث، لكنها منذ سنوات أسمعُها تُكَرِّرُ أنَّ أمي هي السبب في كل ما حصل، والمسكين بابا، وكذا وكذا وكذا، فقرّرتُ أن أعيد الحقيقة إلى نصابها.

ويبدو أنَّ أمي كانت تعتقد أنني نسيتُ لأنني كنتُ جدّ صغيرة، لكنك عندما ترى أمك والدَّمُ يُغطّي رأسَها، يمكنني أن أقول لك إنك لن تنسى ذلك. لم أرَ أبي بعد ذلك كثيراً، لكنه كلَّما رآني كان يحاول أن يعرف إن كنتُ لا أزال أتذكَّرُ ذلك. لا بدَّ أنه كان يجد الأمر غريباً ألّا أكون لطيفةً مثل كلوي. يجب ألّا تذهب بك الظنونُ، فأنا قد أبدو هكذا، لكنني لا أنخدعُ لأحد.

عندما انصرفنا من الكنيسة، على ظهر المركب، انخرطَتْ كلوي في البكاء. لا أعرف ما أفعلُ عندما يحدثُ ذلك، فلم أفعل أيَّ شيء، لكن عندما رجعنا إلى سيارة التخييم، أخرجتُكَ من تحت الوسادة، وفتحتُكَ على صفحة أوَّل مايو وجعلتُها تقرأها.

أرأيتَ يا مارسيل، قد لا أتقدَّمُ في الرياضيات في أثناء هذه الرحلة، لكنني أتقدَّمُ في علاقتي بشقيقتي.

وتقبّل فائق تحياتي.

ليلي

ملاحظة: لديَّ زغبة في إبطي الأيسر.

# أخبار كلوي

جعلتْني ليلي أقرأ صفحةً من مذكراتها، لكنني لم أفهم كلَّ شيء، تُخاطِبُ شخصاً اسمُهُ مارسيل.

فيما يلي ما كتبتْهُ في الأول من مايو.

**عزيزي مارسيل،**

**يجب أن أُحدِّثَكَ عن شقيقتي، كلوي. سبق أن حدَّثتُكَ عنها، لكنني هنا سأحدِّثُكَ عنها أكثر.**

**شقيقتي، هي الشخص الذي أعرفُهُ منذ أطول مدة، بعد أمي وأبي، وهذا يكفي لتُدرِكَ أننا قضينا فترة طويلة تتحمَّلُ إحدانا الأخرى. لهذا السبب يَكثُرُ شجارُنا، وأيضاً لأنها تضايقني. تصرخُ، وتبكي، وتصيح، وتستولي على الحمّام مدة ساعة في الصباح، وتحسبني بلهاء، ولا تريد أبداً أن تلعب بالتظاهر بالتحدّث بالإنجليزية بطلاقة. لكن كلّ ذلك لا يهمُّ، لأنني كان يمكن أن أكون شقيقةَ قاتلةٍ متسلسلةٍ أو مدرِّسةَ رياضيات، لذلك فأنا لا أبالغُ في الشكوى.**

**تملكُ خصالاً كثيرة، وليس مظهرها فحسب.**

تُتقنُ التمثيل: لو رأيتَها البارحة، وهي تُخبِرُ أمي بأنها حامل، فقد كنتُ قريبة جدّاً من أن أمنحها جائزة سيزار.

إنها لطيفة: تتظاهر بأنها لا ترى الفواتير التي تُخفيها أمي في الخزانة (مثلي) ودائماً تأتي لتتأكّدَ من أني بخير قبل أن تنصرف للنوم.

إنها ذكية: فازت في مسابقة الكتابة السنةَ الماضية وتعود دائماً بعلامات جيّدة من الثانوية. ثم، إنها تستطيع أن تستظهر حروف الأبجدية بسهولة كبيرة.

إنها كريمة: ذات يوم أعطتني قطعةَ بطاطس مقلية.

لا أدري كيف أنها لا ترى كلَّ هذا، لأني أراهُ أوضحَ ممّا أرى عينَيها أو شَعرها. أتعلم؟ عندما أملُّ من كوني غريبة، مثلما يقولون في الإعدادية، فإنني أودُّ أن أكون مثلها. لكنك إن أخبرتَها بهذا الكلام سأضطرُّ إلى أن ألقيَ بكَ في النار.

قبلاتي مارسيل

ليلي

ملاحظة: يبعثُ إليكَ ماتياس بسلامه.

التقطتُ صورةً للصفحة، لأنني خشيتُ ألّا أُصدِّقَ الأمر عندما أُفكِّر فيه من جديد. لحقتْ بي ليلي في السرير.

- لم أكن أعلمُ أنَّ هذا رأيك فيَّ، قلتُ لها.

- كنتُ قد طلبتُ من مارسيل ألّا يُخبركِ بذلك، يا له من واشٍ صغير!

ابتسمتُ. لم تتكلم بعد ذلك، لكن الرسالة كانت قد مَرَّتْ.

فتلك الصفحة كانت بمثابة «أحبُّكِ» التي لم تكن تعرف كيف تتلفّظُ بها.

فكرتُ من جديد في أشعار لوي، ساذجة، وبسيطة، ومنتَحَلة، لكنها تملكك بصراحتها. رسائل مجهولة، لا تنتظر أيَّ رَدٍّ.

ها إنَّ ابن تسعة أعوام، وبنتَ اثني عشر عاماً، قد قدَّما لي درساً في الحياة. يمكن أن يُحبَّني الآخرون دون مقابل.

# آنا

عندما طرقتْ مارين بابَ سيارة التخييم هذا الصباح، أدركتُ الأمرَ في الحال. كانت عيناها حمراوين ويداها موضوعتين على البطن.

- سترحلان؟

لم تستطع الإجابة. هزَّتْ رأسها وانخرطت في البكاء. دعوتُها إلى الدخول.

- حسناً، لكن بسرعة، قالت وهي تنشج، يجب أن أساعد غريغ في ترتيب جميع الأشياء. لا نريد أنِ ننطلق في الطريق متأخّرين. سنلتقي من جديد؟

خرجت البنتان من سريرهما، وكانت ليلي تعرضُ حاجبيها اللذين تُبديهما عندما لا تكون مسرورة.

- أكيد سنلتقي من جديد! تولوز وبياريتز ليستا بعيدتين!

- لماذا لا تُكمِلانِ الرحلةَ؟ أرادتْ أن تعرف كلوي.

- استغرقتُ مدة طويلة في الاقتناع بفكرة أن يكون لدي طفل، لكنني الآن مستعدّة. أرغبُ في العودة لأنقل الخبرَ إلى الجميع وأهتمَّ بكل الأمور.

ضَمَّتْ مارين ابنتَيّ بين ذراعَيها.

- ما أشدَّ ما سأشتاق إليكما!

انضممتُ إليهنّ وأنا أقاومُ البكاء.

- كان التعرُّفُ إليكِ أمراً رائعاً حقيقةً، همستُ لها، وأحسستُ بيد مارين تضغطُ على ذراعي.

قبيل رحيلهما، ذهبنا لتوديعهما. كانت المجموعةُ كلُّها مجتمعةً أمامَ سيارتهما. وكانت السماء عبوساً، في تناسق مع الموقف.

استغرقا وقتاً في الانطلاق. دامت الأحضانُ المتبادلةُ طويلاً، وتوالت الوعودُ، وانبثقت الذكرياتُ. كان الموقف يعبق برائحة النهاية.

كنتُ أشعر أنني أُوَدِّعُ أصدقاء قدامى. لن تعود الأمورُ من غيرهما مثلما كانت. قالت ليلي إنَّ الأفضلين يرحلون أوّلاً، وتظاهرتْ فرانسواز بالامتعاض، فضحكَ الجميعُ. إنَّ الضحك هو أفضل بديل للدموع.

أخيراً، ابتعدت سيارتُهما، مُخلِّفَةً فراغاً هائلاً. عدتُ إلى سيارة التخييم، لأحتفظَ بقليل من معنوياتي. وما أن دخلتُ السيارة حتى أعلنَ الهاتفُ عن رسالة جديدة. كانت من مارين.

«نسيتُ: كلّ السعادة مع جوليان!».

كنتُ شرعتُ أشتاقُ إليها منذ تلك اللحظة.

تواصلت أنشطةُ النهار بزيارة بيرغن. أحَبَّتْ ليلي حيَّ بريغين، ببيوته الملوَّنة المستَنِدَةِ بعضها إلى بعض، وأزقَّتها ذات الأرضية الخشبية، بل إنها أعلنتْ أنَّ جميع الطرق ينبغي أن تُغطّى بالخشب، وبذلك سيخفُّ الألم عند الوقوع من الدراجة. لم تكُفَّ كلوي عن الإعجاب عندما ركبنا القطار المعلَّق للوصول إلى قمة تلٍّ تمنحنا

رؤية رائعةَ تُطِلُّ على المدينة، هذه الطفلة وُلِدَتْ لكي تُسافِر. توقَّفنا في سوق السمك، حيث اشترينا سندويتشات للغداء. وقد شاهدتُ كيف أنَّ ليلي كانت على وشك البكاء عندما أدركَتْ أنَّ تلك السندويتشات يمكن أن تُعَبَّأَ بالحوت.

نامت البنتان مبكّراً، ولا أستطيع النوم. أفكّرُ في مارين، وغريغ، في أولئك الأشخاص الذين نلتقي بهم مجرد لقاء ويكون لهم من الأثر في حياتنا ما لا يكون لمن نتقاسم تلك الحياة معهم. أفكّرُ في تلك السُّبُلِ التي تتقاطعُ، وفي تلك التي تفترقُ. في ابنتَيّ اللتين سترحلان ذات يوم. قريباً. أحتاج إلى الهواء.

آخذُ الهاتف وأرقنُ الرسالة. يصلُ الجواب في الحال. هو أيضاً لم يكن يستطيع النوم.

أرتدي معطفي وحذائي الطويل وأخرجُ برفق. جوليان قد سبقني إلى الخارج، تتجاوز منامتُهُ سرواله الجينز.

- ما الأمر المستعجل؟ يسألني.

- وطأةُ قلقٍ.

يبتسمُ:

- نتمشى قليلاً؟

- حسناً.

الطريق ليس مضاء، لكن النهار لا يزال يلعبُ الشوطَين الإضافيَّين.

- ما الذي يشغلكِ؟

- رؤية ابنتَيّ تكبران. أعرفُ أنها حماقة، وأننا لا نستطيع شيئاً إزاء ذلك، لكنني كلما فكرتُ فيهما عندما كانتا صغيرتين، أشعرُ بالرغبة في البكاء. مرَّت الأيام بسرعة شديدة. . .

- أفهمُ ذلك، فالوقتُ يهربُ بسرعة حقيقةً. أشعر كأنَّ نُوِي قد وُلِدَ أمس.

- هذا هو. أشعر أنني لم أستمتع بهما، وها هما غداً سيغادران البيت. لا أتمكَّنُ من أن أُسَلِّمَ بالأمر.

لحظةَ طلوع هذه الكلمات من فمي، أعي الوضعية.

- أوه عذراً، جوليان، أنا آسفة! كم أنا خرقاء بشكواي من كون ابنتَيّ ستصبحان مستقلّتَين...

- صحيح أنَّ ما يُقلقني هو عكس ذلك، فابني، دون ريب، لن يكون مستقلّاً بذاته أبداً، لن يغادر البيت وهذا أيضاً يمنعني من النوم. لكنني، مع ذلك، يمكنني أن أفهمَكِ! أنا أيضاً أحنُّ إلى تلك الأيام حيث كان يستقرُّ بين ذراعَيّ دون أن يتعثَّر بقدمَيّ.

أبتسم.

- عندما كانت ليلي في الخامسة من عمرها، أخبرتْنا معلّمتُها أنها متوحِّدة. لم تكن تتفاعل مع زملائها، ولم تكن تقريباً تتكلَّم، كانت تلعبُ بالحجارة وتكرهُ أن يلمسها أحدٌ. خفتُ كثيراً، وبعد شهور عديدة، استبعد الأخصائيون الاضطراب. وبعد مرور الوقت، أعتقد أن ما كنتُ أخشاهُ هو أن يرفضها الآخرون، لكن أيضاً، وأخجل من ذلك الآن، ألّا تكون فتاة صغيرة عادية.

- إنَّ الأمر ليس رهيباً، لو تعلمين. على العكس. عندما توصلنا بتشخيص حالة نُوِي، انهار عالمي. واحتجتُ إلى فترة لأقبلَ أن ابني لن يكون مثل الآخرين. نخاف من الاختلاف، فنرفُضُهُ. وفي الأخير، هو من دلَّني على الطريق. لا يلتفتُ إلى سخرية الآخرين، ولا يأبهُ لشرورهم. لا يتألَّمُ، بل أعتقد أنه سعيد. إذاً أجل، قد لا أستطيع أبداً أن أُعلِّمَهُ كيف يبني مراكب بلعبة الليغو أو

كيف يلتقي بفتاة يحبُّها، لكنه يعشق خذروفه بجنون، ويهوى مشاهدة مسير القمر في السماء، وتستهويه البروق. لقد علَّمني أشياء كثيرة.

نواصِلُ المشيَ صامتين. أمضغُ جهلي، وأهضمُ أحكامي المسبقة، فأنا بدوري يمكنني أن أقول إنَّ نُوِي قد علَّمني الكثيرَ. ينبغي أن تكون سعادة ابنتَيّ الأمر الوحيد الذي يهمُّني.

أقترح أن نعود، فقد ابتعدنا كثيراً.

لا يجيبني جوليان. يقفُ قبالتي وينظر إليَّ بإمعان. لا يبعد وجهه سوى سنتيمترات قليلة عن وجهي. يضعُ يدهُ على خدّي، وتداعبُ إبهامُهُ شفتَيّ. عيناهُ تلمعان بالرغبة. يقتربُ، وأُحِسُّ بأنفاسه الحرّى على بشرتي. تنزلقُ يدُهُ نحو رقبتي وتتوغَّلُ في شعري. أرتعشُ. يجذبني نحوه، وأغمضُ عينَيّ عندما يعثُرُ فمُهُ على فمي.

مكتبة
t.me/t_pdf

# أخبار كلوي

لم يكن أبي يكفُّ عن الاتصال بالهاتف، ولا أجيبُهُ. بعثَ برسالة نصّيةٍ ليقول إنه قلقٌّ، وإنَّ علينا أن نبعث إليه بعلامة على أننا أحياء. اتصلتُ به، فرأى أنني حيّةٌ حقيقةً.

- لا أرغبُ في الحديث إليك الآن. أحتاج إلى الوقت، يجب أن أهضم الأمر.

أنكَرَ في البداية. مجرّد كذب، فهو لا يستطيع أن يرفع يده على أيٍّ كان، ليس في مقدوره حتى أن يدهس عنكبوتاً، فكيف بهذا... أمك هي التي تكذب، وجدتْ وسيلةً جديدةً لتُفَرِّقَ بيننا. وشرع يبكي، وتوقَّفَ عن ذلك عندما أخبرتُهُ أنَّ ليلي لا تزال تذكر جيّداً تهديداته.

- لم يحدث ذلك كثيراً، قال بصوت خافت.

- ليس كثيراً، هو في حدِّ ذاته مرفوض. أنتَ قتلتَ براوني! إنَّك تصيبني بالاشمئزاز.

أقسمَ أنه قد تغيَّر، وأنه لم يعد الشخص نفسه، وأنه قد فطن إلى أخطائه. كان صوتُهُ يرتعش. ولم يرتعش صوتي، ولكن قلبي كان يرتعش. كنتُ أرغبُ في أن أحضنه وأن أبصق عليه. كنتُ غاضبة منه، وكنتُ أرثي له. أقفلتُ الهاتف وأنا أطلبُ منه ألّا يعود

للاتصال بي، فأنا التي سأتصلُ به عندما أكون مستعدّة لذلك. قال لي مرة أخرى إنه يحبني. أجبتُهُ أنا أيضاً أحبُّهُ، لكن لم أقل ذلك بصوت مسموع.

وافقتْ أمي أن أتجوَّلَ وحدي في بيرغن. اخترتُ أن أركب الحافلة، فموقف سيارات التخييم يوجد على بعد نصف ساعة مشياً، ولم أكن أرغبُ في المشي. في موقف الحافلة، كانت تقف لويز. قلت في نفسي إن مشي نصف ساعة ليس بالأمر الطويل. منذ ضَحكِنا الجنونيِّ، صرنا نتفاهمُ أكثر، لكن ليس إلى درجة أن نقضي النهار معاً. المشكلة أنها رأتني واقترحتْ أن تتبعني. فترافقنا في الطريق، وفي الباقي كذلك.

نزلنا في بيپاركن، حديقة كبيرة ملأى بالورود والكراسي، وأخذنا سيجارتين من مجموعة من الشباب. كان أحدُهم لا يكُفُّ عن النظر إليّ، فراقني الأمرُ.

- هل لديكِ صاحب؟ سألتني عندما جلسنا.

- كان لديَّ واحد، لكنَ الأمر انتهى.

- تبّاً. انتهى يعني انتهى، انتهى نهائياً؟

- أجل. عرضَ صورةً له على الفيسبوك رفقة فتاة.

- أي!

- أجل. وأنتِ لديكِ صاحب؟

- أجل، منذ ثلاثة أعوام، سنتزوج العام المقبل.

- أهنّئُكِ! لكنني لستُ مندهشة.

رفعتْ حاجبيها وهي تنفثُ دخانها:

- حقّاً؟ لماذا؟

- لستُ أدري، من الواضح أنَّكِ فتاة جدّية، تنجح في جميع المجالات.

قهقهتْ، ثم رفعتْ كمَّ معطفها.

- أنجح لدرجة أنني أخطأتُ نفسي.

كان أثرُ جرح طريٍّ يعترضُ بطنَ معصمها. رميتُ بسيجارتي.

- لِمَ فعلتِ هذا؟

- لأنني كنتُ أتألَّمُ، كنتُ أشعرُ كأنني في قعر هاوية ولن أُفلِحَ أبداً في أن أطلع منها. والأدهى، أنني كنتُ أشعرُ بالذنب لأنَّ كلَّ شيء من حولي كان يسيرُ على ما يُرامُ: كان لديَّ صديق ودودٌ، ووالدان من ذهب، وعلامات مدرسية جيّدة، لكنني لستُ أدري، كنتُ أشعرُ أني فارغة. لم يعد يثيرني أيُّ شيء. كنتُ كأنني حبيسة في منأى عن الآخرين، وحيدة. أعتقد أنني لم أكن أريد أن أموتَ حقيقةً، يعني، لم أكن أعي الأمرَ. كنتُ أريد أن تتوقَّفَ تعاستي فحسب.

- أتصوَّرُ أنَّ والديكِ لم ينتبها لأي شيء، يبدو عليهما أنهما يعملان كثيراً...

- أتمزحين؟ يعملان كثيراً لكنهما حاضران بقوة! عندما ارتكبتُ حماقتي، تركا كلَّ شيء ليَخْرُجا بنا في هذه الرحلة، كانا يعلمان أنني أحلم برؤية الشفق القطبيّ. إنهما واثقان من أنَّ الطبيعة يمكنها أن تساعدني، وأنَّ المال الذي نملكُهُ قد أخفى عني معنى الحياة.

- قولي لهما إنَّ نقص المال هو الذي يُخفي عني أنا معنى الحياة.

ضحكتْ، وأنا كذلك. لدينا حياتان متناقضتان كلَّ التناقض، فالمال ليس مشكلةً بالنسبة إليها، وتشعر أنها مهمة بالنسبة إلى

أبويها، ولديها شخص يحبُّها، ومع ذلك يمكن أن تكون كلماتُها هي كلماتي نفسها التي أعبِّرُ بها عن حالي. حبيسة. فارغة. وحيدة.

رجعنا قبيل العشاء، بالحافلة. وظللتُ طول مدة المسافة أتساءلُ. وعندما فتحتُ بابَ سيارة التخييم، ابتسمت لي أمي، وارتمتْ عليَّ ليلي قائلةً إنَّها يجب أن تحكي لي أمراً.

ربما لستُ وحيدةً حقيقةً.

ربما ذلك مجرّد إحساس.

ربما قد آن الأوانُ لأصرعَ ذلك الإحساسَ بقبضة من الجو-جيتسو.

# ليلي

8 يونيو

مورن مارسيل،

هفوردان هار دو ديت؟ (هذا يعني سلام مارسيل، كيف حالك بالنرويجية) (الآن أعرف كيف أقول بضع كلماتٍ بالألمانية، وبالدنماركية، وبالسويدية، وبالنرويجية) (أنا متعدِّدة).

أنا بخير، على الرغم من أنني حزينة بعض الشيء. ستنتهي الرحلة قريباً، لم يتبقَّ لنا سوى ثلاثة أيام لنغادر النرويج. أتذكرُ كيف كنتُ أعتقدُ أنَّ أمي قد فقدتْ صوابَها عندما انطلقنا في رحلتنا؟ الآن، أودُّ لو أنَّ الرحلة تدومُ أكثر قليلاً، فقد مرَّتْ بسرعة شديدة. ينبغي أن نكون قادرين على أن نعيش أفضل أوقاتنا من جديد. لكن لا يجدي الكلامُ، فلستُ أنا من يمسكُ بزمام الساعة الرملية.

قضينا الليل قرب شلّالات لانغفوسن، التي كانت أمي حريصة على رؤيتها لأنها إحدى أجمل شلّالات العالم. إنها جميلة حقّاً، إنها جِدُّ جِدُّ جِدُّ عالية وكانت ترتمي في الفيورد. كل تلك المياه التي كانت تسيلُ، كأنها شقيقتي عندما تبكي.

وبما أنَّ الجو كان صحواً وأننا كنا سنفترقُ عمّا قليل، اقترح جوليان أن ننام جميعاً، في العراء، ملتحفين أغطية، وكان لديه أبسطة

من قطن. قال الجميع نعم، باستثناء الجدَّيْن لأنَّ عظامهما أكثر هشاشة من الأرض، ومن ثمَّ أقمنا قربَ سيارة تخييمهما ليكونا معنا ولو قليلاً. كانت تلك المرة الأولى التي أنام فيها تحت النجوم، أتعلم؟

كنتُ بين نُوِي وأمي، والتي كانت بجانب لويز، والتي كانت بجانب شقيقها. كنّا أنا ونُوِي ننظُرُ إلى السماء، وكان الوقتُ ليلاً، لكنه ليس ليلاً تماماً، فالنجوم لم تكن مضاءةً لأنَّ الشمس لم تكن مطفأةً. ولم يكن جوليان، الذي كان ممدَّداً إلى جانب ابنه، يكفُّ عن سرد النُّكت فيضحكُ منها الكبارُ جميعاً. بعد ذلك، أخذوا يروون قصصاً مخيفةً، تظاهرتُ باللامبالاة، لكنني كنتُ غير مطمئنة. حكتْ فرانسواز أنَّ عجوزاً تبعتْها في الشارع، إلى غاية بيتها، وهي تنادي عليها بـ«ميشيل»، وعندما أغلقَتِ النوافذَ، كانت المرأة تتطلَّعُ إليها من الحديقة. وتماماً في اللحظة التي كانت تحكي فيها ذلك، سمعنا صريراً غير بعيد، فكاد دمي يتجمّدُ، ولا أُخبركَ عن الأمر. عندئذ توقفتُ عن الإنصات إليهم، أمسكتُ بيد نُوِي وهمستُ له بأغنياتٍ، وأظنُّ أنه أحبَّ ذلك.

لم نَنَمْ كثيراً، وفي الصباح، لم يتحرّك أحدٌ، باستثناء أمي التي كانت قد ذهبت إلى جانب جوليان لأنه كانت لديه وسادة.

أتعرف يا مارسيل، لن أقول لكَ إنني الآن أحبُّ الناسَ، لكن مع ذلك، هؤلاء، أودُّ لو أنامُ معهم كلَّ ليلة.

قبلاتي

ليلي

ملاحظة: قمنا بمباراة في لمس الأنف باللسان مع إدغار، كدتُ أن أربح، لكنه خلع طقمَ أسنانه.

## آنا

كانت الفكرةُ، على الورق، تبدو جيّدةً. قطعُ مسافة قصيرة مشياً للوصول إلى مكان يسمح برؤية لا تُضاهى، أمرٌ مقبول، بل محفِّزٌ. الجميع أكَّدَ لي ذلك: إن فوَّتُّ عليّ زيارة پريكيستولن، تلك الحافة المهيمنة على ليسيفيورد، على علوٍّ يتجاوز ستة مئة متر، فإنني سأفوّتُ رحلتي.

والجميع أكَّد لي كذلك أنَّ الصعود إليها يسيرٌ، ويقدر عليه أوَّلُ وافدٍ.

من الواضح أنني لستُ من معدن ذلك الوافد الأول. فبعد عشر دقائق، أشعُرُ أني بحاجة إلى أن أُزَوِّدَ برئتين جديدتين.

أما البنتان، فتتقدَّمان كأنَّهما تسيران على مُنْبَسِطِ الأرض، تكادان تمشيان وهما تصفِّران. ويكاد نُوِي يعدو. ولا أتحدَّثُ عن لوي، الذي يحسب نفسه أرنباً.

صحيح أنَّ البحيرات، والشلّالات، والغابات التي نَمُرُّ بها تبدو جميلة، لكن، بما أنَّ جوليان قرَّرَ أنه سيكون من الأفضل أن نصعدَ ليلاً لتفادي الحشود وللاستمتاع بطلوع الشمس، فإنني لا أستطيع إلّا أن أتخيَّلَ كلَّ ذلك. الظلام ليس مطبقاً، ونحن مجهَّزون بمصابيح على جبهاتنا، لكن كل ما أراه هي الصخور التي أدوسها.

وبعد نصف ساعة، تطلبُ فرانسواز أن تتوقَّفَ للاستراحة. أودُّ أن أُقبِّلَها. ويقترح فرانسوا أن ننتظرها قليلاً.

لم أكن أبداً رياضية كبيرة. كان عملي بدنيّاً، فلم يكن من النادر أن أرجع إلى البيت وأنا أعاني من آلامٍ في الظهر بسبب العمل المتعِب. في الخامسة والعشرين، لم يكن ذلك مشكلةً، لكنني لم أعد في تلك السنّ. كنتُ أشعرُ، في أثناء شهور عملي الأخيرة، أنَّ قوة احتمالي تتخاذل. كنتُ أتعبُ، وتحدث لي التواءاتٌ في المفاصل. لا بدَّ أننا نملك رأس مال من اللياقة، وقد استنفدتُ احتياطي.

- أأنتِ بخير؟ يسألني جوليان قلقاً.

- أنا بخير، أجيبُهُ، وأنا أكاد لا أتنفَّسُ. من مصلحة بريكيستولن أن تستحقَّ سمعتَها، وإلّا فإنني سألقّنها درساً!

يُقدِّمُ لي مزادةَ ماء ضاحكاً.

- سترين، إنها تستحق فعلاً العناءَ. نوشكُ أن نصل.

نوشكُ.

جوليان كذاب. كان لي متَّسَعٌ من الوقت لألوي كاحلي ثماني عشرة مرة، وأن أسقطَ مرتين، وأن أعتقد أن نهايتي قريبة مليون مرة، وأن أرغب في أن أدفع لوي إلى الهاوية مرّاتٍ لا تُحصى. تعقبُ المنحدراتُ أكوامَ الحجارة، ويستمرُّ الصعودُ، لا شيء سوى الصعود، أكُفُّ عن الإحساس بفخذَيّ، وربلتَيّ، وردفَيّ، لا أحسُّ سوى بِنَدَمي على استيقاظي في الساعة الواحدة صباحاً من أجل هذا.

- ترغبين في مساعدةٍ، ماما؟ تقترحُ عليّ كلوي.

- لا ، لماذا؟

- لستُ أدري، تبدين منهكةً.

- بتاتاً، أنا في كامل لياقتي.

أنا في كامل اللياقة بالنسبة إلى شخص يحتضر.

بعد ذلك بعشر دقائق، تُثقلُ ليلي وتيرة تقدُّمها لتسير بمحاذاتي. أتوقَّعُ أن تسألني إن كنتُ في حاجة إلى تدليك للقلب، لكنها لا تفعل.

- ماما، أيمكنكِ أن تحملي عني حقيبتي؟ إنها تؤلمني في كتفَيّ.

تغلبني عاطفةُ الأمومة، فأقبلُ وآخُذُها.

- لكنها ثقيلة! ماذا وضعتِ داخلها؟

- عثرتُ على عدد كبير من الحجارة الجميلة، تجيبني وهي تتقدَّمني بخطواتٍ سريعة.

ثلاث ساعات.

بعد ثلاث ساعات من المجهودات التي ينبغي أن تجلبَ لي ميدالية أولمبية (أو عملية بتر)، نشاهدُ الحافة الشهيرة. پريكيستولن تعني «المنبر»، لأنَّ قمة الصخرة منبسطة، مثل شرفة. بضع خطواتٍ، وها نحن ندوسها.

السماء أكثر صفاء منها عند انطلاقنا، زرقتُها عميقة تُذكِّرُ بعينَي كلوي. نام رجلان هنا داخل خيمتين. أُسقِطُ حقيبتَي الظهر على الأرض، ثم أتهالكُ بدوري، مصلوبة الذراعين. يرقُصُ، فوقي، بعضُ السحاب ببطء. وتجلس كلوي إلى جانبي.

- ماما، انهضي، انظري إلى هذا الجمال!

أعتدلُ في اللحظة نفسها التي تخترق فيها الأُفُقَ أولى الأشعة.

- ليلي، ألا تلتحقين بنا؟

تهمسُ بكلماتٍ في أذن نُوِي وتلتحق بنا.

ببطء، تطلعُ الشمسُ من مخبئها خلف الجبال. تشتعلُ الشمسُ، ويلتحفُ المشهد الطبيعيُّ بالذهب. وفي الأسفل، يستيقظُ الفيورد. المراكبُ بالغة الصِّغر، والأشجار مجهرية، والريح تصفعُ خدودَنا. يا للرّوعة! يبدو أنَّ تسلُّقَ پريكيستولن يُغيِّرُ الحياةَ. تجربةٌ بالغة التأثير، لا تُنسى.

أظلُّ هكذا فترةً من الزمن، رأسُ كلوي على كتفي، ويدُ ليلي في يدي، فتغلبني العاطفةُ.

بنتايَ.

طفلتايَ.

إنهما پريكيستولن الخاص بي.

# آنا

- أتُصدِّقان أيتها الفتاتان، لقد كانت رحلتنا هذه استعارةً للحياة.

- ماذا تعني استعارة؟ تسألُ ليلي.

- إنها مثل تشبيه، صورة، تجيبُ كلوي. ولماذا هي استعارة ماما؟

- لأنها حدث فيها السَّطْوُ، وعطل السيارة، ونوباتُ الفزع، والمشاجراتُ، واكتشافُ الحقائق حول أبيكما، والبردُ، والتعبُ، والخوفُ، لكن في الأخير لن يتبقّى لنا سوى الشَّفق القطبِيّ، والسباحة في البحيرة المجلّدة، وشمس منتصف الليل، والحمل الكاذب، والشّلّالات، والواجهات الملوَّنة، وضحكاتنا المجنونة، وأمسية الكاريوكي، وخدروف نُوِي، ولياليناً معاً نحن الثلاثة، والأغاني التي صدحنا بها عالياً في سيارة التخييم.

تظلُّ الفتاتان صامتتَين لحظةً. تضع كلوي ذراعيها حول عنقي وتبصمُ قبلةً فوق خدِّي. وتبتسمُ ليلي.

- أنتِ مُحِقَّةٌ ماما، هذه استراحة جميلة.

# آنا

هذه آخر ليلة لنا قبل العبور بواسطة العبَّارة التي ستنقلنا إلى الدنمارك، ثم إلى فرنسا. انصرفنا إلى النوم في وقت متأخّر، غِبَّ أمسية قضيناها جميعاً نسترجعُ الذكريات. كانت ليلي وكلوي تتحدَّثان على السرير، وخلتُ أنهما لن تناما أبداً. ذلك أني كنتُ على موعد.

أنسلُّ من فراشي بلطفٍ، وأنا أراقبُ تنفُّسَهما، وأغادرُ سيارة التخييم. لم يصل جوليان بعد. أنتظرهُ وأنا أبتسمُ بسعادة، أشعرُ كأني في عمر ابنتَيّ.

عندما يصلُ، محمَّلاً بكيسٍ كبيرٍ، وهو يسير على طرفَيْ قدميه، أراني مثل عاشقة تتسوَّرُ بيتَها لتلتحق بحبيبها.

نُقرِّرُ ألّا نبتعد كثيراً، حتى نتمكّن من سماع صوت الأطفال إن لزمَ الأمر. نعثُرُ على مكان مناسب على بُعد أمتار من مركباتنا، وبعد بضع دقائق تكون خيمتُنا جاهزة، مؤثثةً بكيس نومٍ كبير، وقنينة خمر، وشوكولاتة. بل إنه فكَّرَ حتى في جلب وسادتَين، ليُريحَ عُنُقَينا اللذين لم يعودا في أوج شبابهما.

لستُ أدري ما الذي يثيرني أكثر. كَوْني أختبئ، أم كَوْني بعيدة عن حياتي اليومية، أم جوليان. بعد شوكولاتة واحدة، ننقضُّ بعضُنا

على بعض بشراهة، وتتطاير ملابسُنا، وتتداعبُ بشرتانا، وأشعرُ أني جميلة.

نقضي بقية الليل نتحدَّثُ، ونضحكُ، ونتداعب. أتكوَّمُ بين ذراعَيه، وأستمتعُ بحنانه، بصوته الرقيق، وأشبعُ منه قبل الرحيل.

- يجبُ أن ننصرف، يهمسُ لي وهو يضمُّني إليه بقوة. لن يتأخر نُوِي في الاستيقاظ.

أغوصُ بوجهي في عنقه وأنساقُ لعواطفي لحظاتٍ، ثم أُطلِقُ أطرافي المؤلمة ببطء.

- كنتُ سعيداً بالقيام بهذه الرحلة معكِ، يهمس وهو ينهضُ بدوره.

أداعبُ خدَّهُ بصمتٍ. مداعبة تريد أن تقول أنا أيضاً، لكن العقدة في حنجرتي تمنعني من الكلام. مداعبة تريد أن تقول إنَّ الأمر كان رائعاً حقّاً. مداعبةٌ تريد أن تقول إلى لقاء قريب.

# أخبار كلوي

كان فراقُهم في كريستيانساند قاسياً. كان علينا أن نمتطيَ العبّارةَ جميعاً لننتقل إلى الدنمارك والرجوع إلى بلدنا، لكن في اللحظة الأخيرة، أعلنتْ أمي أنها تريد أن تأخذنا أنا وليلي إلى أوسلو، البعيدة عن المكان الذي كنا فيه بأكثر من أربع ساعات. كانت سُبُلُنا تفترق هنا. ولم أكن قد استعددتُ.

أحبُّ بداية العلاقات. الالتقاء بالناس، وتعلُّم اكتشافهم، والكشف عن ذاتي.

لا أحبُّ نهايةَ العلاقات. الوداع، والافتراق بعد طول رفقة في الطريق.

قبَّلتُ دييغو قبلة حارّة وشكرتُهُ على نصائحه. فهو يجهل مدى الرجَّة التي أحدثتها فيَّ تلك النصائحُ. لو كان لديَّ جدٌّ أعلى، لوددتُ أن يكون هو ذلك الجَدّ. لن أنساهُ أبداً. كان إدغار يبدو متعَباً. وعدتُهما أن أكتب إليهما. وأعرفُ أني لن أفِيَ بوعدي، لذلك قبَّلتُهُما من جديد.

فرانسواز وفرانسوا أسَرَّا لي أنني كان لي أثر طيّب على ابنتهما،

وأنني شابة رائعة. حاولتُ ألّا أُبدِيَ ذلك، فالشّاباتُ الرائعاتُ لا يبكين، لكنني كنتُ شديدة التأثُّر.

كانت لويز تنتظرُ دورَها، منعزلةً بعض الشيء. كانت تحبس نفسها، غير أنَّ عينيها كانتا حزينتين بعمق. قبّلتني قبلتَين، ثم، أضافت بصوت متهدِّج:

- كان لقاؤكِ أمراً رائعاً، أيتها اللعينة.

ضممتُها بين ذراعَيّ وأضفتُها إلى أصدقائي في الفيسبوك.

قدَّمَ لي لوي مظروفاً. لم أفتحهُ أمامه، لكنني كنتُ أعلمُ ما يحويه. قبَّلتُ جبهتَهُ وهمستُ له: «شكراً، أيها الشاعر الصغير». احمرَّ وجهُهُ وضحكَ بخجل.

تقدَّمتُ نحو جوليان ونُوِي، كانا يودِّعان أمي وليلي.

همسَتْ ليلي بكلماتٍ في أذن نُوِي، ثم وضعت قبلةً على خَدِّهِ وابتعدتْ فجأةً نحو بقيَّة المجموعة.

كانت أمي تحاول أن تبتسم. لم أكن أسمع ما يقوله لها جوليان، لكنني لم أغفل عن يديهما اللتين كانتا تتحسَّسان بعضهما. وعدني الرجلُ الذي كان يهمسُ في أذن سيارات التخييم أننا سنلتقي من جديد قريباً، فهم لا يقطنون بعيداً عن بيتنا، وليلي عازمةٌ على الذهاب للّعب مع نُوِي. لم أجرؤ على معانقته، فاكتفيتُ بأن قلتُ له إن الأمر جيّد، وتركتهما وحدهما وأنا أفكِّرُ في أنَّني سأشتاقُ إلى قمصانه الشبيهة بقمصان الحطّاب.

ودَّعَنا الجميعُ وهم يلوِّحون بأيديهم بإشارات كبيرة عندما انطلقت سيارةُ تخييمنا في طريق أوسلو. أجهشتْ أمي بالبكاء. وليلي كذلك. وأنا كذلك.

# آنا

لا أرغبُ في العودة. كنتُ أودُّ أن أرجع أدراجي، وأن أصعد من جديد إلى القطب الشمالي، أن أسلكَ الطريقَ من جديد، لكن مظروفَ المال يكاد يكون فارغاً. سنضطرُّ إلى خلع الملابس التنكّرية وارتداء البدلة من جديد.

كانت كلوي تحاول أن تواسينا مؤكِّدةً أنَّ علينا ألّا نكون حزيناتٍ، بل سعيداتٍ لأننا عشنا تلك اللحظات. أجابتْها ليلي أن الحياة بخيلة كبرى لأنها تَمُرُّ بسرعة شديدة. لم أُجِبْ، فقد كانت كلوي، في العمق، على حق، وكنتُ أحاولُ أن أكون خفيفةً، لكن الحنين كان يُثقِلُ كاهلي. سنعرفُ أوقاتاً جميلة أخرى، ثلاثتنا، لا أشكُّ في ذلك. لكنَّ هذه الأوقات، التي قاسمتُها مع كلوي ذات السبعة عشر عاماً وليلي ذات الاثني عشر لن توجد بعد الآن. إنها فريدة، مختلفة عن الأوقات السابقة، ومختلفة عن اللاحقة. لم تعد، للأسف، سوى ذكريات. حاولتُ، في مرّاتٍ عديدة، أن أوقف الزمن، لكن ذلك لم يُفلِح. لن أشبع منهما أبداً.

وكي أمنحَنا تمديداً من يومَين، تذكَّرتُ مقالاً كنتُ قرأتُهُ حول حديقة في أوسلو.

وبعد أن سرنا بالسيارة أربع ساعاتٍ نستنطقُ الذكريات، وصلنا

إلى أوسلو عند بداية الزوال. واحتجنا إلى ساعة أخرى لنعثر على مكان نركن فيه السيارة.

- كان الوضعُ أفضل عندما كان جوليان موجوداً، قالت كلوي.

حبستُ نفسي عن الإقرار باقتناع.

- هذه هي فيجلاند باركن؟ تسألُ ليلي بينما نعبرُ السياج.

- هذه هي.

نتبع الطريقَ ونحن نتوقَّفُ بين الحين والآخر لنستمتع بالآثار الفنية. تنتشرُ في الحديقة منحوتاتُ غوستاف فيجلاند، التي تشتركُ جميعُها في موضوع تمثيل نساء، ورجال، وأطفال، ذوي أحجامٍ كبيرة، وهم عرايا.

- أمرٌ لا يُصدَّق، كأنهم حقيقيون! تندهشُ كلوي.

إنها على صواب. الوجوه معبِّرةٌ، والأجسادُ واقعيةٌ. إنها مشاهد من الحياة، مضحكة آناً، ومؤلمة آناً آخر، مثل ذلك الشيخ الذي يمسكُ زوجته المنهكَةَ بين ذراعَيه، وذينك الزوجين اللذين يستقبلان صغيرهما، وتلك المرأة التي تواسي أخرى، وهي تضع يدها على رأسها، وذلك الطفل الغاضب، وتينك العجوزين اللتين تضعُ إحداهما يدها على فمها، كأنها نسيتْ أمراً ما، وأولئك الآدميين الثلاثة الذين يُشكِّلون عجلة الحياة. كلُّ عمل من تلك الأعمال يُثيرُ مشاعر مختلفة، لكننا أنا وليلي وكلوي تستهوينا الأعمالُ نفسُها. أُمٌّ ترفعُ وليدَها عالياً، والبهجةُ تنير وجهها. أُمٌّ تواسي طفلَها الذي يبكي، واضعاً يديه أمام وجهه. وبوجه خاص، تلك الأمُّ التي تمشي، وشعرها يتطاير خلفها، حاضنةً جسد طفلها إلى وجهها، والولد يحيطُ عنقَ أمِّهِ بذراعَيه ويُريحُ رأسَهُ على رأسها.

نتجمَّدُ في مكاننا عندما نكتشفها. لا تقولان شيئاً، لكنني أعتقد أننا نشعر الشعور نفسه. قوة تلك المرأة، قلَقها، حبّها لصغيرها، تلك العروة التي لا تنفصم، مهما يحدث. العلاقة بين أمٍّ وطفلها، بين تلك التي ستحبُّهُ أكثر وذلك الذي سيكون حبّها الكبير.

نعود في وقت متأخر، بعد أن تناولنا سمكَ رنكة مدخَّناً في ميناء أوسلو وتجوّلنا في الشوارع المأهولة باحثاتٍ عن بهجة لا تأتي. تتّسِقُ السماءُ مع مزاجنا، فتبصُقُ علينا، وتدفعنا إلى إسراع الخطى. وعندما نصلُ إلى سيارة التخييم، نصلها مُبَلَّلاتٍ. لا نكاد نغيِّرُ ثيابنا حتى تنفجر عاصفةٌ رعديةٌ.

- أنا خائفةٌ، تهمسُ كلوي، التي تختفي تحت اللحاف.

- لا داعيَ للخوف، سنكون على ما يرام، أقولُ لها، راجيةً أن يكون كلامي مقنِعاً.

نتكوَّمُ ثلاثتُنا في السرير. لا أسمعُ الرعد الذي يُدوّي والمطرَ الذي يضربُ السقفَ، ولا أرى البروق. أُحِسُّ برجلَيْ ليلي تتحرّكان، وبأنفاس كلوي في عنقي، أَشُمُّ الفانيليا في شَعرهما، وأُحِسُّ بدفئهما في جسدي، وبذراعَيّ يُصيبهما الخَدَرُ تحت ثقلهما وبقلبي يطفحُ بالسعادة.

أعتقدُ أننا قد حقَّقْنا المبتغى، أضَأْنا النجومَ من جديد.

# أخبار كلوي

استيقظنا باكراً، كنَّا قد خطَّطْنا لمواصلة زيارة أوسلو. ولم نكن نِمْنا كثيراً، فقد استمرَّت العاصفةُ طويلاً.

- ماما، أرجو أن تكوني فخورةً بنفسكِ! قالت ليلي في أثناء الفطور.

- ولِمَ سأكون كذلك؟

- لأنَّ عاصفة قد وقعتْ، وكنّا وحيدات، وأنتِ لم تُصابي حتى بنوبة فزعٍ.

لم تردّ أمي، لكن كان واضحاً أنها فخورة.

كنّا على وشك مغادرة سيارة التخييم عندما رَنَّ الهاتفُ. رَدَّتْ أمي، لكنني لم أتمكَّنْ من معرفة الشخص الذي كانت تُكلِّمُهُ، لم يكن أحداً تعرفُهُ جيّداً، كان صوتُها حادّاً بعض الشيء، لكنه لم يكن أيضاً شخصاً لا تُحبُّهُ.

- إنه مُديرُكِ، أخبرتْني وهي تُقفل الهاتف. ينبغي أن نتحدّث.

فتحدَّثْنا إذاً. كان السيد مارتان يُذكِّرُها أنَّ الامتحان الأول للبكالوريا سيكون موعدُهُ بعد ثلاثة أيام وتريد أن تتأكَّدَ من أنني لم أُغَيِّرْ رأيي. كانت قد سألتني مرّاتٍ عديدة في أثناء رحلتنا، لكنني كنتُ أَظَلُّ مُصِرَّةً على موقفي. ما الفائدة؟ السبب الوحيد الذي كان

يجعل رفضي غير قاطعٍ هو رغبتي في إرضاء أمي. لم يكن ذلك سبباً كافياً.

- أنتِ مُحِقَّةٌ، هذا ليس سبباً كافياً، أَكَّدَتْ أمي. يجب أن تفعلي الأمورَ من أجلكِ.

- هذا هو. لكن، بالنسبة إليّ، لا أرى لذلك أهميةً.

ابتسمَتْ.

- سيساعدكِ ذلك في أن تعثري على عملٍ بسهولة في أستراليا.

- هيه؟

- تحصلين على شهادة البكالوريا وبعد ذلك ترحلين، هذه هي الصفقة.

- لكن، كيف أنتِ... لا؟ دييغو هو من وشى بي؟

لم تُقِرَّ بالأمر، لكن بسمتَها لم تُنكِرْهُ.

- لا أعتزمُ الرحيلَ، قلتُ.

- كلوي، لا مجال لأن تُضحّيَ بأحلامكِ من أجلي. لا أحتاجُ إليكِ، أحتاج إلى أن أعرف أنكِ سعيدة فحسب، ولو كان ذلك في الطرف الآخر من الكوكب. ثم، إنني حلمتُ دائماً برؤية الحاجز المرجانيّ الكبير، ألا تحلمين بذلك ليلي؟

- وبالكنغر! والكوالا! متى ترحلين؟

استأنفتْ أمي كلامَها:

- سنهتمُّ بكلِّ هذا. لكن، قبل ذلك، ستجتازين امتحان البكالوريا. لدينا يومان لقطع مسافة العودة، ليس لنا دقيقة نضيّعُها.

لم أجد الوقت الكافي كي أفهم، إذ بنا على متن العبّارة التي كانت تنقلنا بعيداً عن النرويج. احتفظتُ بعينيَّ مثبَّتتين عليها إلى أن صارت غائمةً. كنتُ أريد أن أودِّعَها مثلما تستحقُّ.

في الداخل، غُصتُ في الهاتف كي لا أواجِهَ أفكاري. كان لديّ رسالة من كيفين، كان أرسلها للتو.

«سلام، متى ترجعين؟».

أدرتُ الشاشةَ كي لا تراها أمي، ورقنتُ الكلمات وبعثتُ بها.

«مرحبًا! سأكون هناك بعد غد. لماذا؟».

وصل جوابُهُ في الحال:

«أَوَدُّ أن أراكِ، أيمكنني أن أحضر إلى بيتكِ؟».

فكّرتُ دقائقَ معدودة، فكّرتُ في كلمات ماما، وفي كلمات دييغو، وفي نظرة كيفين، وفي أشعار لوي، وفي دفتر ليلي، وأجبتُ بنعم.

# ليلي

13 يونيو

عزيزي مارسيل،

انتهت الرحلة. نكادُ نصلُ إلى ألمانيا، وأمي تسوقُ السيارة كلَّ الوقت، لا نتوقَّفُ إلا لِماماً، يجب أن نصل في الوقت من أجل امتحان البكالوريا.

أنا جِدُّ جِدُّ جِدُّ حزينة، ليكن في علمكَ. لا أقولُ إنني لم أكن أحبُّ حياتَنا في بيتنا، لكن الأمر ليس مماثلاً. أمي كانت دائماً في العمل، وشقيقتي لا تُكلِّمني وتبقى دوماً داخل حُجرتها، وبالإضافة إلى ذلك كان يتوجَّبُ عليَّ أن أذهبَ إلى المدرسة. أتمنى أن تتغيَّر الأمور حقيقةً، فقد وعدتْنا أمي بأنها لن تعمل مساءً بعد الآن، وكلوي قد تطوَّرَتْ. وهذا جيّدٌ، لأنها حقيقةً كانت تسلُكُ منحدَراً سيّئاً.

وكان أقسى ما مررتُ به، لحظة توديعي لنُوِي. أشتاقُ إليه كثيراً منذ الآن. لم يكن يتحدَّثُ، لكنني كنتُ أفهمُ كلَّ ما كان يقولُهُ لي. وأعلمُ أنه كان يفهمني بدوره. قلتُ له إنه كان أجمل لقاء في كلِّ

حياتي الطويلة وقبّلتُهُ، فلم يتراجعْ، وخُيِّلَ لي أنه كان يبتسمُ. لكن، حسناً، سأكُفُّ عن الحديث عن هذا الأمر، لأنَّ عينَيّ ستشرعان في السيلان.

أتذكَّرُ عندما قال لنا أبوهُ إنه مختلفٌ، لقد أخطأ. إنه ليس مختلفاً، إنه أفضل.

سألتْني أمي إن كنتُ أرغبُ في الرجوع إلى المدرسة، لم يتبقَّ سوى أسبوع تقريباً، لأنَّ تلاميذ المستوى الثالث يجتازون امتحان الشهادة الإعدادية. فكرتُ جيّداً وقلتُ نعم. إنْ بقيتُ في البيت، سيتوجَّبُ عليّ أن أقتلَ الوقتَ، ولا أُحِبُّ العنفَ.

سأتركُكَ، صغيري مارسيل، أرغبُ في مشاهدة الطريق.

قبلاتي الحارّة

ليلي

ملاحظة: تكاد تصل إلى النهاية، لكنني لن أتخلّى عنكَ أبداً.

# آنا

غريبٌ أن يعود المرءُ إلى بيته ولا يُحِسّ بذاته داخله. الشقّةُ غارقةٌ في العتمة، والحرارةُ بها مرتفعة. أُغلقُ البابَ خلفنا، فَيَعُمُّ الصمتُ. لا ريح تُصفِّرُ، ولا طيور تُغرِّدُ، ولا مُحَرِّك يدور.

- ماذا سنفعلُ الآن؟ تستفسرُ ليلي.
- نُشْرِعُ النوافذ.

نجعلُ الهواء يدخل عبر جميع النوافذ، نُوالي الذهاب والإياب بين موقف السيارات والشقة، وشيئاً فشيئاً تمتلئ الشقةُ بالحقائب، والذكريات، والغذاء، والحياة. سرعان ما تجد جنّياتُ الترول التي اشتريناها في لوفوتن مكانَها فوق التلفاز. وتُرتِّبُ ليلي حجارتَها فوق بساط الصالة.

صندوقُ البريد ممتلئ، أضعُ محتواهُ على الطاولة دون أن أفتحه. وتذهبُ كلوي لتخلو إلى نفسها في غرفتها كي تُراجع الدروس. تخرجُ منها بعد ثلاث دقائق وتستقرُّ على الكنبة. أنظُرُ إلى الحقائب، التي تنتظرُ أن تُفرَغَ، وأجلسُ إلى جانبها.

- أتحتاجين إلى مساعدة؟
- كلاّ، لكنني جائعة قليلاً.

بعد عشر دقائق، أعددتُ المعكرونة، والماءُ المحروق يُغطّي صفائح الطبخ، لأني اعتدتُ على صفيحتي الكهربائية الصغيرة. نفتحُ علبة سمك رنكة ونأكلُ في صمت، مقتعِداتٍ الأرضَ حول مائدة الصالة.

ننصرفُ للنوم مبكّراً، ففي صباح الغد ينتظر كلوي امتحانُ الفلسفة، وتعود ليلي إلى الإعدادية.

لا يبرز من ليلي سوى الأنف والعينَين من تحت لحافها.

- ألا تشعرين بالحرارة؟

- بلى، لكن هذا يُذكِّرُني بهناك.

أضعُ قُبلةً على جبينها وأرجو لها ليلة لطيفة.

- ماما، أيمكنكِ أن تتركي الباب مفتوحاً من فضلك؟

كلوي، ممدَّدَة على بطنها، مستغرقةٌ في بطائق مراجعتها.

- ينبغي لكِ أن تنامي.

- أقرأها مرة واحدة أخرى، وأطفئ النور، أعدكِ.

- ليلة طيّبة، حبيبتي.

- ليلة طيّبة، ماما.

أحسُّ بعقدة في حنجرتي عندما ألتحقُ بحجرتي. يفصلني عنهما مَمَرٌّ وصالةٌ، لن أسمع تنفسَّهما هذه الليلة. يبدو لي السريرُ بالغَ الكبر، فأنامُ في طرفه فحسب.

أكاد أسقُطُ في أحضان ملاك النوم عندما تصلني أصواتٌ

صغيرة. ينفتح البابُ ويظهر ظلُّ ليلي. ثم ظلُّ كلوي. أتدحرجُ إلى وسط السرير وأُشرعُ ذراعَيّ. ليلي على يساري، وكلوي على يميني، ملتصقتَين بي تمام الالتصاق. الآن، يمكننا أن ننام.

# أخبار كلوي

كنتُ أشعر بالألـم في بطني. كانت أمي قد ذهبت لاقتناء الخبز والفواكه وأعدَّتْ لنا فطوراً حميّاً، لكنني لـم أستطع أن أبتلع أيَّ شيء. ودَسَّتْ أمي موزةً في حقيبتي.

ركبتُ الحافلة رفقة ليلي، وجلستُ مع كَريم وإيناس، وهي جلستْ مع كليليا. الإعدادية تقع قبل الثانوية، فأرسلتْ لي قُبلةً قبل أن تنزل من الحافلة.

كان وجودي هنا غريباً، فرأسي لـم يستقر بعدُ حقيقةً. كنتُ أراقبُ جميعَ أولئك الناس الذين أقاسمُهُم ركوب الحافلة في ذلك الطريق منذ سنواتٍ ولا أعرفهم. ذاك الرجل الأسمر الكبير الجثة بقميصه «حرب النجوم» وخوذته المتدلية على أذنيه، وتلك الفتاة صاحبة النظارة بمظهرها الخجول، وتلك التي كانت تبتسم في كل وقت ولا تفتأ تُغيِّرُ من تسريحة شعرها. هل كنتُ سأتفاهم معهم لو أننا قمنا برحلة معاً؟ هل كنا سننتبِهُ إلى أننا لدينا الكثير من الأمور المشتركة؟ أترانا نَمُرُّ كثيراً، دون انتباه، بجانب صداقات؟

أرسلَ إليَّ أبي رسالةً ليُخبِرني أنه يفكِّرُ فيَّ ويتمنّى لي التوفيق. شكرتُهُ وأضفتُ «قبلاتي».

- أوه، شبح عائد!

كان الفصلُ بكامله ينتظر في الساحة، وتشكّلتْ دائرةٌ حولي.

- إذاً، كيف كان الأمر؟

- أحقّاً كنتِ في القطب الشمالي؟

- رأيتِ دببةً بيضاء؟

- لكن لِمَ رحلتُمْ؟

أجبتُ بإيجاز، وعرضتُ عليهم بضع صور، وإنْ كان يبدو عليهم أنهم لا يفهمون. كنتُ أسمعهم يتحدثون عن مشاريعهم، عن الدراسات التي كانوا يعتزمون خوضها، ويرسمون آمالهم، ولأول مرة، شعرتُ أننا لسنا أطفالاً في ثياب الكبار. لقد وصلنا. حان وقتُ إفراد أجنحتنا لنُحلِّقَ.

«أفي الإمكان التفكيرُ دون الآخرين؟».

كان ذاك موضوع التحليل في الاختبار. أكَّدَتْ أمي أنَّ ذلك غير ممكن، بينما قالت ليلي إن الأمر ممكن، ولحسن الحظِّ أنني دَعَّمْتُ كلامي بحُججٍ أكثر ممّا فعلتا.

قمتُ بالتفافٍ عند عودتي لأمُرَّ بجانب المَخبز. كان كيفين يُدخِلُ المعجَّنات إلى الفرن، فابتسمنا بعضُنا لبعض. كان قد غيَّر تسريحة شعره، وكانت تلائمهُ. سنلتقي قريباً.

كانت أمي تنتظرني بأخبار عن أستراليا. وجدَتْ منظَّمةً تهتمُّ بطلب التأشيرة، والعثور على أُسرة استقبالٍ عند الوصول إلى هناك، في انتظار العثور على سكن، وعلى مدارس لأخذ دروس في الإنجليزية، وتقترحُ جملةً من الأعمال الصغيرة. كان يكفيني أن أنتظر أن أصل إلى سنِّ الرشد، في الشهر المقبل.

- إنها تأشيرة عطلة العمل التي كنتِ حدَّثتِني عنها، قالت لي مُدقِّقَةً. تتلقَّيْنَ دروساً، وتعملين للإنفاق على احتياجاتكِ هناكَ، وتتجوَّلين في بقيّة الوقت! بل يمكنُكِ أن تنتقلي من مدينة إلى أخرى ما شئتِ الانتقال.

- يمكنني أن أظلَّ هناكَ عاماً كاملاً، أليس كذلك؟

هزَّتْ رأسها موافقةً.

كانت ليلي تُنجِزُ واجباتها بجانبنا. وعندما لاحظَتْ أنني أكلتُ طرفَي خبزة الباغيت، أخذَتْها غضبةٌ سوداء.

- سرقتِ مني الرأسَين!

لم أجبها، لكنها لم تكن قد استنفدتْ كلامها معي.

- لا تُفكِّرين إلّا في نفسكِ، أيتها الأنانية!

- إيه أوه، لن تُصدِّعيني من أجل كسرة خبز!

- اهدآ، أيتها الفتاتان، أمرَتْنا أمي.

- لستُ أنا، أجبتُ، ليلي هي الغاضبة.

- أنا لستُ غاضبة، أنا أقول لكِ إنّكِ لستِ سوى أنانية، وأنا أعتقد ذلك!

خرجتْ واتجهتْ إلى حجرتها وهي تصفقُ البابَ بقوة، لتُعبِّر عن غضبها إن لم نكن قد أدركْنا ذلك. رفعتْ أمي كتفيها.

- أرجو ألّا يكون حدثَ أمرٌ ما في الإعدادية.

التحقتُ بليلي في حجرتها، واحتجتُ إلى وقتٍ لأجدها، حيث كانت داخل خزانتها، جالسةً بين معطفٍ وفستان.

- ماذا تفعلين هنا؟ سألتُها.

- لا شيء.

- تريدين أن نتحدَّثَ؟

- لا.

- تريدين أن أتركَكِ؟

- لا.

- ماذا تريدين؟

- لا أريد أن ترحلي.

# ليلي

17 يونيو

عزيزي مارسيل،

أرجو أن تكون بخير، أنا بخير ولستُ بخير في الوقت نفسه.

أمي لم تُفرغ الحقائبَ بعد، تجدها في كلِّ مكان، تقول أن لا وقتَ لديها. أنا أقولُ إنها لا تريد أن تفعلَ ذلك لأنها متى تفعلْ نكنْ قد عدنا حقيقةً.

ذهبنا لنعيد سيارة التخييم لجدّي، وكان سعيداً برؤيتنا، خصوصاً أن السيارة لم يكن بها أدنى خدش.

أرادا أن يعرفا كلَّ شيء، فحكينا لهما كلَّ شيء تقريباً، واحتفظنا باتفاق مشترَك بسِرٍّ ماتياس، لن أعترف به ولو اقتلعوا الكلمات من أنفي. كانا مسرورَين بجنّيات الترول التي جلبناها لهما، لكنهما لم يعجبْهُما نهائياً سمكُ الرنكة المُخَمَّر. عرضْنا عليهما صوراً كثيرةً على هاتف أمي، بل تسجيلات فيديو كذلك حول الشلّالات، لكنني لا أرى في الحقيقة أهمية لكل ذلك لأنها لا تنقلُ حقيقةَ ما عشناه. فالأمر شبيهٌ بمن ينظر إلى شخصٍ يأكلُ، فإنه يظلُّ جائعاً.

بينما كنا نتحدثُ عن ذلك، أعدَّتْ لنا الجدَّةُ جانيت فطائر الغوفر، فازدردتُ منها أربعاً، واحدة بالسكّر، وواحدة بالمُرَبّى، وواحدة بالشوكولاتة، وواحدة بكلِّ ذلك، لكن بعد ذلك، قدَّمتْ لي بطني كشفَ الحساب. ولحسن الحظِّ أن الفطائر لم تكن جيّدةً، وإلّا فإني لا أُحدِّثُكَ.

تحدّثتْ كلوي عن أستراليا، وبدأتُ أعتاد الأمرَ، على الرغم من أني أتمنى أن تتعرَّض لهجوم تمساح فترجع سريعاً. ولو برِجْلٍ ناقصةٍ، ستظلُّ شقيقتي.

أحبُّ الذهاب عند جدَّي، لكنني أحبُّ أيضاً الانصرافَ من هناكَ، لأنني لا أشعرُ أبداً هناكَ أنني على ما يُرامُ. أعتقد أنَّ ذلك بسبب قِطَعِ أثاثهما البُنِّي الغامق الكبيرة ولوحات جانيت الصوفية. نسجتْ على اللوحة الأولى كلباً، لو رأيتَ خِلقَتَهُ لخِلْتَ أنه اصطدم بزجاج النافذة مئات المرّات. ولا أُحدِّثُكَ عن الساعة الكبيرة التي تفعل تيك تاك، والشراشف، المهم أنني أشعرُ كأنني في بيتٍ من القرون الوسطى. أرجو أنني عندما سأكون عجوزاً، لن أكون عجوزاً.

ألاحظتَ كيف أني مضطرّةٌ للكتابة بحروف صغيرة، فأنا لا أرغبُ في أن تنتهي، لكن لا يتبقّى منك سوى بضع صفحات. ربما أنَّ الأمر سيكون أفضل لو كتبتُ بالحروف الصامتة فحسب؟

قبلاتي مارسيل، احتفظْ بمعنوياتك!

ليلي

ملاحظة: لا أضع ملاحظة لاقتصاد المكان.

# آنا

يصل الأستاذ رونار في الوقت المحدَّد، بمحفظته وابتسامته المستعارة.

- طابَ يومُكِ، سيدة مولينو، يقول وهو يمدُّ لي يدَهُ. ابنتُكِ ليست هنا؟

أضحكُ في داخلي وأنا أتذكَّرُ الاستقبالَ الذي خصَّتْهُ به ليلي.

- لا، اطمئنْ.

- أنا لستُ قلقاً.

نجلسُ في الصالة. ويُخرِجُ أوراقاً عديدةً من ملفِّهِ ويعرضُها فوق الطاولة.

- مثلما شرحتُ لكِ في الهاتف، فإنَّ مجموع دَيْنِكِ ارتفعَ لأنَّ مصرفكِ قد أوقَفَ الاقتطاعات. ألديكِ حلٌّ، سيدة مولينو؟

تقدَّمتُ البارحة إلى ما يقاربُ العشرةَ من الأعمال، في مختلف المجالات: صيانة، مساعِدة شخصية، سكرتارية. استدعتني شركةُ نظافة. أخبرتني الشّابةُ أنَّهم في حاجة إلى امرأة مثلي للعمل في تنظيف بيوت الخواص. أوقاتُ العمل مَرِنَةٌ، حيث يمكن اختيار العمل لنصف دوامٍ أو لدوامٍ كامل، والأجرةُ مساوية للحدّ الأدنى

للأجور. سأذهبُ إلى هناك غداً لإجراء اختبار: تنظيفُ حُجرة كاملة وكيُّ الملابس، لكنها وضَّحتْ أنَّ الأمر يتعلق بمجرد شكليات.

فكّرتُ. سأكسبُ، بهذا العمل أقل مما كنتُ أكسبُهُ من عملي في المطعم. لكن، كان يفضُلُ لي حلٌّ. أخذتُ هاتفي واتَّصلتُ قبل أن أغيِّرَ رأيي.

- ماتياس، أنا آنا.

- مرحباً، آنَّا! كيف حالكِ؟

كان صوتُهُ ودوداً، كأننا صديقان قديمان، وكأن شيئاً لم يحدث.

- لا بأس. أخبِرْني، أنتَ تعلمُ أنني حاولتُ دائماً أن أفهمك، ولم أرغب أبداً في أن أكون قاسيةً أو أن أجعلكَ تدفع ثمن أيِّ أمر من الأمور، أنا...

- أوه! هذه بداية سيّئة!

كان صوتُهُ أكثر حدَّةً. بلعتُ ريقي. حتى وهو في الطرف الآخر من فرنسا، وحتى بعد سبع سنوات، كنتُ خائفة من أن تنالني لكمتُهُ.

- ماتياس، أنتَ تعلمُ أنني أعاني كثيراً من أجل استكمال نفقة كلِّ نهاية شهر، وأنني لم أعد أستطيع تحمُّلَ الأمر. لم أطلب منكَ شيئاً أبداً، كنتُ أعلم أنَّكَ لا تعمل وأنَّ الأمر كان صعباً بالنسبة إليك كذلك، فلم أكن أرغبُ في أن أضيفَ إليك حملاً آخر، لكن يبدو أنَّكَ تكسبُ الآن جيّداً، إذاً...

أطلقَ قهقهةً لم تكن ضحكاً حقيقيّاً.

- أفْلَسْتِ بسبب رحلتكِ الصغيرة وتريدين الآن أن تنهبيني، أليس كذلك؟

صمتُّ لحظةً. ماذا كنتُ أتوقَّعُ؟

- ماتياس، أنتَ تعلمُ أنَّ هذا المال ليس من أجلي. أنتَ أبوهما، يتوجَّبُ عليك أن تُنفِقَ عليهما وإن كنتَ لا تعيشُ معهما. كان يمكنني أن أطلب من قاضٍ أن يُجبِرَكَ على القيام بذلك منذ البداية، لكنني...

- كم؟ سألني مقاطِعاً.

- أظنُّ أنَّ...

- كلوي كبيرة، يمكنها أن تعمل، لكنني سأمنحُكِ مبلغاً من أجل ليلي. سأستعلمُ الأمرَ ثم سأخبرُكِ.

ساعة بعد ذلك، أرسل لي رسالة نصّيةً قصيرة ليخبرني أنه سيُحوِّلُ لي مبلغ مئتي يورو كلَّ شهر، وفي المقابل يريد أن يحضر لزيارتهما بين الفينة والأخرى. وافقتُ، بشرط أن أكون حاضرةً عندما يلقاهما.

يسعلُ الأستاذ ثعلب ويُخرجني من أفكاري. ينتظرُ إجابتي.

- لن أستطيع أن أؤدِّيَ كلَّ ما أدينُ به دفعةً واحدة مثلما تريد، لكنني ألتزمُ أن أستأنف أداء الأقساطَ الشهرية، ويمكنني أن أدفع لك مئة يورو في الشهر لاستدراك التأخُّر.

تنهَّدَ طويلاً.

- سيدة مولينو، قضيتُ ثلاثة شهور وأنا أعِدُ زبوني أنكِ سوف تؤدّين ما عليك من دين.

- أعلمُ، ولكنني لا أستطيعُ أن أقترح عليكَ أفضل من هذا.

- هذا يجعلني في وضعية جِدّ معقَّدة...

- أنا آسفة حقّاً.

- سنضطرُّ إذاً إلى أن نتقدَّمَ بدعوى قضائية للحصول على أمرٍ بالأداء، يقول بحدَّةٍ وهو ينهضُ. أنا نادمٌ على أني وثقتُ فيكِ.

- أؤكّدُ لكَ أني لا أتصرّف عن نيّةٍ سيّئة، سأدفعُ كلَّ قسطٍ شهريٍّ في موعده. أنا واثقة من أنك ستستطيع إقناعَ زبونكَ بأنَّ أداءً مضموناً، ولو على فترة طويلة، هو الحلُّ الأفضل.

يتوجَّهُ نحو الباب وهو يتجاهلني. هذا إذاً أوانُ إخراج السلاح السرِّي الذي منحتني إياه فرانسواز.

- يا أستاذ رونار، لقد طلبتُ النصح من محامية، وشرحتْ لي أنني، بمدخولي ومسؤولياتي، إن أنا وضعتُ ملفّاً حول مديونيتي لدى مصرف فرنسا، فإنه سيُقبَلُ وسيصدُرُ قرارٌ بوقف الدفع إلى حين أن تتحسَّنَ أوضاعي. وبذلك سيُجَمَّدُ الدَّينُ. لا أوَدُّ الوصولَ إلى ذلك الحدّ، فأنا اقترضتُ هذا الدَّين وأنا حريصةٌ على أدائه، لكن ينبغي أن تثق فيّ.

يضغطُ على مقبض الباب دون كلمة، ثم يستدير.

- أيمكنني أن أطرح عليكِ سؤالاً؟ يسألني.

- أكيد.

- منذ ثلاثة شهور تقريباً، كنّا على موعدٍ، وكنتِ تؤكدين أنك تملكين المبلغ المطلوبَ لأداء الدين كاملاً، لكنكِ ألغيتِ الموعد. لم يكن الأمرُ صحيحاً، أليس كذلك؟

- لا، كنتُ أملكُ المبلغَ حقيقةً.

- وإذاً، أنا لا أفهم! لماذا لم تغتنمي ذلك لتتخلّصي من هذا الدَّين؟

أفكِّرُ في أفضل طريقة لصياغة جوابي، لكنه يَفِرُّ مني وحده:

- لأنه سمح لي بأن أحقِّقَ أمراً أهمّ.

# ليلي

مكتبة
t.me/t_pdf

20 يونيو

عزيزي مارسيل،

أرجو أن تُفلِحَ في قراءتي. فأنا في الأخير لن أكتبُ بالحروف الصامتة لأنها ستكون عسيرة على الفهم، لذلك أكتبُ بحروف صغيرة، متناهية الصِّغَر.

كنتُ أوَدُّ أن أقول لكَ فحسب إني مسرورة. ذهبتُ أصيلَ هذا اليوم لزيارة كليليا. سألني أبوها إن كنتُ قد رأيتُ الفايكينغ، ثم انصرف لمؤانسة التلفاز، وبذلك كان يمكننا أن نخلوَ إلى الفئران. تصوَّرْ أنَّ راتيش وراتور أنجبا مواليد آخرين في غيابي، وأن كليليا احتفظتْ لي بأحدها لأنها تعرفني.

لا أخبركَ كيف كان عليَّ أن أحارِبَ كي تقبلَ أمي، ولحسن حظي أنني أملكُ أكثر من سهم في جعبتي، ونجحتُ في أنْ أُفْهِمَها أنَّ الأمر جِدٌّ جِدُّ مُهِمّ. طبعاً، كنتُ مضطَرَّةً لأن أعدها بأنه لن يغادر حجرتي ما دامت هي موجودة في الشقة، لكنني واثقة من أنها مع الوقت ستعتاد عليه. أوَدُّ أن أجعلكَ تحزر ماذا سمَّيْتُهُ، لكننا لا

نملكُ مكاناً كافياً لذلك، وإذاً أُخبركَ بالأمر، اسمُهُ رالالا. وها هو يسيرُ على صفحتكَ اليُسرى، أرجو أن تتفاهما جيّداً. آه، بالمناسبة! اتّصلتْ كلوي بديغو وإدغار لتستفسر عن أحوال عودتهما. احتفظنا بالسرِّ إلى آخر لحظة، لكننا كنا نريد أن نحصل على أخبار. في الحقيقة، كان الجميعُ يعلمُ أين يوجدان، بفضل البطاقة المصرفية ونظام تحديد المواقع، فلم يكونوا بحاجة حتى إلى البحث عنهما. وهكذا فالمدير لم يتقدَّم بشكوى ضدّهما، لكنه لم يعد يريدهما في دار العجزة. سيتوجبُ عليهما أن يعثرا على مأوى آخر، ويبدو أنه سيكون من الصعب عليهما أن يظلّا معاً. أُقسِمُ لكَ يا مارسيل، إني جِدّ مسرورة باستعمال مرهم أمي المضاد للتجاعيد، فهكذا لن أصير أبداً عجوزاً.

هيّا، يجبُ أن أنام، لديَّ مدرسة غداً (سأحاول أن أنام في سريري من جديد). أنا فرحة، تسيرُ الأمورُ جيّداً مع جولييت ومانون، يتصرَّفان كأنني غير موجودة.

قبلاتي، مارسيل.

ليلي

ملاحظة: رالالا يقول لكَ عذراً، لم يكن متعمِّداً بالنسبة إلى البول.

# آنا

جدَّتي جالسةٌ قربَ النافذة، على كرسيِّها. كانت تنتظرنا. كانت سعيدةً لكوني قدَّمتُ زيارتي يوماً واحداً كي تكون الفتاتان هنا. يومٌ ناقصٌ من أيام وحدتها. أضمُّها إليَّ بحرارة، خدّاها طريّان. وتُقبِّلُها ليلي وتُقدِّمُ لها حجراً صغيراً أسود.

- تَفضّلي، جدَّتي، جلبتُ لكِ هذا من القطب الشمالي!

يغلبُ التأثُّرُ جدَّتي، وتداعبُ الحجرَ كأن الأمر يتعلق بجوهرة. وتأخذ كلوي بيدها وتهمسُ بكلماتٍ في أذنها.

- لم أفعل شيئاً متميِّزاً، تجيبُ جدّتي بصوت منخفض.

- أوه بلا، جدَّتي! أتدخَّلُ. لقد فعلتِ الكثير.

تُبعِدُ المسؤوليةَ بحركةِ تواضعٍ من يدها وتحوِّلُ انتباهنا نحو قطع البسكويت الموضوعة على المائدة الصغيرة المتحرِّكة.

- هيَّا، خُذْنَ بعض البسكويت، صَنَعَتْهُ حفيدةُ السيدة ديبور!

- لا، شكراً، تعتذرُ كلوي، أحاولُ أن أنتبه قليلاً، لقد زادَ وزني كيلوين اثنين.

- وهذا يلائمكُ جيّداً، فَطَلْعَتُكِ اليوم أفضل مما كنتِ عليه آخر مرة رأيتُكِ فيها!

توافقُ ليلي بحركة من رأسها، وهي تعضُّ على قطعة بسكويت. وتضعُهُ حالاً، وهي تلوي قسمات وجهها بامتعاض.

- أهذه حلويات مصنوعة من الإسمنت؟ كدتُ أفقدُ أضراسي!

- لكنها كانت جيّدةً في الأسبوع المنصرم، تندهشُ جدّتي. حسناً إذاً، احكين لي كلَّ شيء! أحتفظُ بذكرياتٍ رائعة عن النرويج، هل أعجبتكم؟

أتركُ الكلام للبنتين، فجدَّتي تعرف انطباعاتي، كنتُ أتَّصِلُ بها على الأقل مرةً في الأسبوع. يُقارِنَّ بين تجاربهنَّ، وانطباعاتهنَّ التي تكاد تكون متطابقةً على الرغم من السنين الستين التي تفصل بينهنَّ.

- ما الذي حاز إعجابكما أكثر؟

- الأمر صعبٌ، تجيب كلوي، لقد أحببتُ حقيقةً أموراً كثيرة... قد يكون الشفق القطبي. أو پريكيستولن. لا، لا، أعرفُ! الأمرُ الذي أعجبني، هو وجودُنا معاً نحن الثلاثة.

- أما أنا، فإنني أعجبني الحوتُ! تُعلِنُ ليلي.

تُقهقِهُ جدّتي، وتحاكيها الفتاتان. أراقبهنّ وأنا أستلذُّ حظّي الذي يجعلني محاطةً بهؤلاء اللواتي لولاهنَّ لما كنتُ مَنْ أنا الآن. لا تنقصنا سوى واحدة، لكنها موجودة في كلِّ واحدة منّا.

نظلُّ هناكَ إلى وقت العشاء، الذي يقدَّم في قاعة الطعام، ثم أُقبِّلُ جدَّتي.

- سأعودُ في الأسبوع القادم، جدَّتي.

- أنا أيضاً! تصيح ليلي. لكن ألقي بتلك الحلويات، إنها خطيرة.

- أنا كذلك سأكون هنا، تُضيفُ كلوي.

جدّتي في قمّة السعادة. تتبعنا بنظرها إلى أن نغادر حجرتَها. تخرجُ البنتان أوّلاً، وأَهُمُّ بإغلاق الباب عندما أسمعها تنادي عليَّ بصوت منخفض. ألتفِتُ، فأرى أنَّ وجهها قد ارتدى قناعَ المتآمِرَة.

- وإذاً، ألديكِ أخبارٌ عنه؟ تهمسُ لي.

- كنتُ أعتزمُ الاتصالَ به بعد خروجي.

- ستُعلِنينَ ذلك؟

- لستُ أدري بعد.

تفركُ يديها، عمرُها تحت تجاعيدها عشرُ سنوات. أُخرِجُ لها لساني وأُغلقُ البابَ.

خمس رنّاتٍ. وأكون على وشك إقفال الهاتف عندما يجيبُ.

- مرحباً آنا!

- مرحباً جوليان! كيف حالكَ؟

# ليلي

25 يونيو

عزيزي الغالي الغالي الغالي مارسيل،

هذه آخر مرة أكتبُ فيها إليكَ، أنا حزينة حقّاً. أشعرُ كأنَّك كنت معي دائماً، والآن يتوجَّبُ عليَّ أن أفارقَكَ لأنك لم تعد لديكَ مساحة للكتابة. ما كان عليَّ أن أكتبَ بحروف كبيرة في البداية، كان عليَّ أن أكتبَ لكَ بتقتير، سيكون هذا درساً لي.

حسناً، سأحكي لكَ آخر الأنباء، ثم سأودِّعُكَ كما ينبغي.

أولاً، أنا جِدُّ مسرورة لأنني في عطلة نهاية هذا الأسبوع سأذهبُ عند نُوِي. اتصلتْ أمي بأبيه، ويعتقد أنها ستكون فكرةً حسنةً أن نلتقيَ من جديد. أخشى قليلاً ألّا يعرفني، لكنني سأهمسُ له أغنياتٍ، مثلما فعلتُ عندما نِمْنا في العراء، فذلك كفيلٌ بأن يُنْعِشَ ذاكرتَهُ. وفي جميع الأحوال، أستعجِلُ رؤيتَهُ، لأنني بحثتُ جيِّداً في الإعدادية، غير أني لم أجد اثنين نُوِي مثله.

وبمناسبة الحديث عن الإعدادية، كان الأمر رائعاً جدّاً، فالتوأمان لم تنسياني. كانتا تنتظران الوقت المناسب فحسب. قبضتا

عليَّ في قاعة تغيير الملابس الرياضية بينما كنتُ أستبدل ملابسي، وكان سروالي فوق ساقَيّ. قالتْ جولييت إنني لستُ سوى واشيةٍ، وبسببي أوقِفَتْ شقيقتُها ثلاثة أيام عن الدراسة. وأضافتْ مانون إنها كانت تُفضِّلُ ألّا أعود أبداً. أجبتُهُما أنني ليس لي ما أقولهُ لهما، وأنَّ الثوب النظيف لا يُخلَطُ بالأثواب الوسخة، لكن كلامي أضحكهما واستمرَّتا في السخرية مني. كان الجميع ينظرون إلينا لكن لا أحد يتكلّم. قالتا لي إنَّ عليَّ أن أكُفَّ عن التباهي، وأنَّ لي وجهاً قبيحاً، خصوصاً بشعري القصير، وأنَّ أمي كان يتوجّبُ عليها أن ترمي بي في المرحاض. غير أنني هنا نصحتُهُما ألّا تذكرا أمي، لكنهما واصلتا ذلك، وقالتا إنها ثخينة، وفقيرة، فأحسستُ بإثارة في عينَيّ. وكدتُ أردُّ عليهما بأنَّ أمّهما شديدة القصر لدرجة أنَّ رأسها تفوح منه رائحةُ القدمين، غير أني فجأةً تذكَّرتُ ما علَّمَتْني إياهُ فرانسواز. أن أَرُدَّ على الشرِّ بِثَناءٍ.

نظرتُ إلى مانون، التي كانت ترميني بألقاب رهيبة، واصطنعتُ لها ابتسامةً واسعةً، وشكرتُها. سألتني لِمَ أشكرها، فشرحتُ لها أنَّ لُطفها يؤثِّرُ فيَّ كثيراً، وأن الكوكب بحاجة إلى أشخاصٍ أكثر مثلها. ضحكَ الجميعُ، فازداد غضبُها. صاحتْ أُختُها إنني مجنونة تماماً، فأكّدْتُ لها أنها جميلة، خصوصاً عندما تبتسمُ. فأصابها ذاك بالبكم، كان عليكَ أن ترى ذلك! كان جميعُ الآخرين يموتون من الضحك. غمغمتا ببضع شتائم إضافية، ثم انصرفتا إلى أمور أخرى. حسناً، أعادتا الكرّة في أثناء حصة الرياضيات، لن يتوقَّفَ الأمرُ بسهولة، يجب ألّا أحلم، لكنني الآن أعرف كيف أجيبهما. أُقسِمُ لك يا مارسيل، أنهما إن خضعتا مرةً لفحصٍ بالماسح الضوئيّ على دماغهما، فستحصُل مفاجآتٌ.

المهم، أرجو أن تكون فخوراً بي. فأنا، على كل حال، فخورة بكَ وكنتُ مسرورةً حقّاً بقضائي أربعة أشهر من حياتي رفقتَكَ. أربعة أشهر مُهِمَّةٌ.

سأشتاقُ إليكَ كثيراً، لكنني لا أتخلّى عنكَ، كلُّ ما في الأمر أنني لن أستطيع أن أتكلَّمَ معك. سأحتفظُ بكَ دائماً، حتى عندما سأكون في دارٍ للعجزة مثل جدّتي، فأنتَ ستكون هناك. أنتَ بحقٍّ أفضلُ المذكِّرات، لن أنساكَ أبداً. شكراً على كلِّ شيء، يا مارسيلي الصغير الحبيب.

ليلي

ملاحظة: أحبُّكَ.

مكتبة
t.me/t_pdf

# أخبار كلوي

كانت أمي تعمل طوال النهار، وكانت تلك المرة الأولى منذ بدأتْ تعمل في البيوت. عثرتْ لها الوكالةُ على العديد من عقود العمل، وتعتقد أنها قريباً ستعمل الدّوامَ كلَّه. وكانت ليلي تقضي النهار عند كليليا.

استيقظتُ في وقت متأخِّر، لم يحدث لي ذلك منذ مدة طويلة، فَقَلَقُ الأداء يخبو الآن بعد انتهاء الامتحانات. ذهبتُ لتصوير الوثائق لتقديم طلب التأشيرة، ثم رجعتُ إلى البيت لأستعدَّ.

قمتُ بتمليس شعري، فأنا أعلمُ أنه يحبُّ ذلك. ارتديتُ فستاناً أسود قصيراً، وحذاءين بكعبٍ، وأحمر شفاه على شفتَيّ. وصلَ متأخِّراً، لكنه كان يحمل حلويات الشُّوكيت.

- مرحباً، كلوي.

- مرحباً، كيفين، ادخلْ!

نظر إلى جدار الممرِّ، الذي غطّيناهُ بصور الرحلة. لم يكن مرتاحاً، ولا أنا. كانت رجلاي ترتعشان.

- يبدو أنَّ الأمر كان لطيفاً!

- كان رائعاً. أتريدُ أن تشرب شيئاً؟

- ماذا لديكِ؟

- ماء.

- كأس ماء، إذاً.

جلسنا على الأريكة، ووضعَ يدَهُ على يدي.

- أنا سعيدة برؤيتكَ. أنا آسفة لما فعلتْهُ أمي...

- أجل، لقد بالغَتْ كثيراً.

- أعرفُ. هل أنت عاتبٌ عليّ؟

- بعض الشيء. لكنك تعلمين كيف تحصلين على صفحي...

ضمَّني إليه وقبَّلَني، وتنبعثُ منه رائحةُ الخبز الساخن.

- تريدين أن نظَلَّ هنا أم نذهب إلى حجرتكِ؟ سألني.

- أُفضِّلُ أن نذهب إلى حجرتي.

تبعني، وما كدتُ أُغلقُ البابَ حتى أمسكَ يدي وجذبني إليه.

- تعاليْ.

- انتظرْ، أجبتُهُ. عندي مفاجأة.

ابتسم ابتسامةً راضيةً، وخرجتُ من الحُجرة وأغلقتُ عليَّ البابَ في الحمّام. خرجتُ منه بعد بضع دقائق، وأنا أجري.

- كيفين، تعال بسرعة! صرختُ به. بسرعة! هناك النار، ألسنةُ لهيب عظيمة، يجب أن نغادر!

انقذَفَ من السرير مثل قُرصٍ صلب، وبحث عن ثيابه، فجذبتُهُ من ذراعه.

- هيّا بسرعة! سنحترقُ! لا حاجة لنا في ثيابكَ!

جررتُهُ في الممرِّ، وكنتُ أصرخُ، ولم أكد أفتح البابَ حتى كان قد وصل إلى سلالم العمارة. واحتاجَ إلى نزول طابقٍ ليفهم. صعد

الأدراج من جديد، وهو يحاول أن يُغطيَ نفسه بيديه، ورماني بنظرةٍ مستفهِمَةٍ. فابتسمتُ له.

- يجب أن تكون سعيداً، لأنني تركتُ لكَ الجوربَين والتبان.

أغلقتُ البابَ بالمفتاح واتصلتُ بلويز لأحكيَ لها الأمر.

# آنا

كانت ليلي حريصةً على أن تطرقَ البابَ. وبعد أن تلقّى البابُ ستَّ ضرباتٍ، ينفتح ويبرز جوليان. وتُطلِقُ ابتسامتُهُ ابتسامتي.

تُسلِّمُ عليه ليلي وهي تبحثُ بنظرتها عن نُوِي.

- إنه في الصالة، ادخلا!

اندفعَتْ ابنتي إلى الداخل، فأجد نفسي وحدي مع جوليان. لا يتركُ لي وقتاً للتردد، ويضعُ قبلةً على شفتَيّ ويجرّني داخل شقّته.

تجلسُ ليلي بجانب نُوِي. يتأرجحُ من الأمام إلى الخلف.

- نُوِي، أنا ليلي، أتذكُرُني؟ أتذكُرُ، ذهبنا معاً إلى السويد، وفنلندا والنرويج، كنتُ أحضُرُ إلى سيارة تخييمكَ، كنّا نلعبُ بالخذروف؟

لا يبدي الولدُ ردَّ فعلٍ، ينظر بإمعان إلى شاشة التلفاز الذي يعرض صوراً من الطبيعة. تنهضُ ليلي وتُطلِعُ من جيبها اليويو اللّامع الذي طلبتْ مني أن أشتريهُ في أثناء الطريق. ودون أن تلتفتَ إلى نُوِي، الذي نظر إليها، شرعتْ في اللعب.

- تعالي، لندعْهُما، يهمسُ لي جوليان وهو يجذبني إلى خارج الحجرة.

نجلسُ في شرفة المطبخ، حول طاولة صغيرة خضراء.

- أنا مسرورٌ برؤيتكِ.

- أنا أيضاً.

- كان الأمر قاسياً من دونك، اتّخذتُ عاداتٍ سيّئة.

أبتسمُ. ويضع يدَهُ على يدي.

- أحبُّكِ، آنا، يهمسُ لي.

ينبُضُ قلبي بقوة أكبر، مثلما يحدث لي كلما قال لي ذلك.

- أنا أيضاً، أحبُّكَ. من كلِّ قلبي.

يداعبُ يدي.

- أتعتقدين أنَّ الوقتَ قد حانَ لنُخبرهما؟

- أعتقد ذلك. جدَّتي لم تعد قادرة على الصبر أكثر، تريد أن تعرف ردَّ فعلهما.

- أتظنين أنهما ستتقبّلان الأمر؟

- أنا متأكِّدة من ذلك. أشعرُ أنهما تحبّانكَ. وإن كانت كلوي يمكن أن تطلب منكَ أن ترمي قمصانكَ.

يضحكُ.

- أتعرفين أيّ يوم نحن؟ يسألني.

- طبعاً أعرف.

- عيد ميلاد سعيد، حبيبتي.

- عيد ميلاد سعيد، حبيبي. انصرمَ عامٌ كاملٌ...

# قبل شهرَين

# آنا

5 أبريل

عند وصولنا إلى موقف السيارات بهامبورغ، كنتُ أعلمُ أنَّ جوليان موجود هناك. وجدتُ صعوبة في حبس نفسي عن الضحك وأنا أرى سحنتَهُ. كنتُ منشغلةً بإفراغ قمرة المرحاض في سيارة التخييم.

- آنا؟ ماذا تفعلين هنا؟ سألني بابتسامة واسعة.

- انتبه، فابنتايَ تنظران من النافذة. عملتُ بنصائحكَ، كان يجب أن نرحل. واغتنمتُ الفرصةَ لأصنع لك مفاجأة.

- لا تتخيّلين كم أرغبُ في أن أضمَّكِ بين ذراعَي.

كان جوليان رئيس الطهاة في الأوبيرج بلانش. عملنا معاً مدَّةَ خمس سنوات. كنتُ أُقَدِّرُ ذلك الرجل القويّ، المستعدَّ دوماً لسرد حكاية طريفة وسط عملٍ دؤوب، لكننا لم نجد الوقت الكافي لنعرف بعضُنا بعضاً حقيقةً. إلى أن كان ذلك الصباح من نوفمبر حيث وصلَ فارغَ النظرة. كانت زوجتُهُ قد هجرتْهُما للتو، هو ونُوِي، فصعقَهُ الأمرُ. ورأيتُ نفسي في ضياعه - كانت أسرتي قد انفجرت سنتَين قبل ذلك. وشيئاً فشيئاً، من اعترافٍ إلى صمت، صرنا صديقَين.

قرَّبَتْ بيننا جراحُنا، وتجاذبَتْ مساحاتُنا المقتَّلَةُ مثلما يتجاذب لاصِقُ فيلكرو. كان يساعدني في تنظيف القاعة، وكنتُ أساعدُهُ في ترتيب المطبخ، وكنّا نغسل ونحن نعيد صياغة العالم، ولم يكن من النادر أن نستأنفَ نقاشاتنا بعد الإقفال.

وعندما ترك جوليان عملَهُ ليتفرّغ للاعتناء بابنه، منذ ثلاثة أعوام، شعرتُ بفراغٍ جعلني أُدرِكُ أنه كان أكثر من مجرد صديق. لكنني كنتُ ألهثُ خلفَ الزمن، ويستحيل عليَّ أن أنخرطَ في علاقة جديدة. دون أن أتحدَّثَ عن الدِّرع الذي كنتُ أحتمي داخله، ولم أكن على استعداد لنزعه. لم أكن أعلمُ حتى إنْ كانت مشاعري مشترَكة.

بقينا على تواصل من بعيد. كان يسافر رفقة ابنه، وكنتُ أكافح مع ابنتَيّ، وفي المناسبات نتبادل الرسائل. جاء، في العام الماضي، لتناول العشاء في المطعم. وأسقطتُ ثلاثة صحون أثناء العمل من شدّة انفعالي. ظلَّ في المطعم إلى ما بعد الإقفال. وسرعان ما عاد التواطؤ بيننا. ورافقني، مثلما في السابق، إلى سيارتي وتمنّى لي ليلةً سعيدة قبل أن يُغلقَ البابَ. مع فارقٍ، هو أنه لم يقبّلني على خدّي هذه المرة.

في الشهور اللاحقة، التقينا أحياناً، وتكلّمنا بالهاتف كثيراً. كنتُ حريصةً على تخصيص كلّ وقتي الحُرِّ لابنتَيّ، ولم يكن يَفضُلُ لنا الكثيرُ منه، لكننا كنا نستمتع أقصى ما نستطيع بتلك الأوقات. ولم أحتج إلى وقت طويل لأتحرَّرَ من دِرعي. جوليان ليس هو ماتياس. كان يحترمني، ويستمع إليّ، ولا يحاول أن يفرض رأيه عليّ، ويَقنع بأن يراني سعيدة. كان يتركُ لي المربَّعَ الأخير من الشوكولاتة. معه، لم أكن أَزِنُ كلَّ كلمةٍ في كلامي، ولم أكن أتراجعُ كلما رفع ذراعَهُ. معه، كنتُ أشعرُ أني بخير.

وعندما أخبرني أنه سينطلق في رحلة جديدة رفقة نُوِي، غبطْتُهُ. اقترحَ عليَّ أن أتبعه، وستكون فرصة ليتعارف أبناؤنا، قال محاجِجاً، لكن الأمر كان يبدو لي مجرّد حماقة. ثم حدث أن تجاوزَت دواعي الرحيل دواعيَ عدم الرحيل. ولم أكن أريد أن أكون من المجموعة. كنتُ أريد أن أتبعه على مسافة، كي لا أكون وحيدة في بلد مجهول، أن أعلمَ أنَّ جوليان ليس بعيداً إذا ما وقعت مشكلةٌ، نعم، لكن الهدف كان أن أقضيَ وقتاً مع ابنتَيّ، وليس أن أشتركَ في رحلة منظَّمة. لم تتركا لي الخيار.

وعندئذ، شرعنا في رحلتنا التي كانت ستُغيِّرُ حيواتنا.

# بعد شهرَين

# أخبار كلوي

أعلمُ أني لم أكتب إليكم منذ مدة طويلة، لكن كان لديَّ سبب وجيه: كنتُ أستعدُّ للسفر.

إنه اليوم الكبير. بعد ثلاث ساعات، سأركبُ الطائرة نحو حياتي الجديدة.

أمي لا تتركني ولو للحظة واحدة. تحاول ألّا تُبدِيَ حزنَها، لكنها تزرعُ الشكَّ من كثرة ما تُكرر أنها سعيدة. أعتقد أنها كانت تفضِّلُ لو أني لم أحصل على البكالوريا لتُلغِيَ الأمرَ برمَّتِهِ.

ولا تحاولُ ليلي أن تتظاهر بعكس ما تشعر به، فقد أراقتْ من الدموع، منذ هذا الصباح، ما يعادلُ بحرَ النرويج.

لو أنني سافرتُ العامَ الماضي، لكان فراقُهما بلا ريبٍ أقل صعوبة. أما الآن، فكأننا يُفرَّقُ بيننا في الوقت الذي اجتمعنا فيه من جديد. الحياةُ في البيت هذه الأسابيعُ الأخيرة ألطف. في النهار، تكون ليلي في مركز الترفيه وأمي في العمل. فأستفيد من الشقة، أكتبُ، وأتبادلُ الرسائل مع لويز، وأجمع أغراضي، وأتجوَّلُ رفقة إيناس مع حرصي على ألّا أَمُرَّ أمام المخبز. وفي كلِّ مساء، نتناول طعام العشاء جميعاً، أنا وأمي وليلي، ونشاهد فيلماً. عندما أقوله بهذا الشكل يبدو الأمر كأنه إعلان، لكن اطمئنّوا، لا تزال توجد

لحظات أحبس فيها نفسي عن رمي أمي بكلمات قاسية وأن أرمي ليلي في مسرب النفايات. وكلَّ مرةٍ، يكفي أن أتذكَّرَ أنهما ستكونان بعيدتين عني مدةَ عامٍ لتزول الأزمة. عندما يرى المرءُ النهايةَ، يرومُ ما هو جوهريّ.

اتصلَ بي أبي هذا الصباح ليتمنى لي سفراً سعيداً. ووعدتُهُ أن أذهب لزيارته عند عودتي. سيكون العامُ كافياً لأن أستعدَّ لذلك.

بعث لي كيفين رسائل يشتمني فيها، واستمرَّ ذلك أيّاماً عديدة، إلى أن ملَّ الأمر. ثم كان بعده مالو، الذي صبرَ أسبوعَين قبل أن أدعوه إلى لقاء. إني أتقدَّمُ بلطفٍ. ومثلما قد تقول شقيقتي، شيئاً فشيئاً يصبحُ العصفورُ حدّاداً.

- أنتِ جاهزة حبيبتي؟

تقفُ أمي في مدخل حجرتي، وعلى شفتيها ابتسامةٌ متكلِّفة. حان وقت الذهاب. أُلقي نظرةً أخيرةً على حُجرتي وأغلقُ البابَ على حياة مراهقتي.

- عامٌ، سيمُرُّ سريعاً، تتلفَّظُ أمي بالكلمات، كأنها تريد أن تُقنِعَ نفسَها.

- وسنُجري اتصالات مرئية!

تهزُّ ليلي رأسها:

- وإن أصبحنا ثريَّتين، سوف نأتي! أرجو أن نرى الكوالا والكنغر!

ينتظرنا نُوِي وجوليان في السيارة. لحسن الحظِّ أنهما يرافقانا إلى المطار، فأنا لا أجرؤ على تخيُّلهما وهما تعودان وحيدتَين. لحسن الحظ أنهما هنا فحسب. لم أكن أستطيعُ أن أحلمَ أن أترك

ماما وليلي في رفقة أفضل منهما. لا يُقدِّرُ المرءُ قيمةَ قمصان الحطّاب حقَّ قدرها.

- لديَّ خبرٌ جيّد! يقول وهو يفتح صندوق السيارة. اتصلت بي مارين منذ قليل، كانت منشغلة بالتسوّق من أجل الصغيرة. لقد نجحتْ في الحصول على مكان لدييغو وإدغار في دار العجزة حيث تعمل مع غريغ. سيتقاسمان الشقّةَ نفسَها، وهما جِدُّ مسرورَين. وبياريتز ليست بعيدة عن هنا، سيكون في إمكاننا أن نذهب لزيارتهم!

تصيرُ ابتسامةُ أمي حقيقيةً، لأول مرة منذ هذا الصباح. يخِفُّ الثّقلُ عن كاهلي بفضل خبر هذه النهاية السعيدة بالنسبة إلى الجَدَّين، وأجلسُ في الخلف، قربَ النافذة، وأنظرُ إلى توالي مشاهد الطريق التي أعرفُها عن ظهر قلب. تمدُّ أمي يدها عبر جنب الكرسيِّ وتداعبُ فخذي. أُمسِكُ يدَها وأشُدُّ عليها بقوة. سأشتاقُ إليكِ، ماما.

أنا خائفةٌ طبعاً. لا بدَّ أنَّ الأمر سيكون معقَّداً بالنسبة إلى شخص يعاني من الإحساس بالوحدة، ويجدُ نفسَهُ في أقصى العالم دون أن يعرف هناك أحداً. لكنني أشعرُ أنني مستعدَّة. لا أزال في حاجة إلى أن يحبَّني الآخرون، وأعتقد أن هذا الإحساس لن يفارقني، لكنني في المقابل، لم أعد أشعرُ بتلك الضرورة إلى أن يُقِرَّني الغيرُ على ما أفعل. ينبغي أن أكتفيَ بذاتي.

أنا حريصةٌ على أن أشكركم، من أعماق قلبي، على حضوركم معي هذه الشهور الأخيرة. كلماتكم، وتشجيعكم، وملاحظاتكم أفادتني كثيراً. دون أن يعرف بعضُنا بعضاً، ساعدتموني على أن أكبُرَ. لقد أدركتُ أننا كثيرون لدينا مشاعر وأحاسيس متشابهة، وخصوصاً أدركتُ أن الأمر ليس خطيراً إن لم يكن كذلك.

حان الوقتُ لأقول لكم إلى اللقاء. أتوقَّفُ عن كتابة حياتي، سأعيشها.

سأتركُ المدوَّنة على الشبكة، لعلَّها تكون مفيدةً لشخص ما يعبُرُ تلك المنطقةَ المضطربة التي تُسمَّى المراهقة.

ومن يدري، قد نلتقي ذات يوم، حقيقةً، دون أن نعرف ذلك. في سيدني، أو تولوز، أو في مكان آخر.

أقبِّلُكُمْ.

كلوي

مكتبة
t.me/t_pdf

# ليلي

25 أغسطس

عزيزتي جوزيان،

اسمي ليلي وعمري اثنا عشر عاماً. قبل الآن، كان لديَّ دفتر مذكَّرات اسمه مارسيل، لكنه انتهى. في البداية لم أكن أريد أن أستبدله، كنتُ أخشى ألّا يُعجِبَهُ الأمر، لكنني وجدتُكِ على رَفٍّ من الرفوف، وحيدةً، وسمعتُكِ تنادين عليَّ. قدَّمتُكُما إلى بعض، ويبدو أنه أَحبَّكِ.

وبالمناسبة، اسمكِ جوزيان لأنك مربَّعة الشكل، مثل ذقن جوزيان، السيدة العاملة في المطعم المدرسي.

المهم، كفانا كلاماً عن الأمر، فالساعة خطيرة. نحن في طريقنا إلى المطار. ترحل شقيقتي إلى سيدني، في أستراليا. على الإنترنت، يقولون إنها تبعد 17000 كيلومتر برحلة الطيور، أتساءلُ كيف يعرفون ذلك، قد يكونون مَنَحوا مسطرة لطائر كي يقيس المسافة. المهمّ، شقيقتي ستكون بعيدة. أرجو أن نظلَّ دائماً، على الرغم من ذلك، على نفس طول الموجة. حسناً، صحيح أننا نتشاجرُ كثيراً

(هذا طبيعي، شقيقتي تكون غالباً على خطأ، وأنا في الغالب على صواب، فالأمران لا يتلاءمان)، لكنني أحبُّها كثيراً.

ركبنا في سيارة جوليان، لأنها أكبر، ويمكنها أن تسعَنا جميعاً. نُوِي بجانبي، وينظرُ إلى الطريق. يحمل الحجرَ الناعمَ الذي أعطيتُهُ إياه، لم يعد يُطلِقُهُ من يده. شعرتُ بسعادة كبيرة عندما أخبرتْنا أمي أنها على علاقة مع جوليان! نراهما تقريباً كلَّ عطلة نهاية الأسبوع، ونتجوَّلُ في الغابة، وأحياناً نذهبُ إلى البحيرة، وأحياناً أخرى لا نفعلُ شيئاً وهذا أيضاً أمر جيّد. أودُّ أن نعيش معاً في بيت واحد، غير أنَّ أمي تقول إنَّ علينا أن نمنح أنفسنا مزيداً من الوقت لنفعل الأمور كما يجب. لا أفهمُ جيّداً، لأننا يمكننا أن نفعل الأمورَ بشكل سيّئ ولو انتظرنا وقتاً طويلاً، لكن يبدو أنها مُصَمِّمة. وإذاً سأغتنمُ أُسرتي الصغيرة في انتظار الحصول على أُسرة كبيرة. الآن، نُوِي هو أخي، غير أننا لا نملكُ كِلْيَتَيْن متوافقتين. يُعلِّمُني أشياء كثيرة. من قبل، عندما كان الناس يقولون إني مختلفة، لم أكن أحبُّ ذلك كثيراً، كنتُ أشعرُ كأني داخل لعبة «ابحثْ عن الدخيل». لكنني، في نهاية الأمر، أحبُّ أن أظلَّ دائماً مختلفة. لا أريد أبداً أن أصبح مثل الآخرين. من البلاهة أن نكون الآخرين بينما نحن ذواتُنا.

هيّا، جوزيان، سأتركك، أُفضِّلُ أن أبقى مع شقيقتي ما دامتْ هنا.

قبلاتي

ليلي

ملاحظة: لم أعد أتحمَّلُ هذه الحرارة. هذه الليلة، تركتُ الثلاجةَ مشرعةً لتبريد الجوّ، ولم يُعجب الأمرُ أمي كثيراً، لا أُحدِّثُكَ عن الأمر.

# آنا

حان وقت الصعود إلى الطائرة. جوليان ونُوِي ودَّعا كلوي وابتعدا ليتركانا وحدنا. أبتسمُ، كأنَّ قلبي لم يكن يُداسُ في تلك اللحظات.

منذ ثمانية عشر عاماً، وُضِعَ فوقي مخلوقٌ ذو تسعة وأربعين سنتيمتراً، ما فتئ أن استحوذ على المكان كلِّه. ومنذ اللحظة التي أطلقتْ فيها ابنتي صرختَها الأولى، بدأتُ أترقَّبُ بقلقٍ تلك اللحظة التي ستغادرني فيها. وبعد مترٍ وخمسة عشر سنتيمتراً، ها قد حلَّتْ تلك اللحظة. وأرجو أن أتمكَّنَ من الاستمرار في التقدُّم دون أن أهوِيَ في الفراغ الذي ستُخَلِّفُهُ.

أداعبُ خدَّ طفلتي الصغيرة، وتلتفتُ حولها لتطمئن من أن لا أحد يراني وأنا أفعلُ ذلك.

- سيكون الأمرُ رائعاً، حبيبتي.

- أعلمُ، تجيبني وهي تمسح دمعةً انفلتتْ. لكنني سأشتاقُ إليكما.

ترتمي ليلي بين ذراعَي شقيقتها، وتضمُّها إليها بقوة، ثم تتراجع بسرعة.

- خذي، إنه جالب الحظ، تهمسُ ليلي وهي تَدُسُّ لها حجراً

أبيض في يدها. التقطْتُهُ من موقف المدينة، هكذا سيكون لديك بعضٌ من عندنا عندكِ.

حبيبتي الصغيرة ذات القلب الكبير.

تداعبُ كلوي الحجر وتضعُهُ في جيبها، ثم تشيرُ بذقنها إلى جوليان ونُوِي.

- سيُعَوِّضان غيابي، ستكون الأمور على ما يرام!

- لا أحد سيُعَوِّضُ غيابَكِ، كلوي.

- هراء! منذ عامٍ، لا بدَّ أنكِ قد تعلَّقتِ به. تقول لي وهي تضحكُ.

ينظُرُ إليَّ من بعيد، باديَ القلق. يعلمُ مدى ما أتألَّمُ.

أتذكَّرُ تلك اللحظةَ التي أطلعْنا فيها أبناءنا بشكل رسميٍّ على علاقتنا. جعلتني البنتان أردِّدُ الخبر ثلاث مرّاتٍ. كانتا تعتقدان أنها مزحة. استعادتا الشريطَ، وكلما استرجعتا دليلاً، أطلقتا صيحةً. وبعد أن مرّت المفاجأة، أكَّدَتا أنهما كانتا قد خمَّنتا الأمر من قبل، لكنهما لم تقولا شيئاً كي لا تُفسدا علينا متعتَنا.

«آخر نداء للمسافرين عبر طيران إير فرانس رحلة 1024 في اتجاه سنغافورة، الركوب حالاً من البوابة رقم 17».

تُثبِّتُ كلوي نظرتها في نظرتي، وأقرأ فيها مزيجاً من القلق والعزم. وترتمي على عنقي وتعانقني بكلِّ قواها. وتأتي ذراعا ليلي الصغيرتان لتُطوِّقاني، ونظلُّ على هذه الحال ثوانيَ عديدة، نأخذُ شحنتنا من الحب.

- كم أنا فخورة بالشخص الذي أصبحتِ، حبيبتي.

- هذا بفضلكِ، ماما.

ببطء، تنفلتُ من عناقنا، وتمسحُ خدَّيها، وتبتعد، بعد أن دسَّتْ

صورةً في يدي. أتابعُها بعينَيّ إلى أن يختفيَ خيالُها الغائمُ، ثم أكتشفُ الصورة.

إنها صورة سيلفي التقطْناها لأنفسنا في حديقة فيجلاند باركن بأوسلو. يشمخ خلفنا التمثالُ الذي أحببناهُ كثيراً، يمثّلُ أُمّاً تحملُ طفلَها وتضمُّهُ إليها. في الصورة تُخرِجُ ليلي لسانَها، وتحوّلُ كلوي عينيها، وأنا أضحكُ عالياً.

لم تُغيِّر هذه الرحلةُ شيئاً. عند عودتنا، كانت الفواتيرُ لا تزال هنا، والمشاكلُ كذلك، وليس لديَّ عملٌ، وليلي لديها أعداؤها، وكلوي شياطينُها. الأمورُ لم تتغيّر. نحن، نعم.

حتى على بعد 17000 كيلومتر، سنظلُّ معاً.

حتى عندما ستكونان في الخمسين من عمرهما، سنكون معاً.

إننا نملكُ شيئاً لن يزولَ أبداً.

نحن أُسْرَةٌ.

مكتبة
t.me/t_pdf

telegram @t_pdf

مكتبة

فيرجيني غريمالدي

# حان الوقت لإضاءة النجوم من جديد

ما العمل عندما تصيبُنا قسوةُ العالم؟ ما العمل عندما تسيءُ إلينا الحياةُ؟ ما العمل عندما تنطفئ السماءُ؟

كيف السبيلُ إلى إضاءة النجوم من جديد؟ كيف السبيلُ إلى استعادة البريق في العينين، والأمل في القلب؟

بالنسبة إلى آنا، جاء الجواب على شكل رحلة عفوية مع أسرتها، رحلة ستعزِّز الروابط، وتُفجِّر الحقائق، وتمنح رؤيةً مختلفة للحياة، وتسمحُ بطرح الأسئلة المهمة وفهم السُّبُل التي تؤدّي إلى حياة سعيدة، حياة جديرة بأن تُعاش.

هذه الروايةُ هي مزيجٌ رائع من السخرية، والحُبِّ، واللقاءات، ودروس الحياة، تغوصُ بنا في قلب تجربة فريدة من اكتشاف الذات وإعادة ترتيب الأولويات، وتُبَيِّنُ لنا أننا إن كنّا، حقّاً، لا نستطيع أن نعود إلى الوراء، فإننا نستطيع، مع ذلك، أن نختارَ طريقاً آخر ونضيءَ نجومَ حياتنا من جديد.

***

«دعوةٌ للتعارف. وللحبِّ. درسٌ رائعٌ في الحياة» - **اليوم في فرنسا**

***

فيرجيني غريمالدي هي الروائية الأكثر مقروئية في فرنسا اليوم. هذه الرواية التي تُحوَّل حالياً إلى فيلم سينمائيٍّ هي روايتها الرابعة، وأوَّلُ عمل لها يُترجَمُ إلى اللغة العربية.

telegram @t_pdf

ISBN 978-9953-68-978-4
9 789953 689784

المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
بيروت: ص. ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com